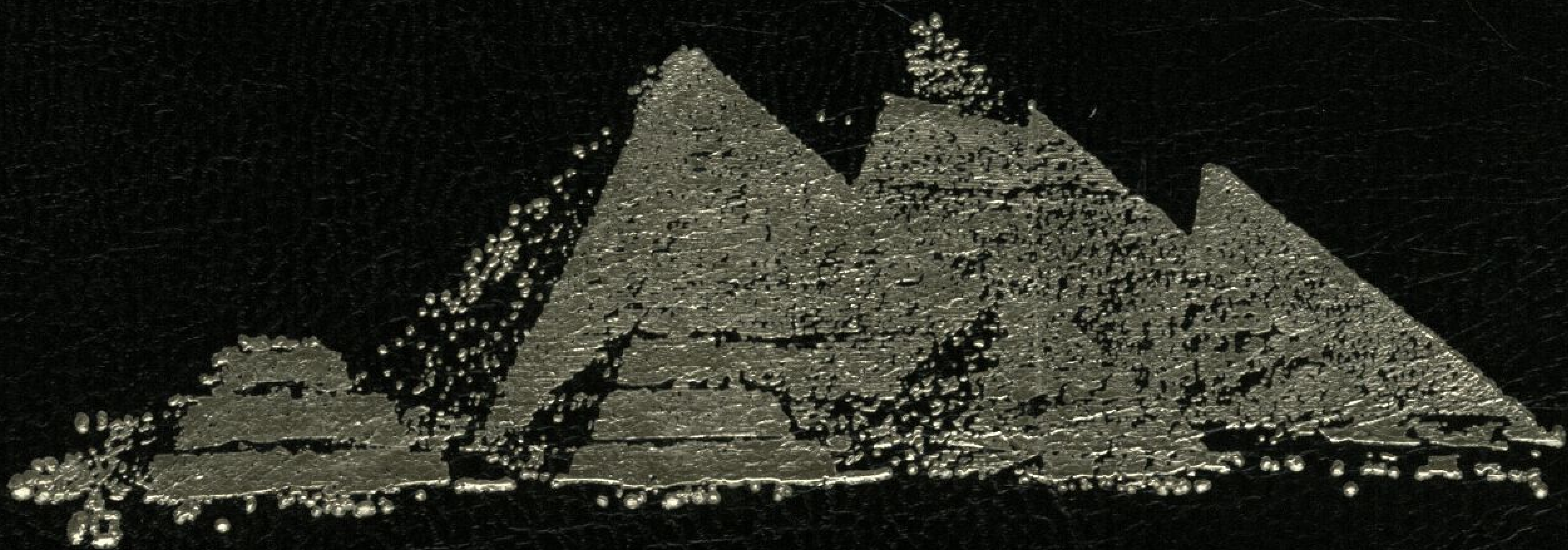


مَوسُوعَة
جُغْرَافِيَة مِصْر وتَارِيخهَا



موسوعة

جغرافية مصر وتاريخها

(١١)

عبد الرحمان الجبرتي

موسوعة

جغرافية مصر وتاريخها

المجلّد الحادي عشر

عجائب الآثار في التراجم والأخبار - ٣ -

الجزء الثالث: آخرة المماليك - ٣ -

إعداد وتحقيق

عبد العزيز جمال الدين

دار نوبليس

اسم الموسوعة: موسوعة جغرافية مصر وتاريخها

اسم الكتـــاب: عجائب الآثار في التراجم والأخبار - ٣ -
الجزء الثالث: آخرة المماليك - ٣ -

المؤلـــــف: عبد الرحمان الجبرتي

إعداد وتحقيق: عبد العزيز جمال الدين

قياس الكتـاب: ١٧ × ٢٤

عدد الصفحات: ٢٤٤

عدد صفحات الموسوعة: ٥٧٨٤

مكـان النشـر: بيروت

دار النشر والتوزيع: دار نوبِليس

تلفاكس: ٧٥ ٣٤ ٥٨ (١) ٩٦١

هاتــف: ٢١ ١١ ٥٨ (١) ٩٦١ - ٢١ ١١ ٥٨ (٣) ٩٦١

صندوق بريـد: ٧٠ ٦٩ ١٦ بيروت لبنان

بريد إلكتروني: info@nobilis-int.com

الطبعة الأولى: ٢٠١٢

EAN 9786144031353

ISBN 978-614-403-135-3

سنة ثمان ومايتين وألف

فيها أوفى النيل أذرعه فى سادس عشر المحرم الموافق لثامن عشر مسرى القبطى وأول برج السنبله، وفيها انحلت الأسعار وبورك فى رمى الغلال حتى إن الفدان الواحد زكا بقدر خمسة أفدنة، وبلغ النيل إلى الزيادة المتوسطة وثبت إلى أول بابَه،وشمل الماء غالب الأرض بسبب التفات الناس لسد المجارى وحفر الترع وإصلاح الجسور.

(وفى أوايل شهر صفر) وصل قابجى من الديار الرومية بطلب مال المصالحة والحلوان فأنزلوه فى دار وهادوه ورتبوا له مصروفا.

(ومن الحوادث) أن الناس انتظروا جاويش الحاج وتشوقوا لحضوره، ولم يذهب إليهم فى هذه السنة ملاقاة بالوش ولا بالأزلم، وأرسل إبراهيم بك هجانا يستخبر عن الحجاج فذهب ورجع ليلة الثالث والعشرين من شهر صفر، وأخبر أن العرب تجمعوا على الحج من ساير النواحي عند مغاير شعيب، ونهبوا الحجاج وكسروا المحمل وأحرقوه، وقتلوا غالب الحجاج والمغاربة معهم، وأخذوا أحمالهم ودوابهم ونهبوا أثقالهم وانجرح أمير الحج وأصابه ثلاث رصاصات، وغاب خبره ثلاثة أيام ثم أحضره العرب وهو عريان فى أسوأ حال، وأخذوا النسا بأجمالهن، والذى تبقى منهم أدخلوه إلى قلعة العقبة وتركهم الهجان بها من

١٢٠٨هـ.
١٥٠٩ق.
١٧٩٣م.
غاية الفيضان ١٢ قيراط/ ١٩ ذراع
□ فى ١٨ محرم/ ٢٧ أغسطس استولت الانكليز على ليمان طولون.
□ ١ توت ١٥١٠ = ٩ سبتمبر ١٧٩٣ = الاثنين ٢ صفر ١٢٠٨.
□ و (فى صفر) حصلت بهدلة عظيمة للحجاج بالقرب من مقابر شعيب □ وفى ٢٧ صفر قررت حكومة فرانسا أن الفرنساوية تؤرخ محرراتها اعتبارا من تأسيس الجمهورية، الذى هو ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٩٢.
□ ١ يناير ١٧٩٤ = ٢٥ كيهك ١٥١٠ = الأربع ٢٨ جماد أول ١٢٠٨.
□ وفى ١٤ جمادتان استرجعت الفرنساوية ليمان طولون.
□ فى ٢ رجب قررت حكومة فرانسا إبطال الرق من جميع مستعمراتها
□ فى ٧ شعبان صار إنشاء مدرسة المهندسخانه بباريز.
□ فى هذه السنة صار استكشاف العمود الكهربائى للمعلم فولتا.
□ فى ٩ منه اعدمت الفرنساوية مدام اليزابيث، شقيقة ملكهم لويز السادس عشر، السابق إعدامه.

غير ماء ولا زاد، فنزل بالناس من الغم والحزن تلك الليلة ما لا مزيد عليه، ثم إنهم عينوا محمد بك الألفى وعثمان بك الأشقر ليسافرا بسبب ذلك، فخرجا فى يوم الخميس سابع عشرين صفر وخطف أتباعهم فى ذلك اليوم ما صادفوه من الجمال والبغال والكعك والعيش من الباعة، وفى يوم خروجهم وصل جماعة من الحجاج* ودخلوا فى أسوأ حال من العرى والجوع والتعب، فلما وصلوا إلى نخل تلاقوا مع باقى الحجاج على مثل ذلك، ووجدوا أمير الحاج وذهب إلى غزة وصحبته جماعة من الحجاج وأرسل يطلب الأمان، ولم يزوروا المدينة فى هذه السنة وأرسل من صرة المدينة اثنين وثلاثين ألف ريال مع عرب حرب، وضاع فى هذه الحادثة من الأموال والمخزوم شى كثير جدا، وأخبروا أن موسم هذا العام كان من أعظم المواسم لم يتفق مثله من مدة مديدة.

* وصول الحجاج فى اسوأ حال بعد تعدى البدو العرب عليهم ونهبهم.

(وفى يوم الاثنين غرة ربيع الأول) دخل باقى الحجاج على مثل حالة من وصل منهم قبل ذلك.

(وفى صبحها يوم الثلاثا) عملوا الديوان بالقلعة واجتمع الأمرا والوجاقلية والمشايخ وقرى المرسوم الذى حضر بصحبة الأغا فكان مضمونه طلب الحلوان والخزينة، وقدر ذلك تسعة آلاف وأربعماية كيس وعشرة آلاف وخمسة وأربعون نصفا فضة تسلم ليد الأغا المعين من غير تأخير.

(وفيه) عملوا على زوجات أمير الحاج ثلاثين ألف ريال وأرسلوا إلى بيت حسن كاشف المعمار فأخذوا ما فيه من الغلال وغيرها لأنه قتل فى معركة العرب مع الحجاج،

وألبسوا زوجته الخاتم قهرا * عنها ليزوجوها لمملوك من مماليك مراد بك، وهى بنت على أغا المعمار، ووجدت على زوجها وجدا عظيما، وأرسلت جماعة لإحضار رمته من قبره الذى دفن فيه فى صندوق على هيئة تابوت.

* إجبار زوجة حسن كاشف المعمار على الزواج من مملوك لمراد بك اسمه سليمان بك المرادى.

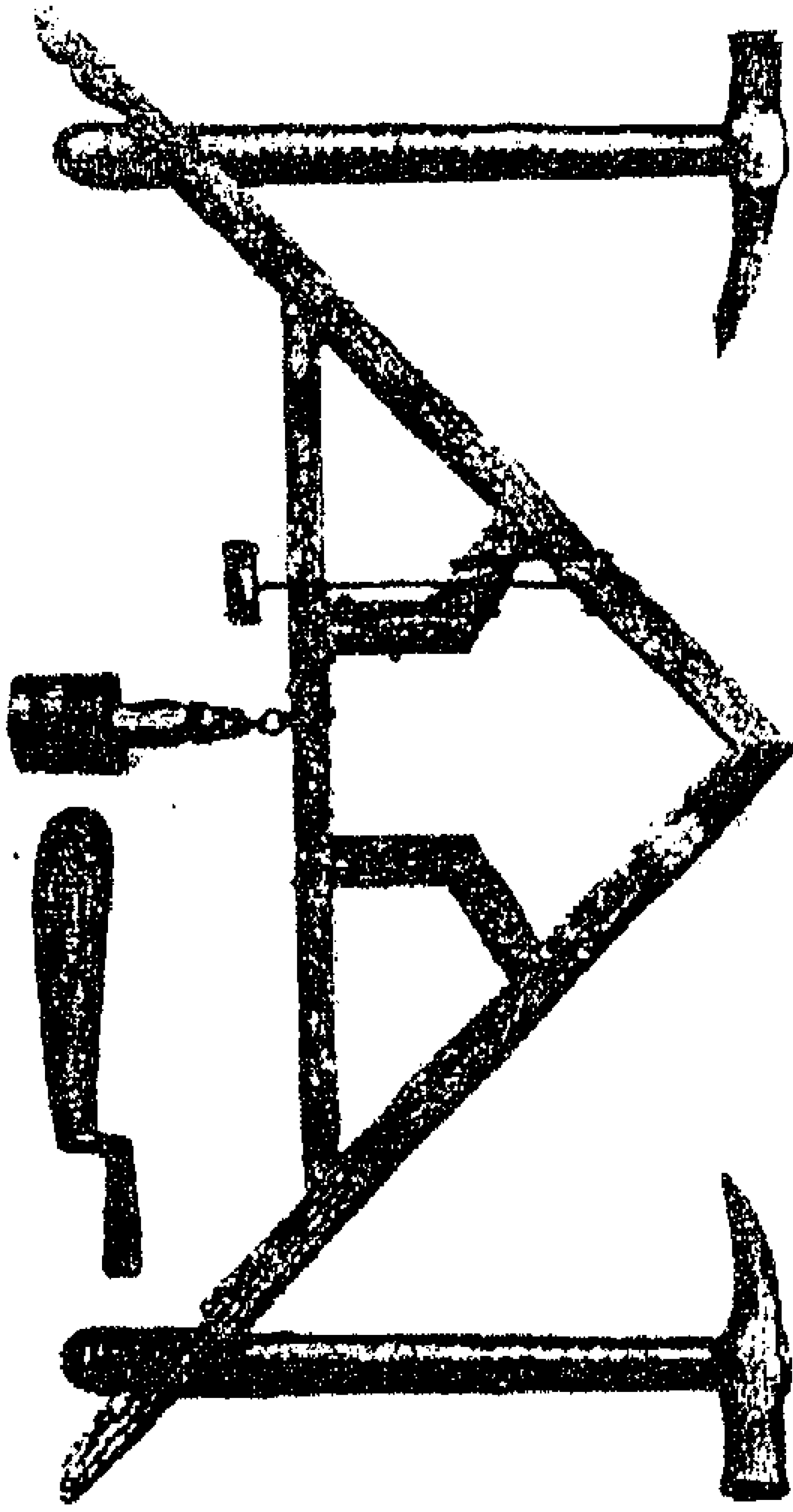
(وفيه) شرع الأمرا فى عمل تفريدة* على البلاد بسبب الأموال المطلوبة وقرروها: «عال وهو أربعماية ريال ووسط ثلثماية والدون ماية وخمسون» وكتبوا أوراقها على الملتزمين ليحصلوها منهم.

* جبايه فرده على البلاد لتوريد مال السلطان.

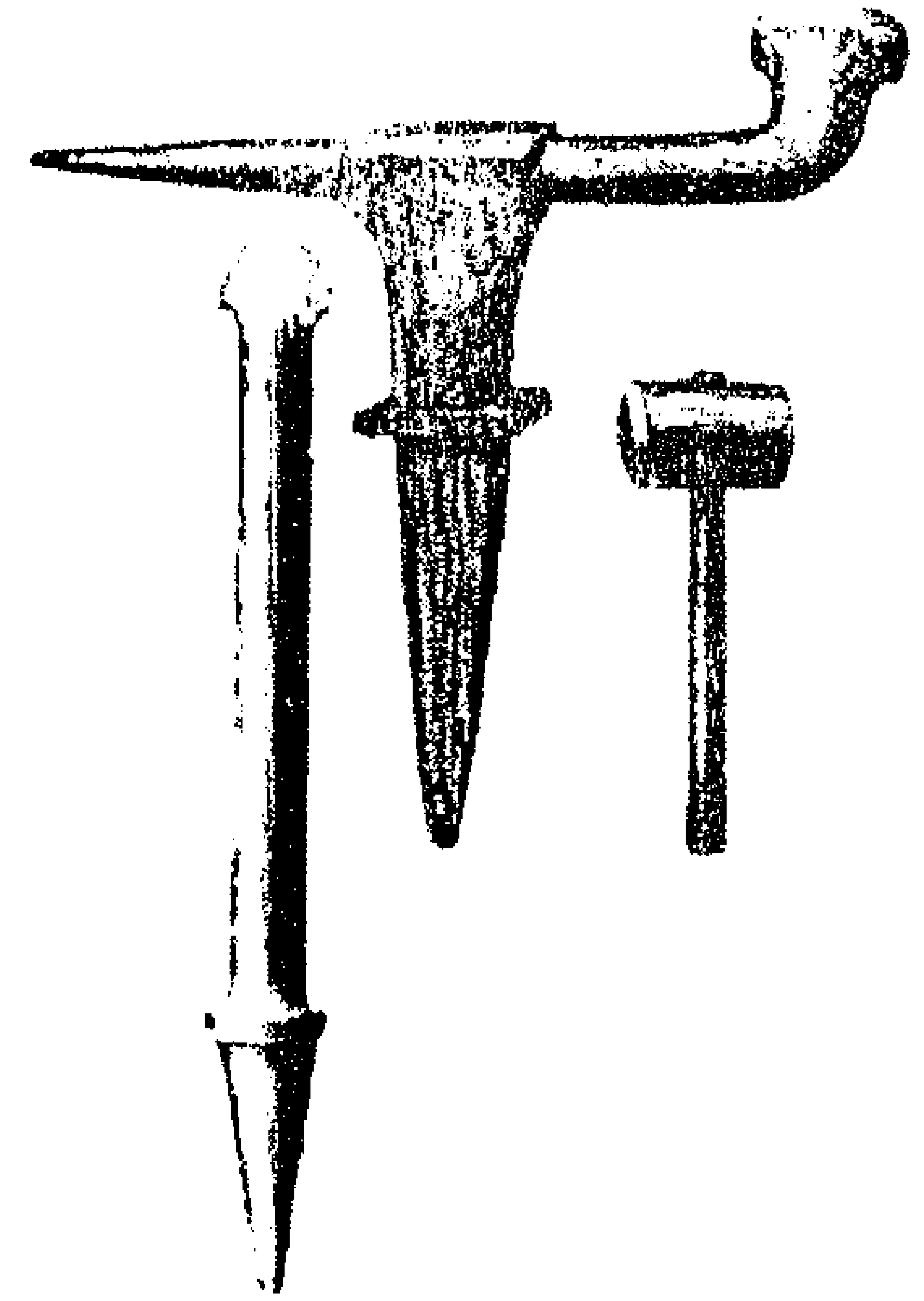
(وفى يوم الخميس) سافر حسن كتخدا أيوب بك بأمان لعثمان بك ليحضره* من غزة ووصل المتسفرون بجثة حسن كاشف المعمار.

* وصول جثة حسن كاشف المعمار. انظر ترجمته التاليه رقم ٥٧٢ وقيام زوجته حفيظه بدفنه عند أبيها على أغا المعمار.

(وفى عشرين جمادى الأولى) وصل عثمان بك طبل الإسماعيلى أمير الحاج إلى مصر مكسوف البال ودخل إلى بيته.



(وفيه) حضر الصدر الأعظم يوسف باشا إلى الاسكندرية ليتوجه إلى الحجاز فاعتنى الأمرا بشأنه وأرسلوا له ملاقاة وتقادم وهدايا وفرشوا له قصر العينى، ووصل إلى مصر وطلع من المراكب إلى قصر العينى وأرسلوا له تقادم وضيافات ثم حضروا للسلام عليه فى زحمة وكبكبه، فخلع على إبراهيم بك ومراد بك خلعا ثمينة، وقدم لهما حصانين بسرجين مرختين، ثم نزل له الباشا المتولى [محمد عزت باشا] بعد يومين وسلم عليه ورجع إلى القلعة، وأقاموا لخفارته عبد الرحمن بك الإبراهيمى، جلس



بالقصر المواجه لقصر العينى وقد تخيلوا من حضوره وظنوا ظنونا.

(وفى يوم الأحد ثالث جمادى الثانية) طلع يوسف باشا إلى القلعة باستدعاء من الباشا المتولى فجلس عنده إلى بعد الظهر ونزل فى موكب حافل إلى محله بقصر العينى، وأرسل له إبراهيم بك ومراد بك مع كتخدايهم هدية وهى: خمسماية أردب قمح وماية أردب أرز وتعبيات أقمشة هندى وغير ذلك، وأقام بالقصر أياما وقضوا أشغاله وهيئوا له اللوازم والمراكب بالسويس، وركب فى أواسط جمادى الثانية وذهب إلى السويس ليسافر إلى جدة من القلزم، وانقضت هذه السنة وحوادثها واستهلت الأخرى.

وأما من مات فيها من الأعيان ومن سارت بذكرهم الركبان

٥٦٩/ محمد أفندى البكرى شيخ السجادة البكرية..

[فمات] نادرة الدهر وغرة وجه العصر، إنسان عين الأقاليم فريد عقد المجد النظيم، جامع الفضايل والمحاسن، ومظهر اسم الظاهر والباطن، من لبس رداء النجابة فى صباه، ولاح عنوان المكارم على صحايف علاه، ولم تقصر عليه أثواب مجده التى ورثها عن أبيه وجده، فعلى جبينه نور النسب يخبر أن خلف الدخان لهب، شعر:

مستيقظ الحزم وارى العزم ثاقبه
هموُمه حين يتلوهن همات
صافى الطوية من غلٍّ يكدرها
وأول المجِد أن تصفو الطوايات

الحسيب النسيب والنجيب الأريب السيد محمد أفندى البكرى الصديقى شيخ سجادة السادة البكرية ونقيب السادة الأشراف بمصر المحمية، تقلد بعد والده المنصبين وورث عنه السيادتين، فسار فيهما سيرة الملوك ونثر فرايد المكارم من أسلاك السلوك، فجوده حدث عن البحر ولا حرج، وبراعة منطقه تنتج سلب الألباب والمهج، مع حسن منظر تتزاحم عليه وفود الأبصار، وفيض نوال تضطرب لغيرتها من البحار، وقد اجتمع فيه من الكمال ما تضرب به الأمثال، وأخباره غنية عن البيان مسطرة فى صحف الإمكان، زمانه كأنه عروس الفلك، فكم قال له الدهر أما الكمال فلك ، ولم يزل كذلك إلى أن آذنت شمسه بالزوال وغربت بعد ما طلعت من مشرق الإقبال، وقطفت زهرة شبابه وقد سقتها دموع أحبابه، ورثاه الألمعى الفاضل السيد عبد الله المرازيقى وأرخه بقوله:

لقد مات من كانت موارد فضله
تعم جميع الخلق فى القرب والبعد
محمد البكرى من فاز وارتقى
كما بشر التاريخ فى جنة الخلد

وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الثانى، وخرجوا بجنازته من بيتهم بالأزبكية، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ،ودفن عند أجداده بجوار الإمام الشافعى رضى الله عنه، وبالجملة فهو كان مسك الختام، قلما تسمح بمثله الأيام، ولما مات تولى سجادة الخلافة البكرية ابن خاله سيدى الشيخ خليل أفندى وتقلد النقابة السيد عمر أفندى الأسيوطى، شعر.

حلف الزمان ليأتين بمثله
حَنُثَت يمينك يا زمان فكفر

٥٧٠/ احمد بن موسى العروسى، شيخ الجامع الأزهر

(ومات) علامة العلوم والمعارف، وروضة الآداب الوريقة، وظلها الوارف جامع المزايا والمناقب شهاب الفضل الثاقب الإمام العلامة الشيخ أحمد بن موسى بن داود أبو الصلاح العروسى الشافعى الأزهرى، ولد سنة ثلاث وثلاثين وماية وألف، وقدم الأزهر فسمع على الشيخ أحمد الملوى الصحيح بالمشهد الحسينى، وعلى الشيخ عبد الله الشبراوى الصحيح والبيضاوى والجلالين، وعلى السيد البليدى البيضاوى فى الأشرفية، وعلى الشمس الحفنى الصحيح مع شرحه للقسطلانى ومختصر ابن أبى جمرة والشمايل وابن حجر على الأربعين والجامع الصغير، وتفقه على كل من الشبراوى والعزيزى والحفنى والشيخ على قايتباى الأطفيحى والشيخ حسن المدابغى والشيخ سابق والشيخ عيسى البراوى والشيخ عطية الأجهورى، وتلقى بقية الفنون عن الشيخ على الصعيدى لازمه السنين العديدة وكان معيدا لدروسه وسمع عليه الصحيح بجامع مرزه ببولاق، وسمع من الشيخ ابن الطيب الشمايل لما ورد مصر متوجها إلى الروم، وحضر دروس الشيخ يوسف الحفنى والشيخ إبراهيم الحلبى وإبراهيم بن محمد الدلجى، ولازم الشيخ الوالد وأخذ عنه وقرا عليه فى الرياضيات والجبر والمقابلة وكتاب الرقايق للسبط وقوللى زاده على المجيب وكفاية القنوع والهداية وقاضى زاده وغير ذلك، وتلقن الذكر والطريقة عن السيد مصطفى البكرى ولازمه كثيراً، واجتمع بعد ذلك على ولى عصره الشيخ أحمد

العريان فأحبه ولازمه واعتنى به الشيخ وزوجه إحدى بناته وبشره بأنه سيسود ويكون شيخ الجامع الأزهر، فظهر ذلك بعد وفاته بمدة لما توفى شيخنا الشيخ أحمد الدمنهورى واختلفوا فى تعيين الشيخ فوقعت الإشارة عليه واجتمعوا بمقام الإمام الشافعى رضى الله عنه كما تقدم واختاروه لهذه الخطة العظيمة، فكان كذلك، واستمر شيخ الجامع على الإطلاق وريسهم بالاتفاق يدرس ويعيد ويملى ويفيد، ولم يزل يراعى للحقير حق الصحبة القديمة والمحبة الأكيدة، وسمعت من فوايده كثيراً ولازمت دروسه فى المغنى لابن هشام بتمامه، وشرح جمع الجوامع للجلال المحلى، والمطول وعصام على السمرقندية، وشرح رسالة الوضع وشرح الورقات وغير ذلك، وكان رقيق الطباع مليح الأوضاع لطيفا مهذبا إذ تحدث نفث الدر، وإذا لقيته لقيت من لطفه ما ينعش ويسر،وقد مدحه شعرا عصره بقصايد طنانة، ومن كلامه ما كتبه مقرظا على رياض الصفا لشيخنا السيد العيدروس هذان البيتان:

أخى طالعن فى رياض الصفا
وكن واردا فى مياه الوفا
وقل يا إلهى سلم لنا
وجيها حباه كمال اصطفا

وكتب على تنميق السفر له مضمنا ما نصه:

كتاب على السحر البيان قد انطوى
وحكمة شعرمنه تبدو فضائله
وتنميق أسفار لحضرة سيد
هو البحر علما وافر العقل كامله

إذا رمت أسرار البلاغة فهى فى
قصائده الحسنى التى لا تماثله
عرائس أفراح وعقد جمانها
بمختصر المدح المطول قائله
وانى وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه أوائله

وكتب على النفحة ما نصه:
نفحة المولى الوجيه العيدروس
نشرها يحيا به موت النفوس
عطر باهىّ وذاك عرفه
ذكر الأرواح عهدا قد تنوسى
جمعت من غرر العرفان ما
فاق أبهى درر العقد النفيس

وله أيضاً وقد كتب على تنميق الأسفار له:
ألاح برق المنا عن ضوء إسفار
أم أشرق الكون من تنميق أسفار
أم اليواقيت قد جاءت منظمة
فى عقد در بدا فى بعض أسفار
إنى لأقسم الرحم مدحى
عبده الذى سره بين الورى سارى
العيدروسىّ ذو الفضل الجليل وذو
المجد العلى وسر الخالق البارى
إن الذى صاغه من نور تكرمة
من جوهر عزّلا من نظم أشعار

(وله أيضا عليه):

أسِـــرٌ لائــــح ســــارى
ســرى فــى نــوره الــســارى
ونـــورٌ بـــاهـــر بـــاه
بــه زَنــدُ الــهــوى وارى(*)
وبـــــدرٌ ســــرٌ زاهٍ
بــدا فــى حــســن أســفــار
وعــقــد الجــوهــر المــكــنــو
ن أم تــنــمــيــق أســفــار
كــتــاب بــل عُــبــاب فــيــه
فُــلْــك لــلــهــوى جــارى

(*) ورى الزند: اشتعلت ناره.

ومن كلامه يمدح الأستاذ عبد الخالق بن وفا:

شموس لها أفق السعادة مطلع
أبت فى سوى برج السعادة تطلع
معارج فضل ليس يرقى سنامها
سوى مفرد فى عزه ليس يشفع
سما أفقها السامى أولو المجد والوفا
وصد سواهم عن سناها وصدعوا
كواكب هَدْى قد أضاء بنورهم
سبيل لمن يبغى الرشاد ومهيع(*)
هم السادة الأمجاد والقادة الأُلى
بكل كمال جُلْببوا وتدرعوا
هم الشاربو راح التقرب والصفا
وكاسهم الأصفى مدى الدهر مُتْرَع

(*) المهيع: الطريق الواضح.

وهى طويلة:

ومما ينسب إليه هذا التوشيح:

ماس غصن البان زاهي الخد وتثني معجبا
بين أفنان النقا والرّندْ وأثيلات الربا
خلتُ بدرا فوق غصن مائس
قد أمالته نسيمات الصبا

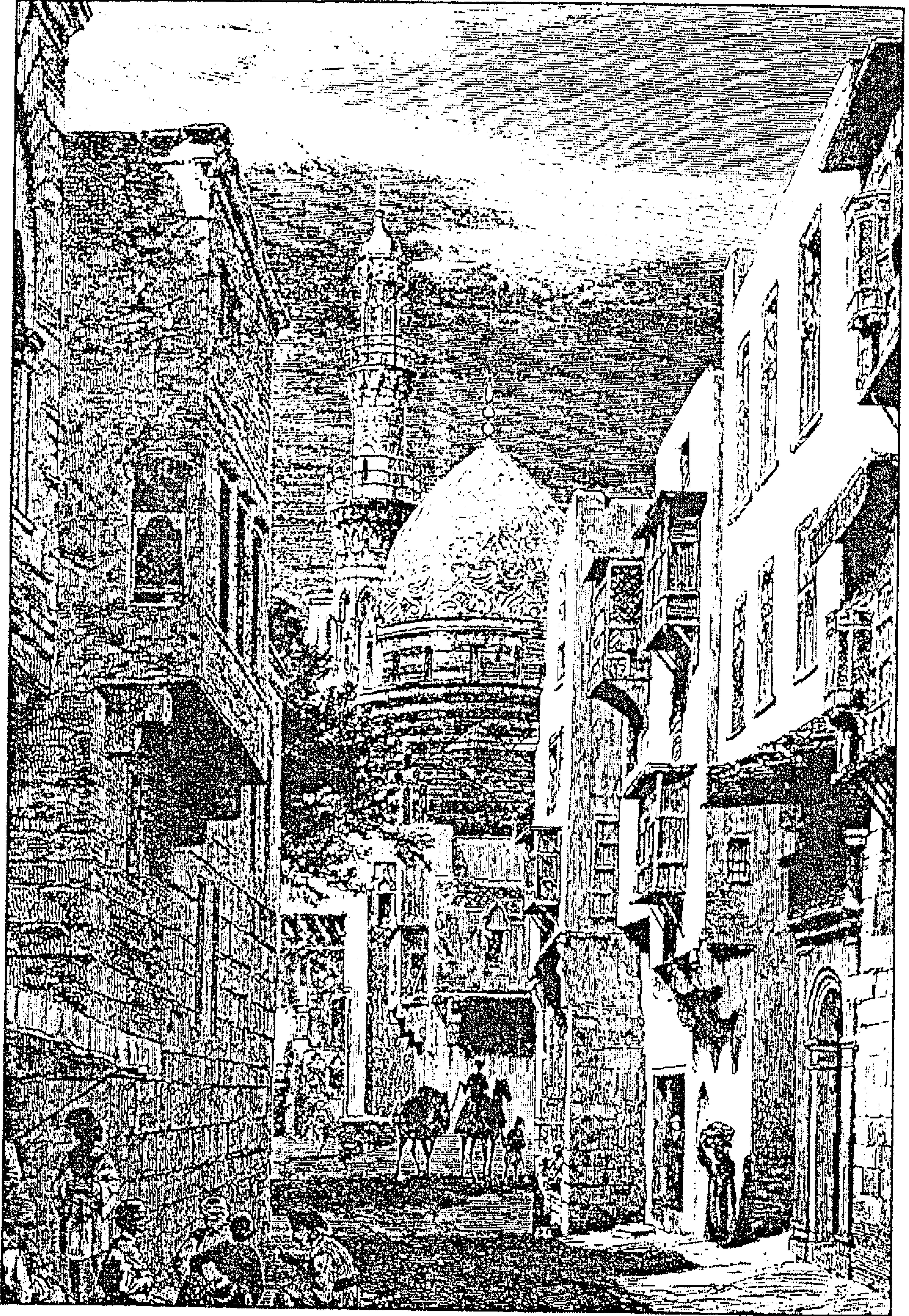
وهو مشهور غاية الاشتهار فى الأغانى* والأوتار فلا حاجة إلى ذكره بتمامه، وسمعته مرة يقول: ما زلت أنظم الشعر حتى ظهر الشيخ قاسم الأديب ببلاغته فعند ذلك تركته، ولم تزل كوس فضله على الطلبة مجلوة، حتى ورد موارد الموت فبدلت بالكدر صفوه وأىّ صفا لا يكدره الدهر؟ ودعاه الله تعالى بجوار الجنان وتلقاه جدثه بروح رحمة ورضوان، وذلك فى حادى عشرين شعبان، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل، ودفن بمدفن صهره الشيخ العريان تغمدهما الله بالرحمة والرضوان، ومن تآليفه شرح على نظم التنوير فى إسقاط التدبير للشيخ الملوى، وهو نظم، وحاشية على الملوى على السمرقندية وغير ذلك. وخلف أولاده الأربعة كلهم فضلا أذكيا نبلا أحدهم الذى تعين بالتدريس فى محله بالأزهر العلامة اللوذعى والفهامة الألمعى شمس الدين السيد محمد، وأخوه النبيه الفاضل المتقن شهاب الدين السيد أحمد، وأخوه الذكى اللبيب والفهيم النجيب السيد عبد الرحمن، والنبيه الصالح والمفرد الناجح السيد مصطفى، بارك الله فيهم،ولما توفى المترجم رحمه الله رثاه صاحبنا العلامة والعمدة الفهامة السيد إسماعيل الوهبى الشهير بالخشّاب بقوله:

* من الأغانى المشهورة وقت الجبرتى.

وصدع أركان العلا وتقوضت
لذاك عروش الغير ثم جوانبه
وغادر ضوء الصبح أسود حالكا
كأن الدجى ليست تزول غياهبه
ألم تر أن الأرض مادت بأهلها
وأن الفرات العذب قد غُصَّ شاربه
سطت نُوَبُ الأيام بالعَلَم الذى
تزال به عن كل شخص نوائبه
عجبت لهم أنى أقلوا سريره
وقد ضم طودا يقاربه
وكيف ثوى البحر الخضم بحفرة
وضاق بجدواه الفضا وسبابه
خليلى قوما فابكيا لمصابه
بمنهل دمع ليس ترقا سواكبه
لقد آد إذ أودى وأعقب مذ مضى
أسى يجعل الأحشا جُذاذا تعاقبه
وأى شهاب ليس يخبو ضياؤه
وأى حسام لاتفل مضاربه
وأى فتى أيدى المنية أفلتت
وأى فتى وافته يوما مآربه
وماذا عسى تبغى من الدهر بعدما
أصمّت(*) وأصْمَت كله قلب مصائبه
يعز علينا أن نراه ببرزخ
تمازج تربَ الأرض فيه ترايبه
سقى قبره الغيثُ الملِثُّ وأمطرت
عليه من الرضوان سحا سحايبه

(*) أصمى : رماه فقتله مكانه.

تغير وجه الدهر وازور جانبه
وجاءت بأشراط المعاد عجايبه
وكدر صفو العيش وقع خطوبه
وقد كان وِرْداً صافيات مشاربه
فمالى لا أذرى المدامع حسرة
وأفق سماء المجد تهوى كواكبه
ومالى لا أبكى على فقد ذاهب
موصلة لله كانت مذاهبه
إمامُ هدى للهَدْى كان انتدابه
فلا كان يوم فيه قامت نوادبه
أغرّسنى شمسِ الضحى دون وجهه
وفوقَ مناط الفرقدين مراتبه
حليفُ ندىً كالسيل سَيْب يمينه
وكالبحر تجرى للعُفَاة مواهبه
أخو ثقة بالله فى كل موطن
على أنه ما انفك خوفا يراقبه
له عفو ذى حلم ورأى أخى نُهىً
يضىء لدى محلولك الخطب ثاقبه
على نهج أهل الرشد عاش وقد مضى
مطهرة أردانه وجلاببه
فمن ذا الذى ندعو لكل ملمة
ونرجو إذا ما الأمر خيفت عواقبه
ومن ذا لإيضاح المسائل بعده
وحل عُرا ما قَبْلَ أعيت مطالبه
لقد هُدَّ ركن الدين حادثُ فقده
وشابت له من كل طفل ذوايبه



* احد شوارع القاهرة القديمة.

وحـل بـفـردوس الجنـان منـعـمـا
ولاقـتـه فـيـه حـوره وكـواعـبـه

٥٧١/ محمود بن محرم.

(ومات) الخواجة المعظم والملاذ المفخم جايز رتب الكمال وجامع مزايا الإفضال سيدى الحاج محمود بن محرم، أصل والده من الفيوم واستوطن مصر وتعاطى التجارة وسافر إلى الحجاز مرارا، واتسعت دنياه وولد له المترجم فتربى فى العز والرفاهية، ولما ترعرع وبلغ رشده وخالط الناس وشارك وباع واشترى وأخذ وأعطى وظهرت فيه نجابة وسعادة، حتى كان إذا مسك التراب صار ذهبا، فانجمع والده وسلم له قياد الأمور، فاشتهر ذكره ونما أمره وشاع خبره بالديار المصريةوالحجازية والشامية والرومية، وعرف بالصدق والأمانة والنصح، فأذعنت له الشركا والوكلا ووثقوا بقوله ورأيه، وأحبه الأمرا المصرية وتداخل فيهم بعقل وحشمة وحسن سير وفطانة ومدادراة وتؤدة وسياسة ولطف وأدب وحسن تخلص فى الأمور الجسيمة، وعمّر داره ووسعها وأتحفها وزخرفها وأنشأ بها قاعة عظيمة وأمامها فسحة مليحة الشكل، وحول القاعة بستان بديع المثال،وهى مطلة عليه من الجهتين.

وزوج ولده سيد أحمد الموجود الآن وعمل له مهما عظيما دعا إليه الأكابر والأعيان والتجار، وتفاخر فيه إلى الغاية، وعمر مسجدا بجوار بيته بالقرب من حبس الرحبة، فجاء فى غاية الإتقان والحسن والبهجة، ووقف عليه بعض جهات ورتب فيه وظايف وتدريسا، وبالجملة كان إنسانًا حسنا وقورا محتشما جميل الطباع مليح الأوضاع، ظاهرالعفاف كامل الأوصاف، حج فى هذه السنة من القلزم ورجع فى البر مع الحجاج فى إمارة عثمان بك

الشرقاوى على الحج فى أحمال مجملة وهيئة زايدة مكملة، فصادفتهم شوبه حر شديد فقضي عليه فيها، ودفن بالخيوف(*)، ولم يخلف فى بابه مثله، رحمه الله. وللعلامة الشيخ مصطفى الصاوى مدايح فى المترجم فمن ذلك قوله فى التهنئة بالفرح:

بشرى بأفراح المنى والمنن
لاحت علينا بالسرور الحسن
ومعاهد الأكوان فاحت بالشذا
مسكا وطيبا فى العلا والسكن
وذكا نسيم الأنس من نفحاته
فسرى إلى أرواحنا والبدن
وغصون أزهار التهانى أزهرت
فتزينت روضاتها بالفتن
وشموس صفو الحظ فيها أشرقت
فى طالع السعد العلى المقترن
وثغور وجه المكرمات تبسمت
حتى أمالت مائسات الغصن
وطوير أرواح الهنا قد غردت
غنت بلحن مابه من لحن
يا صاح ذا داعى المسرة والهنا
قد صاح يشدو فى العلا بالعلن
هى ساحة الجود الجواد المرتقى
للجود والكرم البهى والقمن
فى ساحة قد سح غيث هباتها
بيضا وصفرا غاليات الثمن

(*) الخيوف: هى خيف سلام بلدة قرب عسفان وخيف النعم أسفل منه وخيف ذى القبر أسفل منه أيضاً. عسفان (كعثمان) موضع على مرحلتين من مكة.

حسن الفعال صفاته ممدوحة
فالفيض والإحسان فالوصف سنى
وجزيل إعطاء بجود مكارم
وجميل ذات مثلها لم يكن
أخلاقه فى الخلق أهدت عطفه
لطفا لرقة لطفه المستكن
ساحاته للاجتماع مواسم
ورحاب رحب بل أمان أمن
راحاته للطالبين مريحة
فله اليد العليا بفرض السنن
أفراحه للوافدين مقاصد
فيها عطا يكفى فقيرا وغنى
قد عطرت كل الحمى بعبيرها
طيبا وشكرا باللسان اللسن
فرح به فرح القلوب وغوثها
والغيث بالقطر الغزير الهتن
عرس به غرس الثناء بدوحة
فيها المواهب ضمن أعلى سنن
فلك الهنا فى مصرنا بمكارم
سارت بها الركبان فوق البدن
تفديك من ريب الزمان حواسد
من كل ذى جسد قبيح ودنى
وإليك أهدى مصطفى من فكره
تحفا تزف على طويل الزمن
من حسنها لاح الهناء مورخا
فرح السرور مع الندى من حسن

وله فيها أيضاً تهنئة بعيد النحر وهو قوله:

زمان التهانى فى حمى الحى مشهود
وأنس الهنا من واثق العهد معهود
وطيب الشذا فى الكون فاح نسيمه
عبير ربيع عطره المسلك والعود
وشمس الأمانى أشرقت فى بروجها
فوق المنى فى طالع السعد مسعود
وثغر وجوه الأنس أصبح ضاحكا
وغيث الأمانى للبشائر مورود
فياصاح داعى الصفو قد صاح فى العلا
تبسمت الأيام والبشر معمود
بساحة محمود الفعال فوصفه
حميد عليه باللوا المدحُ معقود
جليل جميل الذات فى الحسن كامل
فمن نوره حسنا ضياء البدر مخمود
جزيل العطايا فى علا الجود مفرد
وحيد وللإحسان والخير مقصود
كريم المزايا والمكارم والبها
مليح السجايا للمحامد موفود
عظيم مهاب شرف الله قدره
فأوصافه الإحسان والمجد والجود
جواد إذا قسناه بالبحر فى الندى
فإن الندى يرتاح والبحر مجهود
لقد ساد أقرانا وأبدى مآثرا
وأسدى هبات فيضها منه ممدود

وحاز اليد العليا فإن بسطت له
يد من فقير فهو بالرفد مرفود
ينادى كمال المكرمات ببابه
لباغى الندى أقبل ففقرك مردود
بساحته الأيام عيد مواسم
فناظره فى ليلة القدر موعود
فإنى وإن بالغت فى الحمد والثنا
لأعجزنى فى المدح حد ومحدود
فياسيدا دامت عليه سيادة
وخير مليك بالسعادة موعود
ويا بهجة الأعياد يا تحفة الورى
ويا نخبة الآباء والد ومولود
فما العيد إلا أن تراك عيوننا
بعز وإكرام وعيشك مرغود
وهذى سيوف العزقم وانحر العدا
فهن الفدا فاعلم فشانيك مفقود
فتقديك من ريب الزمان حواسد
ولكن خيرالناس من هو محسود
وفى قابل نرجو تكون ملبيا
تحج ببيت الله ثم تعود
فدم وابق واسلم كل عام مع الهنا
وعش مطمئنا أنت للفضل مقصود
ووافاك داعى السعد لاح مؤرخا
فيا سعدنا عيد المسرة محمود

وله فيه غير ذلك.

٥٧٢/ حسن كاشف المعمار.

(ومات) الأمير حسن كاشف المعمار، وأصله مملوك محمود بك وأعطاه لعلى أغا المعمار، أخذه صغيراً ورباه ودربه فى الأمور وزوجه ابنته، وعمل لزواجهما مهما وولايم، ولما مات سيده قام مقامه وفتح بيته ووضع يده على تعلقاته وبلاده ونما أمره وانتظم فى سلك الأمرا المحمدية لكونه فى الأصل مملوك محمد بك وخشداشهم، وكان ريساً عاقلا ساكن الجأش جميل الصورة واسع العينين أحورهما، ولما حج فى هذه السنة وخرجت عليهم العرب ركب وقاتلهم حتى مات شهيداً، ودفن بمغاير شعيب ونهب متاعه وأحماله وحزنت عليه زوجته الست حفيظة ابنة على أغا حزنا شديداً، وأرسلت مع العرب ونقلته إلى مصر ودفنته عند أبيها بالقرافة، وزوجته المذكورة هى الآن زوجة لسليمان بك المرادى.

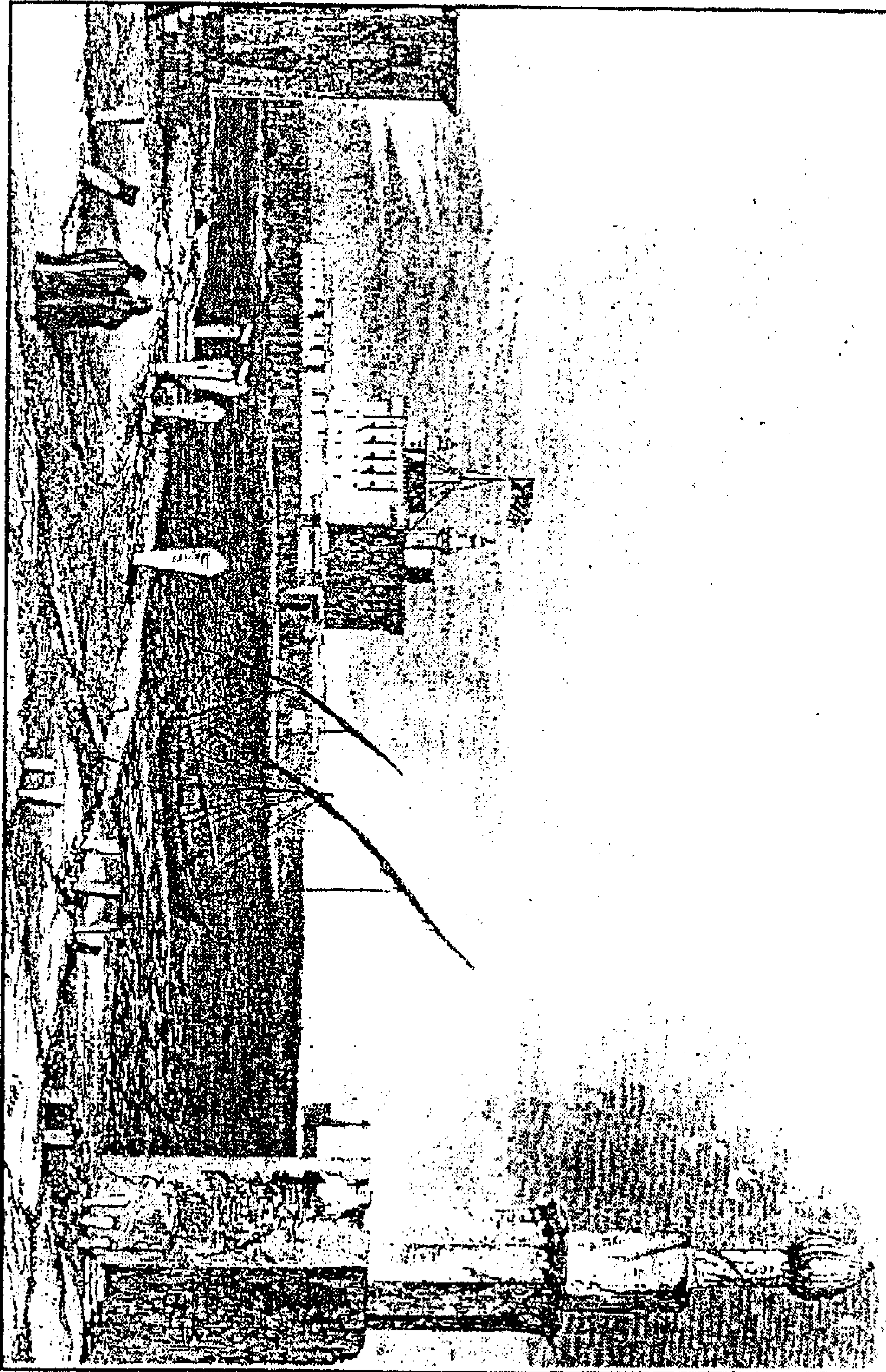
٥٧٣/ شاهين بك الحسينى.

(ومات) الأمير شاهين بك الحسنى، وقد تقدم أنه كان حضر إلى مصر رهينة، وسكن ببيت بالقرب من الموسكى، وهو مملوك حسن بك الجداوى أمّره أيام حسن باشا، وسكن ببيت مصطفى بك الكبير الذى على بركة الفيل المعروف سابقاً بشكريره، وصار من جملة الأمرا المعدودين، ولما مات إسماعيل بك وحصل ما تقدم من قدوم المحمديين وخروجهم، فحضر المترجم صحبه عثمان بك الشرقاوى رهينة عن سيده وأقام بمصر، وكان سبب موته أن إنسانا كلمه عن أصول الصبغة التى تنبت بالغيطان ولها ثمر يشبه عنب الذيب فى عناقيد يصنع منه الفراشون مياه القناديل فى المواسم والأفراح وإن من أكل من أصولها شيأ أسهله إسهالا مفرطا ولم يذكر له المسكن لذلك، ولعله كان يجهله فأرسل من أتى له بشى منها من البستان وأكل

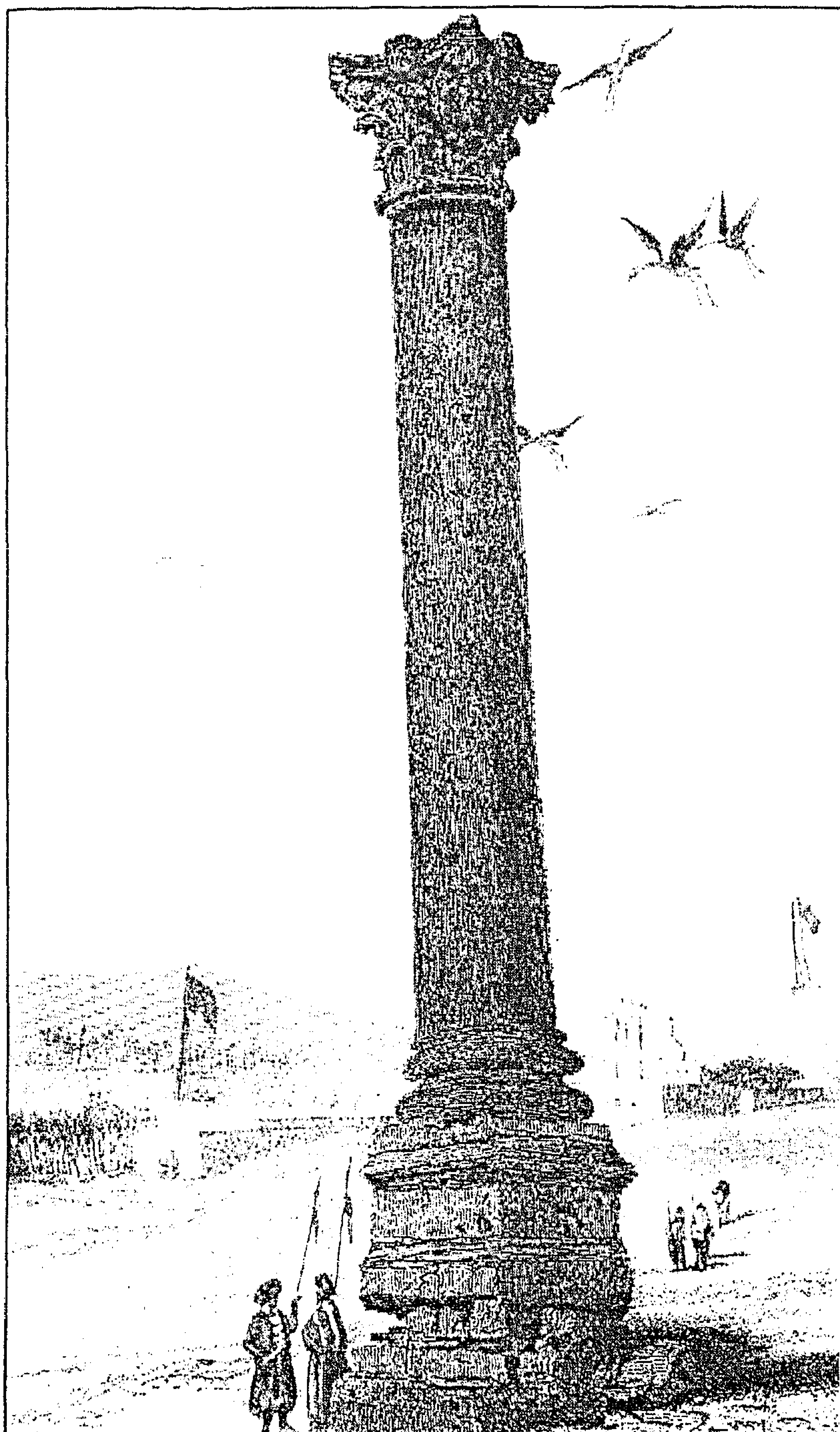
منه فحصل له إسهال مفرط حتى غاب عن حسه، ومات، وتسكين فعلها إذا بلغت غايتها أن يمتص شيأ من الليمون المالح فإنها تسكن فى الحال ويفيق الشخص كأن لم يكن به شى.

٥٧٤/ أحمد بك.

(ومات) الأمير أحمد بك الوالى بقبلى وهو أيضاً مملوك حسن بك الجداوى وقد تقدم ذكره ووقايعه مع أهل الحسينية وغيرهم فى أيام زعامته.



* الاسكندرية. القلعة والفنار.



؛ عمود السوارى بالاسكندرية

الجبرتى/ سنة ١٢٠٨ هـ

سنة تسع ومايتين وألف

لم يقع بها شي من الحوادث الخارجية سوى جور الأمرا وتتابع مظالمهم، واتخذ مراد بك الجيزة سكنا وزاد فى عمارته واستولى على غالب بلاد الجيزة بعضها بالثمن القليل، وبعضها غصباً، وبعضها معاوضة، واتخذ صالح أغا أيضا له داراً بجانبه وعمرها وسكنها بحريمه ليكون قريباً من مراد بك.

*وفا النيل ٢٠ مسرى

(وفى سابع عشرين المحرم الموافق لعشرين شهرمسرى القبطى) أوفى النيل أذرعه وكسرالسد فى صبحها بحضرة الباشا والأمرا وجرى الماء فى الخليج.

[١٣٣] صالح باشا.

(وفى شهر صفر) ورد الخبر بوصول صالح باشا والى مصر إلى إسكندرية وأخذ محمد باشا فى أهبة السفر، ونزل وسافر إلى جهة إسكندرية.

١٢٠٩هـ
١٥١٠ق.
١٧٩٤م
غاية الفيضان ٩ قيراط/ ١٩ ذراع
١ ـ توت ١٥١١ = ٩ سبتمبر سنة ١٧٩٤ = الثلاث ١٣ صفر سنة ١٢٠٩.
فى ٣٠ ربيع أول وصول صالح باشا القيصرلى، الوالى الجديد، إلى المحروسة.

(وفى عشرين شهر ربيع الأول) وصل صالح باشا إلى مصر وطلع إلى القلعة.

(وفى أواخره) ورد الخبر بوصول تقليد الصدارة إلى محمد باشا عزت المنفصل عن مصر وورد عليه التقليد وهو بإسكندرية وكان صالح أغا الوكيل ذهب صحبته ليشيعه اسكندرية فأنعم فرمان مرتب على الضربخانة باسم حريمه ألف نصف فضة فى كل يوم.

(وفى ليلة السبت خامس عشر ربيع الثانى)أمطرت السماء مطراً غزيراً قبل الفجر وكان ذلك آخر بابه القبطى.

(وفى شهر الحجة) وقع به من الحوادث أن الشيخ الشرقاوى له حصة فى قرية بشرقية بلبيس حضر إليه أهلها وشكوا من محمد بك الألفى، وذكروا أن أتباعه حضروا إليهم وظلموهم وطلبوا منهم ما لا قدرة لهم عليه واستغاثوا بالشيخ فاغتاظ وحضر إلى الأزهر وجمع المشايخ وقفلوا أبواب الجامع وذلك بعد ماخاطب مراد بك وإبراهيم بك فلم يبديا شيئاً، ففعل ذلك فى ثانى يوم وقفلوا الجامع وأمروا الناس بغلق الأسواق والحوانيت، ثم ركبوا فى ثانى يوم واجتمع عليهم خلق كثير من العامة وتبعوهم وذهبوا إلى بيت الشيخ السادات، وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة بحيث يراهم إبراهيم بك وقد بلغه اجتماعهم، فبعث من قبله أيوب بك الدفتردار فحضر إليهم وسلم عليهم ووقف بين يديهم وسألهم عن مرادهم! فقالوا له نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها وأحدثتموها، فقال لا يمكن الإجابة إلى هذا كله فإننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات، فقيل له هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس، وما الباعث على الإكثار من النفقات وشرا المماليك، والأمير يكون أميراً بالإعطا لا بالأخذ، فقال حتى أبلغ وانصرف، ولم يعد لهم بجواب، وانفض المجلس وركب المشايخ إلى الجامع الأزهر واجتمع أهل الأطراف من العامة والرعية وباتوا بالمسجد، وأرسل إبراهيم بك إلى المشايخ يعضدهم

فى ربيع أول/ سبتمبر اكتشف هرشيل خامس وسادس أقمار أورانوس وفى ١٥ رجب معاهدة الصلح بين فرانسا والتوسكانه وفى ٢٥ يناير أعظم درجة للبرودة فى باريس بلغت ٢٣,٥ منينية تحت الصفر وفى ١٧ رمضان الحكومة العرفية الفرنساوى اقرت على استعمال المقاييس والمكاييل والموازين والمعاملة بمقتضى الطريقة العشرية.

١ يناير ١٧٩٥ = ٢٥ كيهك ١٥١١ = الخميس ٩ جماد الثانى ١٢٠٩.

فى ٩ شوال تولى صالح باشا القيصرلى بدلا عن محمد عزت باشا، الذى كانت مدته ٤ سنة و١ شهر و٩ يوما.

فى ذو القعدة / مايو كان سعر الريال الأبى طاقة ١٥٥ نصفا فضة، وكان ابتداء تسميته بريال فرانسا

فى [ذى القعدة] بسبب ما حصل من محمد بك الزلفى من الظلم لأهل الشيخ الشرقاوى اجتمعت علماء الأزهر وقفلت أبوابه ونادت بغلق الأسواق.

ويقول لهم أنا معكم وهذه الأمور على غيرخاطرى ومرادى، وأرسل إلى مراد بك يخيفه عاقبة ذلك. فبعث مراد بك يقول أجيبكم إلى جميع ما ذكرتموه إلا شيئين ديوان بولاق وطلبكم المنكسر من الجامكية، ونبطل ما عدا ذلك من الحوادث والظلم، وندفع لكم جامكية سنة تاريخه أثلاثا، ثم طلب أربعة من المشايخ عينهم بأسمايهم فذهبوا إليه بالجيزة فلاطفهم والتمس منهم السعى فى الصلح على ما ذكر، ورجعوا من عنده وباتوا على ذلك تلك الليلة، وفى اليوم الثالث حضر الباشا إلى منزل إبراهيم بك واجتمع الأمرا هناك وأرسلوا إلى المشايخ فحضر الشيخ السادات والسيد النقيب والشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى والشيخ الأمير، وكان المرسل إليهم رضوان كتخدا إبراهيم بك فذهبوا معه ومنعوا العامة* من السعى خلفهم، ودار الكلام بينهم وطال الحديث وانحط الأمر على أنهم تابوا ورجعوا والتزموا بما شرطه العلما عليهم، وانعقد الصلح على أن يدفعوا سبعمائة وخمسين كيسا موزعة، وعلى أن يرسلوا غلال الحرمين ويصرفوا غلال الشون وأموال الرزق، ويبطلوا رفع المظالم المحدثة والكشوفيات والتفاريد والمكوس ما عدا ديوان بولاق وأن يكفوا أتباعهم عن امتداد أيديهم إلى أموال الناس، ويرسلوا صرة الحرمين والعوايد المقررة من قديم الزمان، ويسيروا فى الناس سيرة حسنة، وكان القاضى حاضراً بالمجلس فكتب حجة عليهم بذلك وفَرْ مَنَ عليها الباشا وختم عليها إبراهيم بك وأرسلها إلى مراد بك فختم عليها أيضًا، وانجلت الفتنة، ورجع المشايخ وحول كل واحد

* العامة والمشايخ تجبر مراد بك وإبراهيم بك على توقيع تعهد بعدم الجور والظلم فى الناس

منهم وأمامه وخلفه جملة عظيمة من العامة، وهم ينادون حسب ما رسم ساداتنا العلما بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية، وفرح الناس وظنوا صحته وفتحت الأسواق وسكن الحال على ذلك نحو شهر، ثم عاد كل ما كان مما ذكر وزيادة، ونزل عقيب ذلك مراد بك إلى دمياط وضرب عليها الضرائب العظيمة وغير ذلك.

ذكر من مات فى هذه السنة

٥٧٥/ احمد بن محمد السمنودى.

(ومات) الإمام العلامة والرحالة الفهامة بقية المحققين وعمدة المدققين الشيخ المعمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الوهاب السمنودى المحلى الشافعى، من بيت العلم والصلاح والرشد والفلاح وأصلهم من سمنود،ولد هو بالمحلة وقدم الجامع الأزهر وحضر على الشمس السجينى، والعزيزى والملوى والشبراوى، وتكمل فى الفنون الغريبة وتلقى عن السيدِ على الضرير والشيخ محمد الغلانى الكشناوى مشاركا للشيخ الوالد، والشيخ إبراهيم الحلبى،وعاد إلى المحلة فدرس فى الجامع الكبير مدة، ثم أتى إلى مصر بأهله وعياله ومكث بها واقرا بالجامع الأزهر درساً، وتردد إلى الأكابر والأمرا وأجلوه، وقرا فى المحمدية بعد موت الشنويهى فى المنهج وانضوى إلى الشيخ أبى الأنوار السادات، ويأتى إليه فى كل يوم، وكان إنساناً حسناً بهى الشكل لطيف الطباع عليه رونق وجلالة، جميل المحادثة حسن الهيئة. توفى بعد أن تعلل دون شهر عنماية وست عشرة سنة كامل الحواس إذا قام

نهض نهوض الشباب، ودفن ببستان المجاورين، وكان يتكتم سنى عمره، رحمه الله

٥٢٦ / احمد يونس الخليفى.

(ومات) الإمام العلامة واللوذعى الفهامة رئيس المحققين وعمدة المدققين النحوى المنطقى الجدلى الأصولى الشيخ أحمد بن يونس الخليفى الشافعى الأزهرى من قرابة الشهاب الخليفى، ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف كما سمعته من لفظه، وقرا القرآن وحفظ المتون وحضرعلى كل من الشبراوى والحفنى وأخيه الشيخ يوسف والسيد البليدى والشيخ محمد الدفرى والدمنهورى وسالم النفراوى والطحلاوى والصعيدى، وسمع الحديث على الشهابين الملوى والجوهرى، ودرس وأفاد بالجامع الأزهر، وتقلد وظيفة الإفتا بالمحمدية عندما انحرف يوسف بك على الشيخ حسن الكفراوى كما تقدم، فاتخذ الشيخ أحمد أبا سلامة أميناً على فتاويه لجودة استحضاره فى الفروع الفقهية. وله مؤلفات منها حاشية على شرح شيخ الإسلام على متن السمرقندية فى آداب البحث، وأخرى على شرح الملوى فى الاستعارات، وأخرى على شرح المذكور على السلم فى المنطق، وأخرى على شرح شيخ الإسلام على آداب البحث وأخرى على شرح الشمسية فى المنطق، وأخرى على متن الياسمينية فى الجبر والمقابلة، وشرح على أسماء التراجم ورسالة فى قولهم: واحدٌ لا من قلة وموجود لا من علة. ورسالة متعلقة بالأبحاث الخمسة التى أوردها الشيخ الدمنهورى، ولازم الشيخ الوالد مدة وتلقى عنه بعض العلوم الغريبة وكملها بعد وفاته على تلميذه محمود أفندى النبشى، وكان جيد التقرير غاية فى

التحرير، ويميل بطبعه إلى ذوى الوسامة والصور الحسان من الجدعان والشبان، فإذا رجع من درسه خلع زى العلماء ولبس زى العامة وجلس بالأسواق وخالط الرفاق والوفاق، ويمشى كثيراً بين المغرب والعشاء بالتخفيفة نواحى داره جهة بين السيارج وغيرها ويُرى فى بعض الأحيان على تلك الصورة فى الأوقات المذكورة فى نواح بعيدة عن داره، وسافر مرة إلى جهة قبلى فى سفارة بين الأمرا أيام عابدى باشا، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى أوايل رجب من هذه السنة، سامحه الله.

٥٧٧/ عبد الرحمن بن بكار الصفاقسى.

(ومات) العمدة الجليل والنبيه العلامة الفقيه المفوه الشريف الضرير السيد عبد الرحمن بن بكار الصفاقسى نزيل مصر قرا فى بلاده على علما عصره ودخل كرسى مملكة الروم فأكرم، وانسلخ عن هيئة المغاربة ولبس ملابس المشارقة مثل التاج والفراجة وغيرهما وأثرى، وقدم إلى مصر وألقى دروساً بالمشهد الحسينى وتأهل وولد له، ولديه فضيلة ونجابة واتحد بشيخ السادات الوفائية السيد أبى الأنوار، فراج حاله وزادت شوكته على أبناء جنسه، وتردد إلى الأمرا وأشير إليه ودرس كتاب الغرر فى مذهب الحنفية، وتولى مشيخة رواق المغاربة بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن البنانى، وسار فيها أحسن سيرة مع شهامة وصرامة وفصاحة لفظ فى الإلقا، وكان جيد البحث مليح المفاكهة والمحادثة واستحضار اللطايف والمناسبات، ليس فيه عربدة ولا فظاظة ويمل بطبعه إلى الحظ والخلاعة وسماع الألحان والآلات المطربة. توفى رحمه الله فى هذه السنة، وتولى بعده على مشيخة رواقهم الشيخ سالم بن مسعود.

(ومات) الفقيه العلامة الصالح الصوفى الشيخ أحمد بن أحمد بن أحمد السماليجى الشافعى الأحمدى المدرس بالمقام الأحمدى بطندتا، ولد ببلده سماليج بالمنوفية وحفظ القرآن وحضر إلى مصر وحضر على الشيخ عطية الأجهورى والشيخ عيسى البراوى والشيخ محمد الخشنى والشيخ أحمد الدردير، ورجع إلى طندتا فاتخذها سكناً وأقام بها يقرى دروساً ويفيد الطلبة ويفتى على مذهبه

ويقضى بين المتنازعين من أهالى البلاد، فراج أمره واشتهر ذكره بتلك النواحى، ووثقوا بفتياه وقوله وأتوه أفواجاً بمكانه المسمى بالصف فوق باب المسجد المواجه لبيت الخليفة، وتزوج بامرأة جميلة الصورة من بلد الفرعونية وولد له منها ولد سماه أحمد، كأنما أفرغ فى قالب الجمال وأودع بعينيه السحر الحلال، فلما ترعرع حفظ القرآن والمتون وحضر على أبيه فى الفقه والفنون وكان نجيباً جيد الحافظة يحفظ كل شى سمعه من مرة واحدة،

ونظم الشعر من غير قراءة شى فى علم العروض، أول ما رأيته فى سنة تسع وثمانى وماية وألف فى أيام زيارة سيدى أحمد البدوى، فحضر إلىّ وسلم علىّ وآنسنى بحسن ألفاظه وجذبنى بسحر ألحاظه، وطلب منى تميمة فوعدته بإرساله وأبطأت عليه فكتب إلىّ أبياتاً فى ضمن مكتوب أرسله إلىّ وهى:

يا أيها المولى الهما م ومن رقى رتب العلا
يا مفرداً فى عصره ومفضلا بين الملا
يا يوسف العصر الذى عنه فؤادى ما سلا
يا عبد رحمن الورى يا ذا المحاسن والحلا
يا ابن الجبرتىّ الذى أعطيت ذكراً أجملا
منى إليك تحية ما حَنَّ مشتاق إلى
جمالك الفرد الذى به المعنى اشتغلا
أو لاح نجم فى الدجى أو سار ركب فى الفلا
هذا وقد واعدتنى بتميمة تسمو على
حرز الأمانىّ التى ما مثلها حرز حلا
فاسمح وجد يا سيدى وانعم بها تفضلا
ولا تطع فى صبك الـ مضنى الشجى عذلا
وامنن برد جوابه فالجسم منه انتحلا
والطرف أمسى ساهراً والصبر عنه ارتحلا
والبعد قد أورثه سقماً فلا حول ولا

ولما بلغ زوّجه والده بزوجين فى سنة واحدة، ولم يزل يجتهد ويشتغل حتى مهر وأنجب ودرس لجماعة من الطلبة وحضر إلى مصر مع والده مراراً، وتردد علينا واجتمع بنا كثيراً فى مواسم الموالد المعتادة إلى أن اخترمته فى شبابه المنية، وحالت بينه وبين الأمنية، وذلك فى سنة ثلاث ومايتين، وخلف ولداً صغيراً استأنس به جده المترجم، وصبر على فقد ابنه وترحم، وتوفى هو أيضاً فى هذه السنة، رحمهما الله تعالى.

(ومات) الأجل المعظم والملاذ المفخم الأمير حسين ابن السيد محمد الشهير يدرب الشمسى القادرى وأبوه محمد أفندى كاتب صغير بوجاق التفكجيان، وهو ابن حسين ٥٧٩/ حسن بن محمد درب الشمسى.

أفندى باش اختيار تفكجيان تابع المرحوم حسن جوربجى تابع المرحوم رضوان بك الكبير الشهير صاحب العمارة، ولما مات والد المترجم اجتمع الاختيارية وقلده ابنه المذكور منصب والده فى بابه، وكان إذا ذاك مقتبل الشبيبة، وذلك فى سنة ثلاث وستين وماية وألف، ونوه بشأنه وفتح بيت أبيه وعد فى الأعيان واشتهر ذكره، وكان نجيباً نبيهاً ولم يزل حتى صار من أرباب الحل والعقد وأصحاب المشورة، ولما استقل على بك بإمارة مصر أخرجه هو وإخوته من مصر ونفاهم إلى بلاد الحجاز فأقاموا بها سبع سنوات إلى أن استقل محمد بك [أبو الدهب] بالإمارة فأحضرهم وأكرمهم ورد إليهم بلادهم فاستمروا بمصر لا كالحالة الأولى مع الوجاهة والحرمة الوافرة، وكان إنساناً حسناً فطناً يعرف مواقع الكلام ويكره الظلم، وهو إلى الخير أقرب، واقتنى كتباً كثيرة نفيسة فى الفنون وخصوصاً فى الطب والعلوم الغريبة، ويسمح بإعارتها لمن يكون أهلاً لها، ولما حضرته الوفاة أوصى أن لا يخرجوا جنازته على الصورة المعتادة بمصر بل يحضرها ماية شخص من القادرية يمشون أمامه فى المشهد وهم يقرون الصمدية سراً لاغير، وأوصى لهم بقدر معلوم من الدراهم فكان كذلك.

٥٨٠/ محمد اغا اباظه.

(ومات) الأمير محمد أغا بن محمد كتخدا أباظة، وقد تقدم أنه كان تولى الحسبة فى أيام حسن باشا وسار فيها سيراً بشهامة وأخاف السوقة وعاقبهم وزجرهم، واتفق أنه وزن جانباً من اللحم وجده مع من اشتراه ناقصاً، وأخبره عن جزاره فذهب إليه وكملها بقطعة من جسد الجزار، ثم

انفصل عن ذلك وعمل كتخدا عند رضوان بك إلى أن مات رضوان بك، ولم يزل معدوداً فى عداد الأمرا الأكابر إلى أن توفى هذه السنة.

٥٨١/ محمد السقاط الخلوتى.

(ومات) العمدة الصالح الورع الصوفى الضرير الشيخ محمد السقاط الخلوتى المغربى الأصل خليفة شيخنا الشيخ محمود الكردى، حضر إلى مصر وجاور بالأزهر وحضر على الأشياخ فى فقه مذهبه وفى المعقول وأخذ الطريق على شيخنا الشيخ محمود المذكور ولقنه الأسما على طريق الخلوتية والأوراد والأذكار، وانسلخ من زى المغاربة وألبسه الشيخ التاج، وسلك سلوكا تاماً ولازم الشيخ ملازمة كلية بحيث أنه لا يفارق منزله فى غالب أوقاته، ولاحت عليه الأنوار وتحلى بحلل الأبرار، وأذن له الشيخ بالتلقين والتسليك، ولما انتقل شيخه إلى رحمة الله تعالى صار هوخليفته بالإجماع من غير نزاع وجلس فى بيته وانقطع للعبادة، واجتمع عليه الجماعة فى ورد العصر والعشا، ولقن الذكر للمريدين وسلك الطريق للطالبين وانجذبت القلوب إليه واشتهر ذكره وأقبلت عليه الناس، ولم يزل على حسن حاله حتى توفى منتصف شهر ربيع الأول وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل.

٥٨٢/ إبراهيم الجوهرى المصرى القبطى.

(ومات) الذمى المعلم إبراهيم الجوهرى رئيس الكتبة الأقباط بمصر وأدرك فى هذه الدولة بمصر من العظمة ونفاذ الكلمة وعظم الصيت والشهرة مع طول المدة بمصر ما لم يسبق لمثله من أبناء جنسه فيما نعلم، وأول ظهوره

من أيام المعلم رزق كاتب على بك الكبير، ولما مات على بك والمعلم رزق ظهر أمر المترجم ونما ذكره فى أيام محمد بك، فلما انقضت أيام محمد بك وترأس إبراهيم بك قلده جميع الأمور فكان هو المشار إليه فى الكليات والجزئيات حتى دفاتر الروزنامة والميرى وجميع الإيراد والمنصرف وجميع الكتبة والصيارف من تحت يده وإشارته، وكان من دهاقين العالم ودهاتهم لا يعزب عن ذهنه شي من دقايق الأمور ويدارى كل إنسان بما يليق به من المدارة، ويحابى ويهادى ويبعث الهدايا ويواسى ويفعل ما يوجب انجذاب القلوب والمحبة، ويهادى ويبعث الهدايا العظيمة والشموع إلى بيوت الأمرا، وعند دخول رمضان يرسل إلى غالب أرباب المظاهر ومَنْ دونهم الشموع والهدايا والأرز والسكر والكساوى وعمرت فى أيامه الكنايس وديور النصارى، وأوقف عليها الأوقاف الجليلة والأطيان، ورتب لها المرتبات العظيمة والأرزاق الدارة والغلال، وحزن إبراهيم بك لموته، وخرج فى ذلك اليوم إلى قصر العينى حتى شاهد جنازته وهم ذاهبون به إلى المقبرة، وتأسف على فقده تأسفاً زايداً وكان ذلك فى شهر القعدة من السنة.



١٢١٠هـ.
١٥١١ق.
١٧٩٥م.
غاية الفيضان ٢١ قيراط/ ٢٠ ذراع.
فى ٥ محرم ٢٣ يوليو معاهدة الصلح بين فرانسا واسبانيا صارإمضاها فى مدينة بال.
١ توت ١٥١٢ = ١٠ سبتمبر ١٧٩٥ = الخميس ٢٥ صفر سنة ١٢١٠.
فى ١٠ ربيع ثانى معاهدة سنبطر سبورج التى بمقتضاها صار تقسيم البولونيا بين الروسيا والنمسا والبروسيا.
فى ٥ جماد أول انجلاء الانكليز عن جزيرة ايلديو.
١ يناير ١٧٩٦ = ٢٤ كيهك ١٥١٢ = الجمعة ٢٠ جماد الثانى ١٢١٠.
فى ٢٨ شعبان كان زواج نابليون بونابرطه بجوسوفينه.
فى شعبان/ فبراير كان للريال أبى طاقة قيمتان، إحداهما تسعون نصفا، وهى القيمة الديوانية، وسعر فى المعاملة بين الناس، وهى مختلفة، تارة ١٣٢ وتارة ١٥٥ نصفا فضة.
فى ١٥ ذو القعدة/ ٢٣ مايو كان دخول الجيش الفرنساوى فى ميلان.
فى أول ذو الحجة/ ٧ يونيو عزل صالح باشا القيصرلى، ومدة ولايته ١ سنة و ٢ شهر.

سنة عشرة ومايتين وألف

لم يقع بها شي من الحوادث التي يعتنى بتقييدها سوى مثل ما تقدم من جور الأمرا والمظالم (وفيها فى غرة شهر الحجة) عزل صالح باشا ونزل إلى قصر العينى ليسافر فأقام هناك أياماً وسافر إلى إسكندرية.

ذكر من مات في هذه السنة

٥٨٣/ عبد الوهاب النحراوى.

(ومات) بها الإمام العلامة المفيد الفهامة عمدة المحققين والمدققين الصالح الورع المهذب الشيخ عبد الرحمن النحراوى الأجهورى الشهير بمقرى الشيخ عطية، خدم العلم وحضر فضلا الوقت ودرس وتمهر فى المعقول والمنقول ولازم الشيخ عطية الأجهورى ملازمة كلية، وأعاد الدروس بين يديه واشتهر بالمقرى وبالأجهورى لشدة نسبته إلى الشيخ المذكور، ودرس بالجامع الأزهر وأفاد الطلبة، وأخذ طريق الخلوتية عن الشيخ الحفنى ولقنه الأذكار وألبسه الخرقة والتاج وأجازه بالتلقين والتسليك، وكان يجيد حفظ القرآن بالقراءات ويلازم المبيت فى ضريح الإمام الشافعى فى كل ليلة سبت، يقرأ مع الحفظة بطول الليل وكان إنساناً حسناً متواضعاً لا يرى لنفسه مقاماً، يحمل طبق الخبز على رأسه ويذهب به إلى الفران ويعود به إلى عياله، فإن اتفق أن أحداً رآه ممن يعرفه حمله عنه، وإلا ذهب به ووقف بين يدى الفران حتى يأتيه الدور

ويخبزه له، وكان كريم النفس جداً يجود وما لديه قليل، ولم يزل مقبلاعلى شأنه وطريقته حتى نزلت به الباردة وبطل شقه [الشلل النصفى]، واستمر على ذلك نحو السنة، وتوفى إلى رحمة الله تعالى غفر الله له.

٥٨٤/ حسن بن سالم الهوارى.

(ومات) العمدة العلامة والرحلة الفهامة الفقيه الفاضل، ومن ليس له فى الفضل مناضل، الشيخ حسن بن سالم الهوارى المالكى أحد طلبة شيخنا الشيخ الصعيدى لازمه فى دروسه العامة وحصل بجده ما به ناموس جاهه أقامه، وبعد وفاة شيخه ولى مشيخة رواق الصعايدة وساس فيهم أحسن سياسة بشهامة زايدة مع ملازمته للدروس وتكلمه فى طايفة مع الريس والمرءوس، وكان فيه صلابة زايدة وقوة جنان وشدة تجارى، واشترى خرابة بسوق القشاشين بالقرب من الأزهر وعمرها دارا لسكنة وتعدى حدوده وحاف على أماكن جيرانه، وهدم مكتب المدرسة السنانية وكان مكتباً عظيما ذا واجهتين وعامودين وأربع بوايك وزاوية، جداره من الحجر النحيت عجيبة الصنعة فى البروز والإتقان، فهدمه وأدخله فى بنائه من غير تحاش أو خشية لوم مخلوق أو خوف خالق، وأوقف أعوانه من الصعايدة المنتسبين للمجاورة وطلب العلم، يسخرون من يمر بهم من حمير الترابين وجمال الأعيان المارين عليهم فيستعملونها فى نقل تراب الشيخ لأجل التبرك إما قهراً أو محاباة، ويأخذ من مياسير الناس والسوقة دراهم على سبيل القرض الذى لا يرد، وكذلك المون حتى تممها على هذه الصورة وسكن فيها وأحدق به الجلاوزة من الطلبة يغدون ويروحون فى الخصومات والدعاوى،

ويأخذون الجعالات والرشوات من المحق والمبطل، ومن خالف عليهم ضربوه وأهانوه ولو عظيما من غير مبالاة ولا حيا، ومن اشتد عليهم اجتمعوا عليه من كل فج حتى بوابين الوكايل وسكان الطباق وباعة النشوق، وينسب الكل إلى الأزهر، ومن عذلهم أو لامهم كفروه ونسبوه إلى الظلم والتعدى والاستهزا بأهل العلم والشريعة، وزاد الحال وصار كل من ريسا الجماعة شيخا على انفراده يجلس فى ناحية ببعض الحوانيت يقضى ويأمر وينهى، وفحش الأمر إلى أن نادى عليهم حاكم الشرطة فانكفوا ومرض شيخهم بالتشنج شهوراً، وتوفى فى هذه السنة، رحمه الله تعالى.

٥٨٥/ عثمان بن محمد المصرى.

(ومات) الإمام الفقيه العلامة والفاضل الفهامة عثمان بن محمد الحنفى المصرى الشهير بالشامى، ولد بمصر وتفقه على علما مذهبه كالسيد محمد أبى السعود والشيخ سليمان المنصورى والشيخ حسن المقدسى والشيخ الوالد، وأتقن الآلات ودرس الفقه فى عدة مواضع وبالأزهر، وانتفع به الناس وقرا كتاب الملتقى بجامع قوصون وكان له حافظة جيدة واستحضار فى الفروع ولا يمسك بيده كراساً عند القراة، ويلقى التقرير عن ظهر قلب مع حسن السبك، وألف متناً مفيداً فى المذهب، ثم حج وزار قبر النبى ﷺ وقطن بالمدينة وطلب عياله فى ثانى عام، وباع ما يتعلق به وتجرد على المجاورة، ولازم قراة الحديث والفقه بدار الهجرة وأحبه أهل المدينة، وتزوج وولد له أولاد، ثم تزوج بأخرى، ولم يزل على ذلك حتى توفى إلى رحمة الله تعالى فى هذه السنة.

٥٨٦/ شمس الدين بن عبد الله السبرباى.

(ومات) العمدة الفاضل المفوه النبيه المناضل الحافظ المجود الأديب الماهر صاحبنا الشيخ شمس الدين بن عبد الله فتح الفرغلى المحمدى الشافعى السبرباى نسبة إلى سبرباى قرية بالغربية قرب طندتا، وبها ولد ونسبه يرجع إلى القطب سيد الفرغلى المحمدى من ولد سيدنا محمد بن الحنفية صاحب أبى تيج من قرى الصعيد، وتفقه على علما عصره وأنجب فى المعارف والفهوم وعانى الفنون فأدرك من كل فن الحظ الأوفر، ومال إلى فن الميقات والتقاويم فنال من ذلك ما يرومه، وألف فى ذلك وصنف زيجا مختصراً دل على سعة باعه، ورسوخه فى الفن ومعرفة القواعد والأول ودقايق الحساب، ونهج مسلك الأدب والتاريخ والشعر ففاق فيه الأقران، ومدح الأعيان وذكرت كثيراً من أشعاره فى بعض تراجم الممدوحين، ومنها المزدوجة المسماة بنفحة الطيب فى محاسن الحبيب التى نظمها باسم الأمير حسن بيك رضوان، وقد ذكرتها فى ترجمة الأمير المذكور، وصاحبناه وساجلناه كثيراً عندما كان يأتينا مصر وبطندتا فى الموالد المعتادة، فكان طوداً راسخاً وبحراً زاخراً مع دماثه الأخلاق ، وطيب الأعراق، ولين العريكة، وحسن العشرة، ولطف الشمايل والطباع وكان يلى نيابة القضاء ببلده، وبالجملة فكان عديم النظير فى أقرانه لم أر من يدانيه فى أوصافه الجميلة، وله مصنفات كثيرة منها: الضوابط الجلية فى الأسانيد العلية ألفه سنة ست وسبعين وماية وألف وذكر فيه سنده عن الشيخ نور الدين أبى الحسن سيدى على بن الشيخ العلامة أبى عبد الله سيدى محمد العربى الفاسى المغربى

الشهير بالسقاط. وسليقته فى الشعر عذبة رايقة وكلامه بديع مقبول فى ساير أنواعه من المدح والرثا والتشبيب والغزل والحماسة والجد والهزل، وله ديوان جمع فيه أمداحه ﷺ سماه عقود الفرايد، وقد قرظ عليه الشيخ عبد الله الإدكاوى فى سنة تسع وسبعين ومائة وألف بقوله:

هكذا من أراد نظم الفرايد
أو نحا نحوحوك بُرْد القصايد
هكذا هكذا عقود المعانى
لا عقود المخدرات الخرايد
تلك صواغها البنان وهذى
صاغها فكر شمس فضل الأماجد
فرغلى الأروم نامى ذرا المجـ
ـد بديع الفهوم سامى المشاهد
الأريب الذى أتاح له الله
المعانى لذى العقول مصايد
واللبيب الذى لقد قيد الله
له فى فريضه كل شارد
صن معان لو حاز منها أبو الطيـ
ـب معنى لقال حزتُ المحامد
أو نحا نحوها الواليد(*) لقلنا
والداصرت يا سنّى الموارد
أو شذا مثلها حبيب(*) لحاز الحسـ
ـن طرا وقد سما للفراقد
أين منها بدايع ابن سنا المـ
ـلك حسنا ورونقا ومقاصد
أين منها ما زخرفوه من القول
وقالوا هنا محط الفوايد
ذاك والله ضاع وصفاً وهذا
ضاء إذ ضاع منى أسنى العوايد

(*) الوليد: هو الشعر البحترى.

(*) حبيب بن أوس الطائى المشهور بأبى تمام.

بمديح الذى قد اختاره الله
رئيسا على جميع الأعابد
أحمد المصطفى الطهور فأم
خير أم ووالد خير والد
صلوات مطيبات توالى
تربه ما صلى وسلم عابد
وتعم الآل الكرام والأصحاب
جميعاً ما خر لله ساجد

وله فى رثاء شيخه القطب الحفنى قصايد طنانة، وله جملة أراجيز منها أرجوزة فى تاريخ وقايع على بك ومحمد بك سمعت من لفظه جملة منها، وله قصيدة من بحر الطويل ضمنها ما وقع للأمير مصطفى بك مولى محمد بك فى سنة أربع وتسعين فى طريق الحجاز حين ولى أميرً على الحج وهى بديعة سلسلة النظم حاوية وقايعه التى جرت له مع العربان، ولحلاوتها أوردت منها جملة وسماها تغريد حمام الأبك فيما وقع لأمير اللوا مصطفى بك وهى هذه:

إمارة حج البيت فى سالف العصر
هى المنصب الأعلى وحقك فى مصر
وخدمة وفد الله جل جلاله
هى النعمة العظمى لمغتنم الأجر
تنافس فيها الأولون وعظموا
إمارتها فى الخافقين مدى الدهر

وقام بـهـا الأهـلون وافتـخـرت بـهـا
ملـوك بنـى عثـمـان فى الـبـر والـبـحـر
وهان على الحجاج من فقد مالهم
ومـا عـنـدهـم إنـفـاقه أنـفـس الـعـمـر
وطاب لهم نوم العقنقل بعدما اسـ
تراحوا على تلك الأرايك بالقصر
ولـذلـهـم بـعـد الـفـرات ودجـلـة
ونـيـل الـهـنـا شرب الأجـاج مـع المـر
وصاموا وهاموا فى جَمَال حبيبهم
وظلوا سكارى لا بكاس ولا خمر
وأقلـقـهـم صوت المـنـادى فـأعـلـنـوا
إجـابتـه فـى عـالـم الـغـيـب والـذر
وفى عـالـم الملـك المـشاهد طلـقـوا
مـنـامـهـم شوقا إلـى الـبـيـت والحِجْر
وشدوا على العيس الرحال وأخلصوا
سـرائـرهـم لله فـى الـسـر والجـهـر
وساروا وَزَنْد الـشـوق بين ضلوعهم
لـه شـرر أذكـى لـهـيـبـا مـن الجـمـر
وخلـوا ديار الأنـس بـعـد مـسيـرهـم
يـغـرد فـيـهـا بلـبـل الـدوح والـقـمـرى
وفـيـهـا من الـغـادات كـل خـريـدة
إذا ابتـسمت تغنيك عن طلعة الفجر
وحجوا وطافوا البيت سبعا وعرفوا
وزاروا رسـول الله ثـم أبـا بـكـر

وعادوا إلى الأوطان ليس عليهم
ذنوب ولا إثم كما جاء فى الذكر
وفى عام ألف ثم ثم ومـاءة
وأربعة من بعد تسعين في الحصر
تولى أمير الحج مفرد عصره
كريم السجايا ذو المهابة والفخر
أمير اللوا كنز الصفا مصطفى الوقا
مبيد العد بالمرهقات وبالسمر
بديع الحلى مولى الأمير محمد
أبى الذهب المحفوف بالعز والنصر
أمير اللوا من كان سلطان عصره
فريدا وحيدا بالتكلم فى مصر
وكان كبدر التم فى أفق العلا
وكان هلال السعد فى غرة الدهر
فسار على نهج العلا مصطفى الوفا
وشيد أركان الإمارة بالفخر
وشد جواد العزم والحزم والقوى
وعظم شأن الحج فى ذلك العصر
وأنفق أموالا عليه كثيرة
وفاز بتحصيل الثواب مع الأجر
وقضىً شؤونا بالحجاز تعلقت
وأحكمها بالعقل والنقل والفكر
وقد وضع الأشياء طرا محلها
ودبرها تدبير مجتهد حبر
وجهز ما يحتاجه من ذخائر
ووجهها نحو السويس على الظهر

وسير منها جانبا نحو جدة
وأرسل باقيها إلى ينبع البر
وقرر حقا فى الوظائف أهلها
وقلد أجياد المناصب بالدر
وأمسى خلى البال بعد اشتغاله
وأصبح بعد الكل فى راحة السر
وقد عملت أرباب دولة عزه
على كل أمر مقتضاه بلا نكر
وفى شهر شوال المبارك زينت
لموكبه أطلال مصر من الفجر
وسرت به الآفاق وابتهجت به
جميع القرى والسعد وافى مع البشر
وأضحت بقاع الأرض مخضرة الربا
وأضحت رياض الزهر مبهج الثغر
وسلمه شيخ الكفانة محملا
قد افتخرت مصر به غاية الفخر
ونالت بنو عثمان حظا به على
جميع ملوك الأرض فى البر والبحر
وسار به كالبدر عند تمامه
وأتباعه الأمجاد كالأنجم الزهر
وماس به يهتز فى حلة البها
على صافن(*) مثل النسيم إذا يسرى
وبين يديه الدفتدار من كل جانب
أحاطت به مثل الكواكب بالبدر

باسلحة كالبرق تخطف عمر من
دنا نحوه بالسوء والغدر والشر
وما زال يسعى مع سلامة ربه
بمحمل طه ذى الفتوحات والنصر
إلى أن دنا من حصوة طاب ريحها
ونسمتها تشفى العليل من الضر
وأنزله فيها وبات بها وقد
دعته إلى مصر دواعى الهوى العذرى
وأصبح فيها قائما هائما له
حنين إلى الحور أو شوق إلى بدر
وبات بها والقلب خيم باللوى
وأم القرى ذات الفضائل والفخر
وأصبح منها سائرا متوكلا
على الله رب البيت والركن والحجر
وفى بركة الحج الشريف أتى بها
محط رحال الوفد من سائر القطر
أقام بها حتى انقضت يا أولى النهى
مهماته طرا وأعلن بالشكر
وغلق واستوفى جميع الذى له
وللعرب العربا من الذهب التبر
وغلق أيضاً بعد ذا مال صرة
أعدت لأشراف الحجاز مدى االدهر
وأقبلت الحجاج من كل جانب
عليه وأضحى ملجأ العبد والحر
وفى سابع العشرين دقت طبوله
وسار كبدر التم فى رابع العشر
وصحبته الحجاج طراً بأصرهم
وزوار طه ملجأ الناس فى الحشر

وودعـه شيـخ الـكـنـانـة قـائـلا
تـعـود إلـيـنـا بـالـسـلامـة والجـبـر
وتنـظر مصـر فى الـسـرور وفى الهنا
ونـحـن بـخيـر سالمين مـن االـضـر
وبالحـج فافـعل كا ما أنت أهـله
من الخير والإحسـان والحـلـم والبر
ولا تنسنا فى البيت من صالح الدعا
وفى حجر إسماعيل يا طيب النشر
وفى عـرفـات والمحـصـب مـن مـنـى
وفى الـروضـة الغـرا تجاه أبى بـكـر
وفى ينبع مع بدر والقاع فـاحترس
من العرب العرباء فى الورد والصدر
ولا تـأمـن الـصـفـرا ونـقـب عـلـيـهـمـا
فـانـهـمـا يـا ذا الـعـلا بـقـعـة الـشـر
وكـل قـلـيـل يـا أمـيـر الـلـوى لـنـا
فـوجـه بـشـيـر عـاقـلا كـاتم الـسـر
ومن بعد ذا كل الصناجق أقبلت
تميس دلالا فى ثياب الهوى العذرى
وعـانـقـهـم مـذ عـانـقـوه وودعـوا
وأدمـاعـهـم فـوق المحاجـر كـالـقـطـر

وأحبابه طرا تقول له مع السلامة يا ذا العز والمجد والقدر

وهى طولة، توفى المترجم فى شهر ربيع الأول من السنة ببلده ودفن هناك، رحمه الله تعالى.

سنة إحدي واثنتي عشرة ومائتين وألف [١٧٩٦م]

لم يقع فيهما من الحوادث التى تتشوف لها النفوس أوتشتاق إليها الخواطر فتقيد فى بطون الطروس سوى ما تقدمت إليه الاشارة من أسباب نزول النوازل* وموجبات ترادف البلاء المتراسل، ووقوع الإنذارات الفلكية والآيات المخوفة السماوية، وكلها أسباب عادية وعلامات من غير أن ينسب لتلك الآثار تأثيرات فبالنظر فى ملكوت السموات والأرض يستدلون، وبالنجم هم يهتدون، فمن أعظم ذلك حصول الخسوف الكلى فى منتصف شهر الحجة ختام سنة اثنتى عشرة بطالع مشرق الجوزاء المنسوب إليه إقليم مصر، وحضر طايفة الفرنسيس أثر ذلك فى أوايل السنة التالية كما سيأتى خبر ذلك مفصلا إن شاء الله تعالى.

* استمرار الجور والغلاء.

[١٣٤] ابو بكر باشا.

ذكر من مات فى هذين العامين ممن له ذكر وشهرة

٥٨٧/ على بن محمد الأشبولى.

(مات) العمدة العلامة والفقيه الفهامة الشيخ على بن محمد الأشبولى الشافعى، كان والده أحد العدول بالمحكمة الكبرى، وكان ذا ثروة وشهرة، ولما كبر ولده المترجم حفظ القرآن والمتون، واشتغل بالعلم، وحضر الدروس وتفقه على أشياخ الوقت، ولازم الشيخ عيسى البراوى، وتمهر فى المعقول. وأنجب وتصدر ودرس وانتظم فى سلك الفضلا والنبلا، وصار له ذكر وشهرة ووجاهة،

ومات والده فأحرز طريفه وتالده وكان لأبيه دار بحارة كتامة المعروفة بالعينية بقرب الأزهر. وأخرى عظيمة بقناطر السباع على الخليج، وأخرى بشاطى النيل بالجيزة، فكان ينتقل فى تلك الدور ويتزوج حسان النسا مع ملازمته للإقرا والإفادة، وحدثته نفسه بمشيخة الأزهر وكان بيده عدة وظايف وتداريس مثل جامع الآثار والنظامية، ولم يباشرها إلا نادرا، ويقبض معلومها المرتب لها، ولم يزل حتى تعلل وتوفى سنة إحدى عشرة ومائة وألف.

٥٨٨/ إبراهيم بن قاسم أبو الفتح.

(ومات) الأديب الماهر الصالح الجليس الأنيس السيد إبراهيم بن قاسم بن محمد بن محمد بن على الحسين الرويدى المكتب المكنى بأبى الفتح ، ولد بمصر كما أخبر عن نفسه سنة سبع وعشرين وماية وألف، وحفظ القرآن وجوده على الشيخ الحجازى غنام، وجود الخط على الشيخ أحمد بن إسماعيل الأفقم على الطريقة المحمدية، فمهر فيه وأجازه فكتب بخطه الحسن الفايق كثيراً من المصاحف والأحزاب والدلايل والأدعية ، وأشير إليه بالرياسة فى الفن، وكان إنساناً حسناً متمشدقا يحفظ كثيراً من نوادر الأشعار وغرائب الحكايات وعجائب المناسبات وروايتها على أحسن أسلوب وأبلغ مطلوب، وسمعت كثيراً من إنشاده لم يعلق بذهنى منها شى، وقد تفرد بمحاسن لم يشاركه فيها أهل عصره منه صحة والوضع وتكملة على أصوله بغاية التحرير، توفى سنة إحدى عشرة. رحمه الله تعالى.

٥٨٩/ إسماعيل أفندى الظهورى.

(ومات) النبيه الأريب والفاضل النجيب الناظم الناثر المفوه إسماعيل أفندى بن خليل بن على بن محمد بن عبد الله الشهير بالظهورى المصرى الحنفى المكتب، كان إنسانا

حسناً قانعاً بحاله يتكسب بالكتابة وحسن الخط، وقد كان جوده وأتقنه على أحمد أفندى الشكرى، وكتب بخطه الحسن كثيراً من الكتب والسبع المنجيات، ودلاليل الخيرات والمصاحف، وكان له حاصل يبيع به بن القهوة بوكالة البقل بقرب خان الخليلى، وله معرفة جيدة بعلم الموسيقى والألحان وضرب العود، وينظم الشعر وله مدايح وقصايد وموشحات، فمن ذلك قوله تهنئة للأمير حسن بك رضوان بقدومه إلى مصر من نفيته بالمحلة الكبرى وهى قوله:

تهن بعود الملك والجاه والنصر
وبالفوز والعلياء والعز والفخر
ومس ميس تيه فى ملابس عزة
بعودك للأوطان منشرح الصدر
لئن ساء فعل الدهر قدماً فطالما
أسر بأخرى من قبول ومن جبر
وأعطى بلا مَنّ وأخلف ما مضى
وأسعف بالحسنى وأذهب للضر
لقد ضحكت مصر إذا ما حللتها
وأضحت بها الأرجاء باسمة الثغر
وغنت بها الأطيار من فرح بها
وقهقهة قمريها على ساحة النهر
وغضت عيون النرجس الغض من حيا
وضرح فيها الورد خداً من التبر

وجر نسيم الروض ذيلا مبللا
ففاح عبير من شذاه الذى يسرى
لك الله مولى لا نظير لمثله
تعلمنى أوصافه النظم كالدر
أمير على كل الأنام بأسرهم
همام كريم مفرد الدهر والعصر
له عزمات فى السماكين قدرها
تسير بها الركبان فى المهمة القفز
وشدة عزم ذللت كل شامخ
وأدنت له ما يشتهى صحة الفكر
وأصبحت الأيام من جود كفه
مرنحة الأعطاف فى الحلل الخضر
لقد كنت أبكى قبل هذا فراقه
كما بكت الخنساء يوماً على صخر
فلما أتى بين الأنام بشيره
وأذهب من بشراه لى غلة الصدر
جعلت مَرامى نعته ومديحه
وكررته فى النظم عندى وفى النثر
إليك عروساً بالبديع تتوجب
وجاءتك تسعى فى ملابسها الزهر
ممنعة إلا إليك، فإنها
أتت دون كل الناس بالحمد والشكر
فدم حسناً فى منزل العز راقياً
مدى العمر ما غنّى على العود من قمرى
فقد جاء تاريخاً بمجدك كاملا
هنيئًا بإقبال السرور مع الدهر

الجبرتى/ سنة ١٢١١ هـ

وكان بعض أدبا مصر ألف مجموعا فى الألغاز ليعارض به بعض العصريين على طريق الإيجاز والإعجاز فما أجابه أحد لذلك، فطلب من المترجم تقريظاً على حواشيه ليصون طلعته من عاذله وواشيه فكتب عليه:

لله درك مـن بـلـيـغ مـاهـر
جـمـيـع المعانـى فـى بديع كتابه
سحر العقول بلفظه وبلطفه
وأبـان فـى معنـاه عـن أنسابه
كلم كنظم العقد يحسن تحته
معناه حسن الماء تحت حَبَابه
أعددت للبلغاء تأليفاً غدا
فـى فـنـه يسمو على أترابه
وأراك نلت من الحجا حظا غدا
لا يستطاع وصوله من بابه
أوفت بك الهمم العلية منزلا
مستصعباً صعباً على خُطَّابه
والله يرعى سرح كل فضيلة
حتى يروِّجه على أربابه
ألبست عصرك من بيانك حلة
فمشى اختيالا فى بها أثوابه
يا من له قلم جرى من ثغره الشـ
ـهد الشهى سوى سواء لعابه
تربى على تلك المعانى أنها
أشفت فؤاداً ذاب من أوصابه
عرفت بلاغتك العميدة عندما
استذللت صعب القول من أهضابه
وظلمت لغزك إذ صبوت رياضـ
ـة رجلا تعطل من حلى آدابه

١٢١١هـ.
١٥١٢ق.
١٧٩٦م.
غاية الفيضان ١٢ قيراط/ ٢٠ ذراع
□ فى ٣٠ المحرم/ ٢٣ أغسطس انتصر نابليون بونابرطه على النمسا فى كاستيليون وفى هذه السنة تولى ابو بكر باشا الطرابلسى مصر فى ١٣ صفر تحالفت فرانسا مع اسبانيا على التعرض والمدافعة معا.
□ ١ توت ١٥١٣ = ٩ سبتمبر ١٧٩٦ = الجمعة ٦ ربيع أول ١٢١١.
□ فى ٧ ربيع الثانى حصل الصلح بين فرانسا وملك نابولى.
□ فى ١٤ جماد أول انتصر بونابارطه على اوستوريا (النمسا) فى اركول.
□ وفى ١٦ فيه(٣) كاترينه الثانية ملكة الروسيا توفت فجأة وتبوا بولس الأول على تخت الروسيا.
□ ١ ينساير ١٧٩٧ = ٢٥ كيهك ١٥١٣ = الأحد ٢ رجب ١٢١١.
□ وفى ١٥ رجب انتصار بونباطرة على استوريا فى ريفولى.
□ فى رمضان/ فبراير ١٧٩٧ كان وزن ميدى القاهرة ربع جرام والثلث فضة والباقى نحاس، وقيمته سنتيم ونصف وربع سنتيم.

فلذا أجاب مقصراً عن شأوه
إذا كان يعجز عن بلوغ ثوابه

فأجاب ذلك الشاعر بقصيدة وأطال فيها ومطلعها:

لله ثغر شفني برضا به
كيما أفوز بنشق عرف رضا به

فكتب إليه المترجم ثانياً معرضاً له بقصيدته قوله:

هذا الأديب اللوذعي ترى به
جمل الفضائل وهي من أترابه
وله المقال المستجاد بأسره
وسواه نحثو وجهه بترابه
ولقد رشفت زلال معنى لفظه
والغير يقنعه لموع سرابه
فاعجب له من شاعر متقادر
سل المنام بلطفه وسرى به
أنسى البدائع من بديع نكاته
قسمت بلاغته على إعرابه
وأتى بكل غريبة في نظمه
منسوبة المعنى إلى أعرابه
لله أبيات أتت من نحوه
أشفت فؤاد ذاب من أوصابه
قد كان أفناه النوى وأباده
مما يلاقي من مرارة صابه
وأتى بتنجيس يرق لطافه
وروى المعالي وهي من ألقابه

فأعجب لسحر كلامه كيف اغتدى
مستعذباً عندى لما ألقى به
يا من إذا عد الورى قلنا لهم
لا نرتضى أنا نرى ألفًا به
كيف الفداء وقد طربت عشية
من قربه لما بدا إلفى به
يا فاضلا بعدت مرامى عزمه
وغدا تغزله ببدء خطابه
وبدأته بالماهر الندب الذكى
وأجابنى ثغر شفى برضا به
إنى أعيذك أن تعود لمثلها
إذ ذاك خلق لست من أصحابه
وإذا أتتك من القريظ مقالة
وأبيت عنها فلتكن من بابه
وله الإله يديم حظا شامخاً
ما حن مشتاق إلى أحبابه

وله موشحة على وزن موشحة الأديب العلامة ابن خطيب وأريا الأندلسى وهى:

ليت شعرى يا أخلاء الهوى
هل أرى بدرى بحانى مؤنسيى
أم أقاسى عن زمان قد قسا
ورمى أحشاى سهماً عن قسى

دور:

يا سقى الله زماناً قد مضى
فى مغالى مصر فى عيش خصيب

١٢١٢هـ.
١٥١٣ق.
١٧٩٧م.
غاية الفيضان ١٦ قيراط/ ٢٠ ذراع فى محرم / ٢٩ يونيو٣ استيلاء الفرنساوى على جزيرة كورفو.
□ ١ توت ١٥١٤ = ٩ سبتمبر ١٧٩٧ = السبت ١٧ ربيع أول ١٢١٢.
□ فى ٢٦ منه ربيع ثان/ ١٩ أكتوبر استكشاف تلقيح الجدرى حقيقة، لان تجارب مكتشفه ادوارجنير الحكيم الانكليزى كانت ابتدأت فى سنة ١٧٦٦ وقد كافأته حكومة الانكليز بمبلغ ٣٠,٠٠٠ ليرة انجليزية.
□ ١ يناير ١٧٩٨ = ٢٥ كيهك ١٥١٤ = الاثنين ١٣ رجب سنة ١٢١٢.
□ فى شعبان/ يناير ١٧٩٨ ظهر بالمشهد الزينبى خلل، ومال جانبه، فندب لعمارته عثمان بك، المعروف بالطنبورجى، فهدمه وكشف انقاضه وشرعوا فى بنائه فأقاموا جدرانه ونصبوا اعمدته وأرادوا عقد قناطره فحصلت حادثة الفرنسيس فبقى على حالته.
□ فى ٢ الحجة قامت التجريدة الفرنساويةمختصة بمصر من طولون، وفى ٢٥ منه استولت الفرنساوية على جزيرة مالطة.

حيث بدرى قد قضى لى ما قضى
بالتدانى إذا غفت عين الرقيب
شب من تذكارها نار الغضى
فى فؤادى وتلافا فى النحيب
واعترتنى دهشة حين جرى
من دموعى سائلا فى الغلس
وغدا قلبى كليما مذ سرى
بارق فى نحو ذاك المكنس

دور:

يا رياضا حسنها زاه يشيق
جاد فى مثواك منهل السحاب
كم مضى لى فيك من معنى أنيق
حين كان اللهو مزهى الجناب
هل ترى عينى محياك الشريق
لابساً برد التهانى والشباب
وأرى بدرى يناجينى على
ذلك البسط الشهى السندس
وأحلى صبر دهرى بالمنى
من معاه زاهيات الملبس

دور:

قد شربنا الصد كأساً مترعاً
حين صد الظبى عنا ونفر
غصن بان غصنه قد أينعا
مثمر بالدل لحينا والخفر

وجهه الفتان أمسى مبدعاً
كل معنى رائق يسبى الفكر

دور:

يثنى ما إن تبدى معجبا
بالعيون الفاتكات النعس
ينهب الأرواح منا لاهياً
لم يراقب فى ضعاف الأنفس

دور:

كيف لى صبر إذا اللاحى لحى
فى حبيب حسنه فاق الهلال
بدرِتم مخجل شمس الضحى
جوزرى اللحظ ممشوق الدلال
ما سقى الصب هواه فصحاً
من غرام قد عراه وخيال
يوسف العصر معسول اللما
كاحل الطرف شهى اللعس
ترك الصب كليما عندما
جال فى النفس مجال النفس

وقال متشوقا إلى مصر وكان بقرية أطواب(*) من أعمال الصعيد:

سلام على مصر سلام شج حنّا
تبلغها أيدى النسيم لها عنّا
وأزكى تحيات على الروضة التى
عليها لسان الجون بالمزن قد أثنى
وحيا إلهى نيلها وظلالها
وخلجانها والقرط إذا شنقت أذنا
ومقياسها منى إليه رسالة
معنبرة الأرجاء عاطرة عرنا

(*) أطواب: قرية من قرى مركز الواسطى ـ محافظة بنى سويف.

وجبهتها والمنتهى ذكر أنه
فوالله لهى الخلد بل أشبهت عدنا
وفى مشتهاها تشتهى النفس لذة
ومن صدرها عين الرقيب همَت مزنا
ميادين لذّات وأقصى مآرب
وغايات آمال لمن هام أو أنا
فكم نلت فيها من سرور وبغية
إذ العيش طلق والهوى ضاحك سِنّا
وليلا تنافيها وطيب حديثنا
وجيب الدجى ينشق عن بدرها دجنا
وقضبانها إذ هبت الريح ميلت
هياد بهاتيها فتزهى بها حسنا
وقمريها إذ قام فى الدوح راقيا
على منبر الأشجار فى عوده غنا
أأيامنا ما كنت إلاّ منازها
بساحاتها والقصف إذا كان ما كنّا
تنكرت يا أيام من ذا الذى وشى
إليك بسوء ما الذى قد جرى منها
لئن كان ذنبى عندك الفهم والحجا
فجهلى أحرى فارجعى لست أستغنى
إرادة حظى أتعبتنى ومن يكن
يحاول حظا حال من دونه الأدنى
قلتنى مصر وهى أرضى وشعبتى
ودارى وشوقى والمآلف والمغنى
وأنزلنى طول النوى دار غربة
بغربى مصر أشتكى الهم والحزنا

أقـمـت بـأطـواب ثـلاثـين لـيـلـة
أقاسى بها الأوصاب واخترتها سجنا
كـأن نـبـى الله يـوسـف قـد بـقـت
عـلـيـه لـيـال رام يـقـتـصـهـا مـنـا
فـيـعـقـوب أحـزانى أقـام بـأضـلـعـى
يـراعـى بـشـيـراً أو يـحـاولـه أذنـا
أردد عـيـنـى فـى خـلال ديـارهـا
فـأنـظـر أهـلـيـهـا وقـد مـلـؤا جـبـنـا
فـأقضى أسى يملأ القلوب تحسراً
على فائت قد مر خسر ولا أغنى
لـك الله قـلـبـاً مـا أشـدك قـسـوةً
وأصبر فى البلوى وأكرم فى الحسنا
وأعدى إلى الأعدا وسلما إلى الرضا
وعبداً إلى المعروف إن جاد أو ضنا
ولولا الذى لاقيت ما كنت أشتكى
ولـكـن لـيـالـيـنـا أسـاءت بـنـا الظـنـا

وقال أيضاً:

وجـاد الحـيـا أطـلالـهـم وربـوعـهـم
وروى ثراهم من دموعى وعبرتى
ولا زال ثـغـر الـبـرق مـبـتـسـمـا لـهـم
يـبـلـغـهـم عـنـى رسـالـة لـوعـتـى
أأحبابنا هل تسألوا الركب إن سرى
عـن الـكـبـد الحـراء أيـن اسـتـقـرت
وما كيف حالى واللجاجة والهوى
ومـا لـلـنـوى حـتـى رمـتـنـى بـغـربـتـى
فهل سبقت منى إلى الدهر خطة
فـلا تـوبـة تمـحـو ذنـوبـى وعـثـرتـى

أبى الله ما ذنبى إليه سوى الحجا
وذلك عند الدهر أكبر خطتى
رمتنى أيدى البين عن سهم قوسها
أصابت فؤادى الهائم المتشتت
ولم ترع حقى للوداع بوقفة
أبث لها للربع جهد صبابتى
وقفت على ربع الأحبة خاضعًا
وفى رسمها أبكى ضحى وعشية
فلم أر فيها غير نُؤْى مهدم
خلا من أهاليه لقلة عشقة
خليلى قوماً واسألا الروضة التى
بها اخضل نبت فى عرار وزهرة
وأدوا بها حق البطالة والصبا
وميلوا إلى الخلخال والقرط بالتى
وفى المنتهى بالمشتهى لا تذكّروا
حديث النقى شوقاً فليس بسنتى
وللرصد حيوه مع اللهو ساعة
فذلك أقصى ما يبرد غلتى
لقد بعث الأرواح من بعد موتها
نسيم سراياه بوفد أحبتى
فلله ما أحلى وأملح ليلها
إذ العيش طلق ضاحك بمسرتى
ومقياسها يا صاح لا تنس فضله
يدا مثل شيخ لابساً لعمامتى
ويأتى إليه النيل كبرا وعزة
فيصغر ذلا من أصابعه التى
يكسب تلك الأرض حسناً ونضرة
فتحكى عروساً فى ملابس خضرة

فوالله مذ فارقت مصر وأهلها
بكيت على أهلي وداري وجيرتي
وسوّدني طول النوى بعد صفرة
وبدلني بعد البياض بحمرة
وأنزلني حظي بأطواب قرية
أقمت بها ما بين يو وحداة
أقضي نهاري صامتاً ومكرباً
ويجمعني ليلي وهمي وفكرتي
ولم أر فيها حلة أستظلها
سوى زفرات من هجير بشعلة
ولم ألق فيها واحداً أستجيره
ولا فاضلا أمليه حسن شجيتي
لك الله قلباً كيف يبقى على الأسى
وتعساً على الضراء كيف استقرت
قضاء من الرحمن لا شك واقع
فأولى له التسليم في كل حالة
ومن يرعه مولاه يؤتيه سؤله
ويحظى بقرب من نعيم وجنة
وأزكى سلام يعبق الكون نشره
على السيد الماحي لكل ضلالة
كذا الآل والأصحاب ما دَنفٌ شدا
سلام على مصر ديار أحبتي

وقال سامحه الله تعالى:

هل العيش إلا في اكتساب مآثم
أو العمر إلا في اقتناء محارم
أو الغنم إلا في ارتكاب كبيرة
أو السكر إلا في ارتشاف مباسم

سقى الله أيام البطالة أدمعا
من العين تجرى كالغيوث السواجم
زمان به كان السرور بخنصرى
ختاماً وكان الظبى فيه منادمى
إذ العيش طلق والرياض بواسم
عن النّور لكن من شفاه الكمائم
وسيرى إلى تلك الدساكر سُحرة
وغنمى بها من طيبات مواسم
وجرّى ذيول النية فى عرصاتها
جهاراً وضمى للقدود النواعم
خليلى لو وافيتموا حق صحبتى
لكنتم رفاقى بين تلك المعالم
فحيا الحيا دار الأحبة ما شدا
على الدوح مطراب الأصائل هائم
لقد طال ما نازعت فيها زجاجة
تضمنت الأفراح من عهد آدم
معتقة صاغ المزاج لرأسها
أكاليل من در كدور دراهم
إذا ما جلاها مخطف الخصر فى الدجا
وغنى عليها مثل شدو الحمائم
أبحتُ طريفى فى هواه وتالدى
وصيرته مولى علىّ وحاكمى

واتفق أن بعض الجهلة لبس عمامة ودخل على السيد عبد الرحمن العيدروس فقال السيد حمل الثور جوزة السرطان. فلم يتيقظ ذلك الشيخ لما أبداه السيد، وظن أن ذلك مدح له فضمن هذا الشطر بعض شعراء المحلة الكبرى يخاطب فيها السيد العيدروسى، فلما بلغ المترجم ذلك قال على روى ما قاله ذلك الشاعر المحلى:

يـا أديـبـاً قـد حـاز رق المـعـانـى
وبـلـيـغًا أبـدى فـنـون الـبـيـان
وظـريـفـاً يـسـمـو بـكـل نـكـات
مـن بـديـع تـزرى بعـقـد الجـمـان
فقت نعتاً وفى وصف شيخ جهول
أنـفـت مـنـه أنـفـس الـثـقـلان
يـدعـى الـشـيـخُ أنـه صـار فـردا
قـلـت صـدقاً لكـن علـى الصبان
وتـراه مـع الـغـبـاوة والجـهـ
ـل كـثـيـر الـفـضـول والـهـذيـان
يـتـمـادى عـلـى الـضـلال بـوجـه
أسـود كـالـغُـداف بـالـبـطـلان
لـيـس يـدْرى مـاذا يـقـال إلـيـه
أمـن الـشـعـر أم مـن الـقـرآن
ورآه أديـبـنـا الـعـيـدروسـى
لابـسـاً عـمـة كـكـرب الـزمـان
فـابتـداه بـنـصـف بيـت لـطـيـف
حـمـل الـثـور جـوزة الـسـرطـان
فـانـثـنـى ضـاحـكـا وأظـهـر بـشـرا
وغـدا لائـمـا لـذاك الـبـنـان
لـيـتـه لـورمـى الـعـمـامـة بـحـرا
لـيـرى الـدلـو بـركـة الحـيـتـان
فـهـو عـنـد كـعـقـرب أو كـجـدى
لا كـلـيـث فـى سـنـبـل المـيـزان
وإذا مـا نـظـرت يـومـا إلـيـه
قـلـت كـبـش قـد حل فـى كـيـوان

وله فى اسم حسن:

أفديه من أهيف جلت محاسنه
عن الشيبه وأضحى قده غصنا
أقول لما أتانى زائراً فرحا
مستبشراً بااللقا أحسنت يا حسنا

(وله فى مفن اسمه وفى)

أفدى الذى سحر الألباب منطقه
وفى جراح الهوى قلب الكليم شفى
أقول لما شجتنى حسن نغمته
ياليت من كنت أهواه أتى ووفى

(وله تشطير لبيتى بعض القدماء)

(بالله يا قبرهل زالت محاسنه)
أم كيف رونقه والحسن والحور
وحسن طرته ما شأن حالتها
(وهل تغير ذاك المنظر النضرُ)
(يا قبر لا أنت لا روض ولا فلك)
يشوقنا منك ما نرجو وننتظر
ولست فى الحسن معشوقا إلى أحد
(حتى تجمع فيك الحسن والقمر)

وله أيضا تشطير على بيتين أنشدهما له الشيخ محمد الكرانى الشاعر، رحمه الله وهما:

خبرانى عن قهقهات القنانى
أنا منها فى غاية الإيهام

أترى ضحكها لبسط الندامى
أم بكاء على فراق المدام

فقال مشطراً
(خبرانى عن قهقهات القنانى)
وابتهاج الربا بصوب الغمام
واهتزاز الغصون فى الروض لينا
(أنا منها فى غاية الإيهام)
(أترى ضحكها لبسط الندامى)
أم سرور الجميع شمل الكرام
أم خطا بالبلبل الدوح غنى
بكاء على فراق المدام

وللمترجم مقامة وقصيدة يداعب الشيخ على عنتر الرشيدى أعرضنا عنهما لما فيهما من الهجو والذم وله غير ذلك. توفى رحمه الله تعالى سنة إحدى عشرة ومايتين وألف.

٥٩٠/ حسين أفندى قلفة الشرقية.

(ومات) الأجل الأمثل والوجيه الأوحد المبجل حسين أفندى قلفة الشرقية والده الأمير عبد الله من مماليك داود صاحب عيار، وتربى المترجم عند محمد أفندى البرقوقى وزوجه ابنته، وعانى قلم الكتابة واصطلاح كتاب الروزنامة ومهر فى ذلك، فلما تولى محمد أفندى كتابة الروزنامة قلده قلفة الشرقية ولم تطل مدة محمد أفندى . ومات بعد شهرين، فاستولى المترجم على تعلقاته وراج أمره واشترى بيتاً جهة الشيخ الظلام، وانتقل إليه وسكن به وساس أموره واشتهر ذكره، وانتظم فى عداد الأعيان

واقتنى السرارى والجوارى والمماليك والعبيد، وكان إنسانا لا بأس به جميل الأخلاق حسن العشرة مع الرفاق مهذب الطباع لين العريكة،واقفاً على حدود الشريعة، لا يتداخل فيما لا يعنيه مليح الصورة والسيرة، توفى رحمه الله أيضاً سنة إحدى عشرة ومايتين وألف.

٥٩١/ حسين بن عبد الرحمن المنزلاوى.

(ومات) العمدة العلامة النبيه الفهامة بضعة السلالة الهاشمية وطراز العصابة المطلبية الفصيح المفوه السيد حسين بن عبد الرحمن بن الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن حمادة المنزلاوى الشافعى خطيب جامع المشهد الحسينى، وأم أبيه السيد عبد الرحمن السيدة فاطمة بنت السيد محمد الغمرى، ومنها أتاه الشرف حضر على الشيخ الملوى والحفنى والجوهرى والمدابغى والشيخ على قايتباى والشيخ البسيونى والشيخ خليل المغربى، وأخذ أيضا عن سيدى محمد الجوهرى الصغير والشيخ عبد الله إمام مسجد الشعرانى والشيخ سعودى الساكن بسوق الخشب، وتضلع بالعلوم والمعارف وصار له ملكة وحافظة ولسانة واقتدار تام واستحضار غريب، وينظم الشعر الجيد والنثر البليغ وأنشأ الخطب البديعة، وغالب خطبه التى كان يخطب بها بالمشهد الحسينى من إنشائه على طريقة لم يسبق إليها، وانضوى إلى الشيخ أبى الأنوار السادات، وشملته أنواره ومكارمه ويصلى به فى بعض الأحيان ويخطب بزاويتهم أيام المواسم، ويأتى فيها بمدائح السادات وما تقتضيه المناسبات وله منظومة بليغة فى سلسلة السادة الوفائية سماها السيد حسن بن على العوضى بعقد الصفا، فى ذكر سلسة ساداتنا بنى الوفا،

وذكرها فى كتابه مناهل الصفا، يقول فى أولها ما نصه:

سماء بها الزهر الأزاهر تشرق
بأنوارها قد نار غرب ومشرق
وزانت صفا مرآتها وهى حفظها
لمسترق قد جاء للسمع يسرق
إذا مد كف النحو نحو سمائها
يكف بشهب للمعاند تحرق
فما هى إلا عرش كنز حقائق
بها الحق مشهود لمن يتحقق
رياض معانيها بهن نوافح
لأزهار أسرار بها الطيب ينشق
فكم أورقت فيها غصون وكم حلت
بها ثمرات للمحقق ترزق
يلعلعها غنت فصَاحُ بلابل
فأعربت الألحانَ والحانُ مطرق
رعى الله ما قد راق منها وما حلا
وأعلى سماء برقها متألق
حمى الله مرقاها ومعراج قدسها
بكوكبها السامى الذى ليس يلحق

إلى آخرها وهى طويلة وله غير ذلك سامحه الله تعالى ، توفى فى منتصف شهر شعبان من السنة غفر الله لنا وله ولوالدينا وللمسلين بمنه وكرمه آمين.

وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء ليلة الثلاثا المبارك عشرين خلت من شهر ذى الحجة الحرام سنة ١٢٨٩[١٨٧٢م] من الهجرة النبوية على صاحبها أزكى الصلاة والتحية، كاتبه محمد.

أخبار
أهل القرن الثانى عشر*
[تاريخ المماليك فى القاهرة]
لإسماعيل بن سعد الخشاب

الحمد لله الذى دلت مصنوعاته على قدرته، وهدى من شاء بما أبدع من حكمته، إلى شهود وحدانيته، والصلاة والسلام على أشرف خلقه ونوابه وعلى آله وأصحابه، وبعد ...

فقد سألتنى أرشدك الله من العمل إلى صوابه، وفتح لك باب الخير وسلك بك ما يوصلك إلى بابه، أن أجمع لك جزءًا، يشتمل على بعض أخبار أهل القرن الثانى عشر مما شاهدته عينى أو نقلته عمن غير ذا جبت إلى ذلك مستمدًا من فيض الملك الوهاب سلوك الصواب، إنه ولى ذلك، وبه الإعانة على جميع ما هو مالك.

فأقول: إنه قد وقع فى سنة عشرين ومائة ألف حوادث بمصر القاهرة بين الأمراء، نشأ عنها حروب بينهم استمرت على ما نقله لى غير واحد ممن أدركها نحو ثمانين يومًا بين القاسمية والفقارية. وكان إذ ذاك يخرجون فى كل يوم إلى خارج القاهرة قريبًا من المحل المعروف بقبة العزب فيتحاربون إلى أن تدنو الشمس من الغروب، ثم يرجعون منازلهم وذلك لوفور شفقتهم على الرعية، والبلد فى أثناء هذا مفتحة عامرة أسواقها. ثم انجلت هذه الحروب بعد انقضاء المدة المذكورة عن موت الأمير ايوازبيك والد الأمير اسماعيل بيك الآتى ذكره، وكان هو المتعين بالرياسة، والمشار إليه فى تنظيم المملكة المصرية وأمور السياسة. فاختار من بقى بمصر من مماليكه وخدمه وأتباعه وحشمه أن يكون المتعين بعده بالصدارة، والمنفرد على من بقى من الأمراء بالإمارة، ولده الأمير اسماعيل بيك بن أيوازبيك المتقدم ذكره، وكان حين ذاك [فى] مقتبل الشبيبة سنة نحو عشرين سنة، فألبس الخلع السنية، وركب فى المواكب العظيمة البهية، وتقدم بحسن رأيه على الأمراء، وامتثلوا كلامه نهيًا وأمرًا، فضبط بعقله وحسن تدبيره الإقليم، وسلك من العدل فى رعيته والإحسان إليهم الطريق المستقيم، وله فى مكارم الأخلاق أخبار مشهورة، وطريقة فى أحكامه محمودة مشكورة، منها ما حدثنى به عما سأذكره والدى رحمه الله تعالى قال: كان بجوارنا رجل فقير نشار وكان طفيليًا فحدثنى أنه تعلقت نفسه أن يفطر ليلة فى رمضان على سماط الأمير اسماعيل بيك المذكور، فذهب ليدخل فمنعه البواب الموكل بباب منزل الأمير المذكور فتوجه الرجل المذكور إلى قاضى باب سعادة بمصر، وطلب منه أن يعيره بدلة من حوائجه ليذهب بها إلى دعوة، وكان إذ ذاك القاضى رجلاً خيرًا سمحًا، فأعاره عمامة وقفطانًا وفرجية وشالاً، فلبسهم وذهب إلى باب منزل الأمير المذكور، وانتظر هناك الفقهاء المرتبين للقراءة فى رمضان بمنزل الأمير المذكور على عادة أهل مصر فى ذلك، فلما دخل الفقهاء دخل معهم الرجل المذكور، ولم يعرفه البواب لكونه تغيرت حليته، ولما وضع الطعام أكل، وأراد بعد الفراغ أن ينصرف مع من انصرف من الحاضرين فوكل به الأمير المذكور مملوكين من أتباعه يمنعانه من القيام مع المبالغة فى إكرامه. وحين خلا المجلس من الواردين، ولم يبق غير الندماء والمجالسين، استدعى

* نشره محققا: عبدالعزيز جمال الدين وعماد ابوغازى. القاهرة ١٩٩٠.

اسماعيل بيك المذكور ذلك الرجل الطفيلي وهو بزى الفقهاء ، وقال له: يا مولانا أريد منك أن تقرأ لى سورة من القرآن العظيم، وكان ذلك الرجل الطفيلى أميًا لا يقرأ ولا يكتب قال: فقال له: أعز الله الأمير، أقرأ لك سورة الفاتحة و﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ مالى لا أحسن غيرهما وأنى رجل جاهل طفيلى دعتنى شهوة الطعام إلى ما ترى، وما تراه على من حلية العلماء فأنى قد استعرته من رجل فقيه، وأنا أتوب إليك من العود لمثلها؛ فضحك عند ذلك الأمير المذكور، وأحسن له، وأمره بملازمة بيته فى كل ليلة، وأحضر بوابه وحاجبه وقال لهما: لا يمنع هذا من الدخول فى أى وقت أراد، وأعطاه كسوة وذهبًا، وانصرف الرجل آمنًا ولازم منزل الأمير المذكور امتثالاً لما أمره به، وحصلت له به فائدة عظيمة رحمه الله فانظر لمكارم الأخلاق فسبحان الملك الخلاق.

ومنها ما حدثنى به شيخنا العلامة شهاب الدين أحمد بن موسى العروسى رحمه الله، قال: كان بمصر على زمن اسماعيل بيك المذكور رجل تاجر يقال له عثمان الصيرفى وكان غنيًا، واتفق أن ورد من إسلامبول قبجى من طرف الدولة بأوامر سلطانية،خطابًا لكافل الديار المصرية وله على جهة الديوان معلوم، فاتفق تأخير تنجيز ذلك، واحتاج إلى نفقة، فاقترض ذلك القبجى المتقدم ذكره من الحاج عثمان الصيرفى المذكور نحو ثلاثمائة فرق بن، وبعد أن حصلت تحت يده وشى به جماعة من أعدائه إلى السلطان، فأرسل فرمانًا خطابًا للباشا المولى من طرفه بمصر بقتل ذلك القبجى فقتل بالديوان، ووضع الباشا يده على كامل تعلقات القبجى المذكور ومن جملتها الثلاثمائة فرق بن المذكورة، فبلغ ذلك صاحبه، فتوجه إلى الأمير اسماعيل بيك المذكور، وأخبره الخبر وأطلعه على القائمة المشمولة بختم المقتول، وعرفه أنه يستحق البن الذى وضع الباشا يده عليه، فأرسل من طرفه رجلين ومعهما القائمة، فعندما رآها الباشا المرقوم رفع يده عن كامل البن وأمر مالكه باستلامه. ولما تسلم صاحب البن المذكور ذلك، بعث من طرفه رجلاً يقال له الحاج محرم جد محمود والد الحاج أحمد محرم التاجر المشهور الآن، بهدية عظيمة تشتمل على طاقات هندى وعشرة فروق بن وعشرة قناطير سكر مكرر وباش تخته هندى فيها جانب عود وجانب عطرى. فعندما وصل بذلك إلى منزل الأمير اسماعيل بيك المتقدم ذكره، رده وأبى أن يقبله وقال: لست شريك التجار فى أموالهم أمحق هو أم على الباطل؟ فإن كان محقًا فلا أصادمه فى ماله، وإن كان مبطلاً فلا أعينه على أكل أموال الناس بالباطل بقبول هديته، ارجع إليه. فأخذ الرسول يقبل يده ويلاطفه حتى قبل منه السكر ودفع ثمنه ورد الباقى إلى صاحبه، فانظر إلى هذه الأخلاق ماألطفها، وإلى هذه المحاسن ما أظرفها. وفى وقته أمنت السبل، وحج بالحج مرارًا، وله فى حسن السياسة أمور لولا خوف الإطالة لذكرت منها جملاً، ولكن فيما ذكرناه كفاية.

وبقى متصرفًا فى البلد إلى سنة ست وثلاثين ومائة وألف فقتل بالديوان من يد رجل كان اسمه ذو الفقار. وبسط هذه الواقعة، أن ذو الفقار المذكور كان رجلاً جنديًا مملوكًا من جماعة الفقارية، وكان أصلهم بيت كبير بمصر مشهور، وكان لذوالفقار المذكورقراريط فى قرية من قرى مصر

يتعيش منها، فوضع يده اسماعيل بيك المذكور عليها، وأخذها على طريق الغصب، ودفعها لرجل من أتباعه. فطلب ذو الفقار المذكور من اسماعيل بيك المذكور رفع يده عن حصته المذكورة، فأخذ يماطله ويوعده ويغالطه ويدافعه، وكان هناك رجلا من الأمراء يقال [له] شركس بيك من جماعة الفقارية وكان بينه وبين اسماعيل بيك المذكور عداوة لما سلف بينهم من الحروب، فضم إليه ذو الفقار وقال له: إن أنت قتلت اسماعيل بيك المذكور فإنى أعطيك إمارته وبيته. وتوافق معه على ذلك. فطلع اسماعيل بيك إلى الديوان على جارى العادة ولم يشعر بما خبئ له، وكان الأمر قد بيته رجال من طرف شركس بيك مع الباشا المولى حين ذاك على ما قيل. وطلع ذو الفقار المتقدم ذكره وتقدم على الأمير المذكور وهو جالس بديوان الباشا، وقبل يده، وقال له: ارفع يدك يا سلطانم عن قراريط بلدى فإنها معاشى وليس لى ما أعيش به غيرها. فقال: له إن شاء الله. و أخذ ذو الفقار يكرر القول واستل خنجراً من إبطه وضرب به صدر اسماعيل بيك فى سرته فخر ميتاً. وجرى من بالديوان واستلت سيوف من كان له فى هذه القصة دخل. واشتغل أتباع اسماعيل بيك المذكور قتيلاً فحمل إلى منزله، وغسل، وكفن ، ودفن بتربة والده تجاه منزل أبى الشوارب على الأزبكية من جهة باب اللوق رحمه الله آمين فى التاريخ المذكور.

وتعين بعده بالإمارة شركس بيك وصفًا له الوقت بموت اسماعيل بيك وتولى ذو الفقار المذكور أميراً صنجقًا عوضًا عن اسماعيل بيك المرقوم. قال: وكان ذو الفقار المتقدم ذكره شجاعًا مقداماً، فعظمت دولته وكثرت جماعته وانضم إليه ناس من الجند فحسده عند ذلك شركس بيك المذكور، ونشأت بينهما عداوة، وتبين ذلك لذو الفقار بيك المذكور فعلم أن شركس بيك المذكور يريد الغدر به فضم إليه جماعة توافق معهم على نفى شركس بيك.فنفى وأخرج عن مصر إلى ناحية صعيدها.

قال: فجهز شركس حين ذاك من الصعيد عسكراً انضم له، قصد دخوله مصر، فبلغ ذلك الخبر ذو الفقار بيك فجهز له من مصر عساكر، ووقعت أمور يطول شرحها منها: أنهما تحاربا عدة مرات، وفر شركس بيك المذكور هاربًا إلى بلاد الغرب، وغاب بها نحو سنتين، ثم عاد إلى صعيد مصر، وجمع جموعًا يريد الإقبال إلى دخول مصر، فدوفع عنها، وجهز له أربعة عشر ركبة.

وفى بعض هذه الوقائع أحس ذو الفقار بيك المذكور بقدوم شركس بيك، فاضطرب وجمع العلماء بالديوان، وكان منهم العلامة الشيخ مصطفى العزيزى واستفتاهم فى قتاله فأجابه الشيخ العزيزى بقوله: نحن لا نفتيك إلا بعد أن نرسل عشرة أنفار من مصر إليه: من طرف الوزير اثنين، ومن طرف العلماء اثنين، ومن طرف القاضى اثنين، ومن طرف الوجاقات اثنين، ومن طرف الصناجق اثنين، ويخاطبونه أن يصطلح معك، فإن أبى ذلك أفتيناك فإن الله تعالى يقول: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى﴾. فسكت عند ذلك ذو الفقار بيك، وانفصل العلماء، ولم يمكنوه من الإفتاء لكونه ليس ذلك على طريقة الشرع، إلا على ما أجاب به الشيخ العزيزى رضى الله تعالى عنه.

ووجه بعد ذلك ذو الفقار بك عسكراً لقتال شركس بيك، وكان ممن انضم إلى شركس بيك وهو بالصعيد المذكور أمير من الأمراء القدم يقال له مصطفى بيك القرد سيد صالح بيك الآتى ذكره آنفاً فى خبر على بيك إن شاء الله تعالى، فتعاون به والتقى الجمعان، وتحارب الجيشان، فقتل مصطفى بيك القرد وفر شركس بيك بجواده منهزماً يريد الذهاب إلى البحر، فدفع جواده فى البحر ليعديه إلى البر الثانى فتتبعه العسكر فأصيب جواده برصاصة فوقع عنه فى البحر فأدركوه وأخرجوه من البحر وضربوا رأسه، وجاءت رأسه ورأس مصطفى بيك القرد بمصر وذلك فى اليوم الخامس من رمضان سنة خمسين ومائة وألف تقريبًا. وطيف بهم مصر ولكنه كان ذو الفقار قتل فى بيته فى ثالث رمضان من السنة المذكورة فلم يركل منهما صاحبه قتيلاً. فسبحان من لا يزول ملكه.

وقتل ذو الفقار بيك فى منزله كما قدمناه غيلة كما صنع هو باسماعيل بك: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾. وكان مبدأ قتل ذو الفقار بيك المذكور كان سببه انه ضاقت منه نفوس بعض الامراء، فعملوا خديعة أشاعوا أن البلد قد دخل بها قوم المنفيين، ومعهم ابو دفيه امير من الامراء، وكان منفيا وكان ذو الفقار بيك المذكور يخافه ويورا له بظبوته، فأشاع أعداء ذو الفلقار بيك هذه الاشاعة الكاذبة ليتوصلوا بذلك الى أغراضهم وامروا الوالى والاضباشة واغات الانكشارية بأن يضبطوا اطراف البلد فامتثلوا أمرهم، وخلت لهم الطريق، وتوصلوا الى ما أرادوه، وجاءوا برجل غطوا وجهه بدفية كما يُفعل بالوجهاء من ارباب الجرائم، وجاءوا به مكتوفا، ودخلوا به منزل ذو الفقار بيك قبل العشاء فى رمضان، فوجدوه يتوضأ لصلاة العشاء، فقالوا له هذا ابو دفيه قد عثر فيه الحاكم. فقال: اكشفوا وجهه فكشفوه فضربه ذلك الرجل بفردة طبنجة فى صدره فمات من ساعته. وخرج ناس كثير وخرج الجماعة الذين قتلوه ولحق بعضهم الخوف فخرج عن مصر.

وانقضت مدة شركس بيك وذو الفقار بيك المذكورين وصارا أثرا بعد عين.

وفى عشر الخمسين هذه وقعت حوادث بمصر، منها أنه قتل فى يوم واحد أربعة عشر أميراً كلهم كبار، وكان منهم يوسف كتخدا وعثمان كتخدا، وهو الذى أنشأ المسجد الذى على رأس بركة الأزبكية قريبا منها، وسئل العلامة السيد على الحنفى عن ذلك فقال له: تأتى يوم القيامة تحمله. وقال: «من غصب قيد شبر من ارض طوقه يوم القيامة من سبع ارضين» وقام عنه، ومنهم محمد بيك وكان مشهورا بابن المرأة وكانت الدعوة بمنزله. عزم هؤلاء الجماعة المذكورين وأعد لهم فى خزانة نومية جماعة منهم رجل يقال له صالح كاشف فلما تم المجلس واحضر لهم الأكل، خرج عليهم الجماعة فضربوهم واستل كل منهم سيفه ومات محمد بيك المذكور وأخذ صالح الكاشف المتقدم ذكره رءوسهم فوضعهم على باب مسجد السلطان حسن، ووضع قدامهم شعيراً يعرض بأنهم كانوا بهائم. وهذه الحادثة (كان ذو الفقار بيك فيها حيا، غير أنه لم يكن حاضراً معهم) ولم يجلس صالح كاشف المذكور بعد ذلك، ولا من كان معه فى مصر خوفا على أنفسهم بسبب ما صنعوه، وأخرجوا عن مصر وتفرقوا، ومات صالح كاشف بمدينة اسلامبول.

وفى سنة ثمان واربعين ومائة وألف جاء بمصر (فى مدة ذو الفقار بيك المذكور) طاعون يقال له فصل «كو» مات فيه خلق كثير وقيل سبب وضع هذا الاسم عليه أنه كان هناك عبد أسود يطوف السوق عريانًا فصار قبل أن يجئ الطاعون يكثر من قوله «كو» والقى نفسه بعد ذلك فى جورة نار فمات.

وتعين بعد ذو الفقار بيك مملوكه عثمان بيك الكبير، ودخل فى هذه المدة إبراهيم كتخدا فى سلك الوجاقلية؛ وسيأتى قريبًا بسط أخباره- وكان عثمان بيك هذا رجلا عاقلا عادلا محبا للعدل، ريثا فى الحوادث التى جرت بمدته وحُمد عليها، منها أنه كان له مملوك ولاه صنجقا وبعثه إلى بعض أقاليم لجباية الخراج، فظلم وجار وعسف، فبلغ سيده عثمان بيك المذكور، فارسل احضره الى مصر من الاقليم الذى كان فيه وضرب عنقه، فتأدبت أتباعه ونفذ حكمه. ومنها أن رجلا عثر على خبيئة، فنمّت بخبره زوجته، وحضرت إلى عثمان بيك المذكور واخبرته بتلك الخبيئة التى عثر فيها زوجها، فأرسل اليه فحضر بين يديه ومعه القدرة التى لقاها و هى مملوءة مالا، فسأله عن خبره فأعلمه الرجل أنه كان فقيرًا وان له حمارًا، فأراد أن يبنى له مدودا فلقى هذه القدرة، وان زوجته تريد منه أن يحججها الى الحجاز، ويأتى لها بصيغة خارجة عن عادة أمثالها، وأنه امتنع عن ذلك خوفا من أن يظهر بصورة الأغنياء فيعلم حاله ويضيع عليه ماله. فأمره بطلاقها ولم يأخذ شيئًا مما بيده من المال.

وأخباره فى السياسة والعدل يطول شرحها، وحج بالحج مرارًا، واخرج من مصر منفيا سنة ست وخمسين ومائة وألف. وسبب ذلك أن ابراهيم كتخدا سيد على بيك كان قد ظهر صيته، واشترى مماليك كثير، وصار له اتباع كثير، فبيت الأمر مع بعض الوجلقية على قتل عثمان بك وهو ذاهب إلى الديوان، فخرج يومًا يريد الطلوع الى الديوان فوجد الطريق مشحونة بالعسكر، فضربه رجل بسيف فجرحه فى وجهه وكر رجعا الى منزله، وخرج من يومه وعاد بعد مدة الى السويس ولم يمكنه دخول مصر، ثم سار بعد ذلك الى مدينة اسلامبول، وولى باشا ببرصه، وبها مات بعد مدة مديدة.

وبخروجه من مصر استقر الامر لرضوان كتخدا ولابراهيم كتخدا المذكورين. وأصل إبراهيم كتخدا مملوك سليمان كتخدا القازد غلى والد عبدالرحمن كتخدا الاتى ذكره. واما رضوان كتخدا فهو مملوك سليمان كتخدا الجلفى، وكان فى وجاق العزب واصل بيت الجلفية رجل معصرانى وكان مبدأ أمره أنه كان رجلا يخدم فى معصرة، فاتفق ان رجلا جنديا اشترى يوما من المعصرة شيرج، وقال للجلفى هذا: احمله لى الى منزلى، فحمله معه، فلما دخل معه منزله عمد الجندى الى خزانة كانت بمنزلة واخرج منها ذهبا كثيرا ووضعه فى خزانة غيرها، والمعصرانى يعاونه فى ذلك، ثم بنى عليه مع المعصرانى بناية، وأعطى له دينارًا أجرة عمله، ثم بعد مدة ثلاثين يوما أونحو ذلك مر المعصرانى على منزل الجندى، فرأى عليه زحمة، فسأل عنها فقيل له: مات صاحب هذا المنزل. فقال: هل له وارث. فقيل له: وارثه بيت المال، فذهب واشترى من بيت المال بيت ذلك الجندى، واجله بثمنه واخذ منه مفتاح البيت بعد

أن فرغ من نقل ما فيه من المتاع وجاء هو ففتح الموضع الذى يعرفه فأخرج منه ثمن البيت، ودفعه الى بيت المال، وغاب بعد ذلك ببلدة «سن جلف»، ورجع فأظهر الغنى واشترى المماليك، ومنهم سليمان كتخدا سيد رضوان كتخدا المتقدم ذكره، وأدخلهم فى سلك الوجاقات، واشترى لهم التزاما فهذا هو مبدأ بيت الجلفيه.

وأما مبدأ بيت القازدغلية فإنه كان رجلاً سراجًا، خدم سليمان كتخدا الكبير، وترقت حاله الى أن اشترى سليمان كتخدا سيد إبراهيم كتخدا. ودبر ابراهيم كتخدا ورضوان كتخدا المتقدم ذكرهما أمر مملكة مصر وساسوا الرعية إلا أن رضوان كتخدا كان مشغولا باللهو على طريقة البرامكة والعباسيين الذين تقدموا، وامتدحه الشعراء بقصائد، وألف فيه الادكاوى كتابًا سماه المدايح الرضوانية.، وكذلك ممن مدحه الأديب الفاضل الشيخ قاسم بمدايح كثيرة منها توشيحه الذى عارض به لسان الدين ابن الخطيب ومطلعه:

ترك الهجر ووافا كرما
بعد ما لعهدى قد نسى
اهيف القدّ كغصن علما
من نسيم الروض فى الميسِ

وفيه يقول:

فى رقاع الحرب للأعداء رما
وتخطى شاههم بالفرسَ

ومن الحوادث الواقعة فى وقتهما، أنه كان هناك أمير اسمه حسين بيك الخشاب فتعصب مع الباشا الذى كان موجودا فى ذلك الوقت على اخراج ابراهيم كتخدا ورضوان كتخدا. واعتصم ابراهيم كتخدا ورضوان كتخدا ومن معهم بالقلعة وضاق عليهم الأمر، وكان ذلك فى وقت العلامة الشيخ عبدالله الشبراوى شيخ الجامع الأزهر رحمه الله تعالى، وكان عظيما مهابا على الامراء، فالتمسوا منه أن يسعى فى الصلح بينهم، فركب الشيخ الشبراوى الى منزل حسين بيك الخشاب وطلب اجراء الصلح، فأبى حسين بيك وقال للشيخ الشبراوى: إن لم تلزم بيتك والا نفيتك الى ابريم- وادى بالوجه القبلى اخر بلاد الصعيد- فقال له الشيخ الشبراوى سترى من يروح ابريم منا يا كلب، ثم رجع الشيخ عبدالله الشبراوى من عنده إلى ابراهيم كتخدا ورضوان كتخدا وهما بالقلعة، وقال لهما: قوما فأخرجا الباشا من القلعة الى قصر العينى فإنه هو الذى يعينه عليكما. قال: فسمعا ذلك منه وارسلا اليه فنزل الباشا واراد أن يتوجه الى بيت الخشاب، فإذا حصل فيه منادى ينادى: من اطاع الله وسلطانه فليحضر الى بيت الخشاب، يريد بذلك أن يفرق جمع الاميرين المذكورين، فبلغهما ذلك فارسلا الى امير من جماعتهما كان اسمه محمد بيك، كانت أمه زوجة لرضوان كتخدا المذكور، وكان منزله على طريق الباشا فى نزوله من القلعة، وأمراه أن يعوقه فى الطريق عنده، ثم إن محمد بك المذكور عاق الباشا من الطريق عند منزله، بعد أن ضرب بالرصاص على الباشا وعلى أتباعه حين نزل من القلعة، فمات رجلان من اتباعه ودهش الباشا عقله وتحير فكره، فلما عارضه محمد بيك المتقدم ذكره عند منزله قبّل ركابه وخدعه وقال له: يا مولانا الوزير لا يمكنك أن تذهب الى ما تريد، وذلك لكثرة الرجال العساكر فيخاف عليك وعلى

أتباعك، فأوقع فى قلبه الرعب، فأدخله عنده، ودخل معه بمنزله وجلس عنده. فلما بلغ حسين بيك الخشاب، نزول الباشا وأتباعه من القلعة ضعفت قوته، فأرسل محمد بيك المذكور الى حسين بيك الخشاب المذكور، يقول له: انج بنفسك فإن الباشا المتقدم ذكره قد مات، مع أنه لم يمت انما كان ذلك حيلة على ضعف قوته واخراجه من مصر. ثم إن حسين بيك الخشاب المذكور خرج من مصر الى ناحية الصعيد، فأرسلوا خلفه يأمرونه بان يتوجه الى ابريم المتقدم ذكرها فنفى بها، وبها قد مات. وأما الباشا فإنه نزل بقصر العينى فصالحه العلامة الشيخ عبدالله الشبراوى وعلى جانب من النقود دفعها اليه صلحة له بسبب ذلك، وذلك من مال ابراهيم كتخدا ورضوان كتخدا المتقدم ذكرهما. ثم أعيد الباشا الى القلعة كما كان، ثم جاء أمر من الدولة بطلبه فقتل. وبخروج حسين بيك الخشاب صفا الوقت للأميرين المذكورين واستقرت مملكة مصر المحروسة لهما.

وفى ذلك الوقت نفى ابراهيم كتخدا من مصر خلق كثير منهم عبدالرحمن كتخدا ابن سيده، نفاه الى بلد يقال لها أتفينه بناحية رشيد، ثم أعيد بعد مدة الى مصر.

وكان عبدالرحمن كتخدا المذكور رجلا خيرا ساعيا فى الخير، فمن جملة ما فعل من الخيرات انه بنى مساجد كثيرة بمصر، وبنى مشاهد آل البيت، وزاد فى الأزهر زيادة بناها وانشأها، وبها مدفنه قبر لطيف متقن البناء، سيأتى الكلام عليه فى محله الأتى ذكره فيه إن شاء الله تعالى، وذلك فى سنة واحد وسبعين أو اثنين وسبعين ومائة وألف بعد موت ابراهيم كتخدا على ما سيأتى بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالى.

وولى إبراهيم كتخدا الأعمال مماليكه واتباعه، وفى سنة ثمانية وستين ومائة وألف مرض ابراهيم كتخدا المذكور، فدس عليه بعض الامراء الموجودين سما مع رجل حلاق كان يحلق لإبراهيم كتخدا المذكور، وأوهموه أنه دواء نافع،فأخذه منهم الحلاق المذكور، وكان فيه غفلة لا يشعر بأن ذلك سم لعدم علمه ومعرفته بالسم، فدفع الحلاق المذكور الدواء لسيده الأمير المذكور، فتناوله منه ابراهيم كتخدا قال: فعندما تناول ذلك أحس بأنه سم: قال: فقال للحلاقي: خذ هذا فكُلْ منه، فأكل منه فماتا معا فى تلك الساعة التى تناول فيها، ودفن ابراهيم كتخدا المذكور بالقرافة الصغرى قريبا من مقام الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وارضاه آمين.

وانقضى امر ابراهيم كتخدا المذكور، وتعين بعده فى البلد مماليكه، فتقدم عليهم الأمير حسين بيك المعروف بالمقتول، فتعين بالرياسة على اخوته واتباعه. ثم بعد مدة يسيرة من موت ابراهيم كتخدا تعصب مماليكه على اخراج رضوان كتخدا، فطلعوا الى القلعة وضربوا فيها على بيته وهو فيه مدافع، فحين وقعت ببيته خرج فأصيب عند خروجه برصاصة فى رجله، ثم توجه إلى ناحية الشيخ عثمان- قرية قريبة من مصر- فمات بها ودفن الى جانب قبر ولى هناك رحمه الله.

وبقى بمصر مماليك ابراهيم كتخدا المذكور، فأرادوا قتل حسين بيك فبعثوا سبعة رجال منهم اليه، وكان جالسا فى موضع يقال له مساطب

النشاب، وذلك الموضع قريب من قصر العيني، فدخلوا عليه فقتلوه وقطعوه قطعا وجاءوا به في خرج ودفن بالقرافة الصغرى.

واستقر الامر بعد ذلك الى حسين بيك كشكش وخليل بيك وعثمان بيك الجرجاوى، وجماعة ابراهيم كتخدا يديرون البلد، ونفوا خليل جاويش مصلى وعبدالرحمن كتخدا المتقدم ذكره الى الحجاز، وقد بنى قبل خروجه الزيادة التى أنشأها بالجامع الأزهر وبنى بها تربته التى دفن بها، وبنى مسجد سيدنا ومولانا الامام الحسين، وبنى مسجد السيدة زينب اخت سيدنا الحسين، وبنى مسجد السيدة نفيسة ام قاسم، وعمّر رباطاً معداً للارامل المنقطعين بحارة عابدين بيك، وبها كان مسكنه، وعمر السيدة سكينة، والسيدة رقية والشيخ مطهر وغيرهم، وفعل فعلا جميلا وهو أنه جعل لكل مسجد مصروفا يفي بإقامة شعائره وزيادة. وبنى بالبيمارستان مدرسة وجعل لها مصاريف معينة لها وعلى المرضى، بالبيمارستان المذكور فعليه رحمه الله تعالى ورضوانه.

واخذ على بيك[الكبير] فى مبدأ ظهوره يترفع عليهم، فنفوه الى ناحية النوساه، وطلع على بيك الغزاوى بالحج، فحج ورجع، فلما كان بالقبة نفوه الى غزة، ثم اعادوا على بيك من النوساه وبقى معهم وشأنه فى ترقى الى أن تعصبوا عليه، واخرجوه ثانيا الى صعيد مصر بعد أن ألزموه بمال دفعه قبل الخروج، وتقلبت الاحوال ثم جمع على بيك[الكبير] جموعا ورجع فى مبادئ سنة أحد وثمانين ومائة وألف، فهرب منه اخوته حسين بيك وخليل بيك واتباعهم. وكان عثمان بيك الجرجاوى قد قتل فى المحل المعروف بقراميدان فى يوم عيد، قتله اخوته المذكورون، ولما حل ركاب على بيك المذكور فى مصر فر الجماعة المذكورون الى ناحية الغربية هاربين، فاتبعهم محمد بيك ابو الذهب، والتقى الجمعان عند مسجد الخضر بشاطئ البحر، فانهزم حسين بيك وخليل بيك بمن معهم الى ناحية طنتدا، بالغربية المذكورة، وتبعهم محمد بيك ومن معه، فاعتصموا بمقام قطب الأقطاب مولانا السيد احمد البدوى ابى فراج، فكف عنهم الى أن خرجوا من هناك الى محل سنطا،، فقبض عليهم، وضرب أعناقهم مع بعض جماعة من اتباعهم، وبعث خليل بيك الى ثغر سكندرية فخنق بالبرج الذى بها، وجئ برؤوس بقية الجماعة حسين بيك، ومع أربعة، وطافوا برؤوسهم المدينة، وانقضت دولة حسين بيك كشكش وخليل بيك، فسبحان من لا يزول سلطانه.

وانفرد على بيك[الكبير] من ذلك الوقت بمملكة مصر، واتقن الأحكام بها، وساس فى الرعية سياسة عظيمة، وكان أميرا عاقلاً حاكماً أمنت فى وقته الطرق من اللصوص والعربان وقطاع الطريق، حتى أن الناس كانوا يسافرون فى البلاد ليلا حاملين الاموال وغيرها، فلا يجدون احداً يتعرض لهم من عربان وغيرهم من قطاع الطريق، وكان مهابا عظيما، غير أنه حدث فى أيامه حوادث لم يعهد وقوع مثلها، منها: انه جعل الجامكية نصفين نصف يقبض نقداً ونصفها أوراقاً، فيباع كل مائة نصف بخمسين، وكان هذا مبادئ ظهور الفساد وكان لا يستطيع أحد أن يراجعه.

وكان المغفور له العلامة الشيخ احمد

الدمنهورى له تجارئ عليه فى المراجعة وكان الشيخ يقول له قولا لا يستطيع أحد أن يقوله إلاّ الشيخ ، وكان الأمير المذكور يعتقد [فى] الشيخ الدمنهورى لكون أن الامير المذكور كان يعلم أن الشيخ الدمنهورى على الحق.

وأكثر على بيك من شراء المماليك وولى مماليكه الاعمال، بحيث أنه لم يبق من الوجاقات ولا خلافهم ولا لأحد من ارباب الوجاقات المذكورة حكما. وكان أحمد باشا الجزار فى مبدأ أمره من اتباعه، ولاه واليا بمصر، ثم ولاه البحيرة، فقتل من كان موجودا بها من المفسدين من العربان وغيرهم، وكان هذا هو السبب فى تسميته بالجزار لكونه كان يكثر من قتل عربان البحيرة شبه الجزار، ثم ولاه الصنجقية بعد ذلك. وقتل على بيك صالح بيك بعد وصوله مصر بيسير، وكان صالح بيك هذا مملوك مصطفى بيك القرد، وهو الذى تقدم ذكره المقتول مع شركس بيك كما تقدم بسطه. وكان صالح بيك قد نفى من مدة الى صعيد مصر، فلما رجع على بيك الى مصر كان معه صالح بيك، فأغرى به على بيك المذكور مملوكه محمد بيك الملقب بابى الذهب، فقتله وهو خارج معه من منزل سيده بالمحل المعروف الان بسويقة عصفور بمصر قريبا من الداوودية، وكان من جملة الضاربين لصالح بيك ابراهيم بك الشهير الان بالكبير فولاه بسبب ذلك صنجقا، ثم ولاه امير حج بعد ذلك بمدة. واخرج على بيك من مصر جماعة كثيرة منهم جماعة الفلاح، وكانوا نحو ثمانين بيتًا وكان ذلك فى يوم واحد. وذلك أنه قد طلع بالقلعة، وجمع جموعا، وجيش جيوشا، وأرسلهم لإخراج الجماعة المذكورين، وكان ممن معه فى تلك الحادثة أحمد بيك الجزار، فلما علم جماعة الفلاح بذلك تيقنوا أنهم مأخوذون، فخرجوا من مصر عن آخرهم، وهمّ محمد بيك ابو الذهب المذكور فى ذلك اليوم لقتل احمد بيك الجزار، فتفطن احمد بيك المذكور لذلك الاهتمام، وسبب ذلك أن محمد بيك قال له: ارنى سيفك لا نظره يريد تناوله منه ليقتله، ففهم منه تلك الخدعة بأنها هى عين الغدر به، فقال له أحمد بيك الجزار: إن سيفى لا يخرج الا ضاربا من موضعه، وفارقه من ساعته، وخرج من مصر، فأرسل على بيك بعد يومين خلفه أغات انكشارية وكان اذ ذاك عبدالرحمن أغا، وامره أن يقتله فوجده قد خرج فارًا من منزله. واما جماعة الفلاح المذكورين فإن أصلهم مماليك رجل يقال له صالح الفلاح، وكان أصله صبى حريم فى منزل سليمان كتخدا القازدغلى ثم إنه استفاد اموالا كثيرة، فاشترى منها مماليك كثيرة وادخلهم فى سلك الوجاقات، فانتشر صيتهم واشتهر صيتهم وكثرت اتباعهم ، وذلك فى مدة حياة سيدهم المذكور، وكان صفته أنه كان يركب حمارا قصيرا، ويلبس مثل ملبس التجار، ومات وبقيت جماعته، فنقلهم على بيك المذكور على ما تقدم بيانه مفصلا ومنهم جماعة باقين بمصر الى الآن يعرفون بهذا اللقب.

ووجه على بيك المذكور مملوكه محمد بيك ابو الذهب الى جهة همام، وكان بصعيد مصر، وكان رجلاً له جيوش وعبيد كثيرة، وكان محسنًا كريمًا، فقتله محمد بيك المذكور وأخذ جميع ما بيده.

ثم وجهه بعد قتل همام إلى جهة بلاد الحجاز ليخرج شريف مكة من مكة وأن يقتل طائفة

العربان الذين يتعرضون للحجاج فى الطريق فتوجه، الى ذلك فعندما أحس شريف مكة بقدوم محمد بيك لمكة خرج عنها وولى بدله ابن عمه فى مكانه الذى هو موضع سلطنته، وفى تلك الحالة لم يتعرض الى احد من اشراف مكة، ولا لمن كان قاطنًا بها، ولا لأحد من خلق الله تعالى بأذى ولا بغير ذلك، غير أنه تعرض لاتباع الشريف المنفى، فكان كل من كان بمكة اخرجه منها تبعًا لسيده، وكر راجعًا الى مصر، اصطحب فى رجوعه الى مصر عبدالرحمن كتخدا المتقدم ذكره وكان [illegible] ذكره وبعد عوده بنحو اثنى عشر يومًا مات عبدالرحمن كتخدا المذكور ودفن فى تربته التى أنشأها فى الزيادة بالجامع الأزهر بقبر بناه لنفسه قبل خروجه من مصر منفيًا وتقدم ذكره فجاء به ترابه.

ثم فسد الامر بين محمد بيك وبين سيده على بيك، فعزم على بيك على قتل مملوكه محمد بيك، فاستشعر محمد بيك المذكور بذلك العزم ففر ليلاً بمماليكه الى جهة الصعيد فجمع جموعا من العساكر، واستعان بمن كان قاطنًا هناك هاربًا من على بيك أو منفيا وكان ممن جمله فى المعاونة والمساعدة شيخ العرب اسماعيل أبو على شيخ طائفة الأعراب بصعيد مصر. وقدم يريد محاربة سيده المذكور، فخرج له سيده على بيك والتقيا عند المكان المعروف بالتبين، فانهزم على بيك المذكور وخرج الى ناحية غزة ودخل محمد بيك أبو الذهب المذكور مصر، واشترى المماليك وأمرّهم بها، وبعد مضى نحو سنة قدم على بيك بجيوش من ناحية غزة، فخرج لقتاله مملوكه محمد بيك المذكور، فأصيب على بيك بسيف فى وجهه وكان الضارب له مراد بيك ، ثم جئ به فى تخت وأسكنه بالأزبكية بمصر ودس عليه فى المرهم الذى عمل له دواءلجرحه جانبا من السم فمات بسبب ذلك، ودفن بالقرافة الصغرى عند تربة سيده ابراهيم كتخدا.

واستقر الامر بعد ذلك لمحمد بيك بمصر، فأحدث بها مظالم لم تكن قبل موجودة. فمن جملة المظالم أنه رتب رفع المظالم بالبلاد وغيرها،وزاد فى عشور البن زيادة لم تقبض قبل. وبنى تكية أنشأها، وهى التى تجاه الجامع الأزهر، ورتب فيها تراتيب عظيمة للعلماء ولطلبة العلم.

ثم خرج فى سنة تسعين ومائة والف الى قتال الظاهر عمر بعكا بالشام، فحاربه بها وملكها منه، وقتل الظاهر عمر، وعسف فى تلك النواحى عسفا شديدا، ثم بعد ذلك وهو بتلك البلاد لحقه مرض عظيم اعتل به ثلاثة أيام ومات فى الثالث منها، وجئ به فى تخت محمولا وهو ميت إلى مصر، ودفن بتكيته المذكورة. وعند ارادته الذهاب الى عكا أرسل بطلب كتابة من العلماء، فبعضهم أجاب وبعضهم امتنع، وكان الذى توقف وامتنع من الكتابة العلامة الشيخ احمد الدمنهورى فلم يكتب، فتوجه اليه محمد بيك المذكور وهو بمنزله ليكرهه على الكتابة، فلم يكتب وامتنع، وقال: كيف أكتب بمعنى أشهد أنك عادل وأنت ظالم؟ ماذا أقول؟ قم عنى، فقام من عنده، من منزله فتوجع من الشيخ بسبب عدم الكتابة، فلم يعد من هناك الى مصر الا ميتا فسبحان من لا يتغير.

وفى سنة تسعين ومائة والف وهى السنة التى مات فيها محمد بك المذكور، وتعين فيها ابراهيم

بيك ومراد بيك بالامارة فى مصر بعد عودهما من الاقطار الشامية، وألبسوا من إخوتهم الصنجقية، وكان منهم مصطفى بيك وسليمان بيك بعد أن جعلوه أغات الانكشارية وايوب بيك الدفتردار، والبسوا صناجق كثير منهم لاشين بيك وأحمد بيك الكلارجى واكثروا من الكشاف فاتسع لهم الامر بمصر وكان معهم فى البلد الامير اسماعيل بيك القازدغلى، وهو مملوك ابراهيم كتخدا القازدغلى، وكان من جملة الذين ترقوا فى مدة على بيك سيد سيدهم، وكان مشاركا لهم فى الكلام والتصرف فى البلد، ثم شرعوا يصادمون الناس فى أموالهم، فنفرت منهم قلوب الرعية، وكره الناس أفعالهم وما يفعلونه من الاحكام فتعصب عليهم اسماعيل بيك المتقدم ذكره، وأخرجهم من مصر عن آخرهم، فتوجهوا الى ناحية صعيد مصر، فمكثوا بها نحو سبعة أشهر، ثم رجعوا طالبين دخول مصر، فدخلوا مصر، وخرج اسماعيل بيك المتقدم ذكره بعد الانهزام فى الحرب، ففر الى ناحية غزة المتقدم ذكرها، ثم أنه بعد ذلك توجه الى اسلامبول، ثم رجع من اسلامبول الى صعيد مصر، وذلك الرجوع توصل له من طريق الجبل، واختفى بمغارة هناك أيام. فإن جماعة محمد بيك بعد دخولهم مصر وفرار إسماعيل بيك المذكور حكموا فيها على عادتهم، فبلغهم رجوع اسماعيل بيك الى صعيد مصر من طريق الجبل كما تقدم ذكره، فأرسلوا جماعة منهم الى تلك الجهة ليدركوه فلم يحصل ادراكه لهم، وانما أدركوا ممن كان معه الامير عبدالرحمن أغا، وكان اغات الانكشارية بمصر، واصله مملوك ابراهيم كتخدا القازدغلى الذى تقدم ذكره فضربوا عنقه، وجاءوا برأسه الى مصر. واما اسماعيل بيك فإنه دخل فى المغارة التى قدمنا ذكرها فاختفى بها ثم خرج منها ولم يزل غائبا حتى جاز من حسن باشا القبطان على ما سيأتى سيرته إن شاء الله.

وصفى الوقت لجماعة محمد بيك.، وخرج مراد بيك المتقدم ذكره بالحج، وحج اميرا عليه وذلك فى سنة أربع وتسعين ومائة وألف، ثم بعد مدة خرج ابراهيم بيك الكبير المذكور فى صورة غاضب من اخوته المذكورين بعد أن حصل بينهم فى اثناء ولايتهم نزاع وذلك بينهم. وكان خروج الامير المذكور الى جهة المنيا بالصعيد المتقدم ذكره، فأرسل له مراد بيك اخوته فأصلحوه،، وذلك بعد [أن] ابى الصلح، وقدم الى الجيزة، وخرج ابراهيم بيك لمحاربته فمكث يحاربه ثمانية عشر يوما، ولم يمت فى هذه الحادثة فى مدة الحرب الا حصان واحد وخدام واحد، ثم توجه الى جهة الصعيد فوقع الصلح المذكور، وكان ذلك بواسطة الشيخ السادات والشيخ العروسى شيخ الجامع الأزهر، وقد وجههم له قهرا، ووقع بينهم حوادث كثيرة ليست مقصودة لذاتها وانما كانت مقصودة لاظهار العداوة بينهم لاجل أن يتوصلوا بذلك الى اصطياد اسماعيل بيك المذكور، واظهاره من غيابه، ولم يتم هذا الغرض لهم لان اسماعيل بيك المذكور كان فيه حزم رأى . وخرج مصطفى بيك الى ناحية الصعيد ثم اصلحوه اخوته، وعند رجوع مراد بيك من صعيد مصر خرج منهم خمسة من الامراء وكان منهم ايوب بيك الدفتردار الذى قتله الفرنساوية عند قدومهم، وأحمد بيك وعثمان بيك الشرقاوى و مصطفى بيك الصغير وتبعهم مراد بيك يوم خروجهم إلى قليوب، واصيب فرسه،

فوقع من عليها ورجع، وولوا يريدون صعيد مصر من طريق الاهرام، فوكلوا بهم من عاقهم عند الجسر الاسود خلف الاهرام، وجاءوا بهم فنفوهم الى المنصورة والى دمياط. ثم بعد مدة نحو خمسة واربعين يوما تكلم الشيخ احمد العروسى المتقدم ذكره فى الشفاعة لجماعة منهم، فأجيب الى ذلك، ونقل مصطفى بيك من فارسكور الى برج سكندرية، وسبب ذلك انه كان قد بيت الامر مع اخوته المنفيين بالمنصورة ان يهرب معهم الى الصعيد، وتوافقوا على ذلك وتواعدوا وقتًا مخصوصًا، وكان ذلك فى خامس عشر رمضان سنة سبع وتسعين ومائة والف، وخرج مصطفى بيك الى فارسكور فى ثالث عشر رمضان من السنة المذكورة يريد المنصورة، فتعرض له رجل بدوى من العرب يقال له الأشقم بطوائف من العربان بأمر مراد بيك فعاقه ومن كان معه، ولم يكن معه إلانحو ٣٠ رجلاً فرده الأشقم إلى فارسكور ثانيا، وقبض عليه بسنماطة زغلول، وبعث بخبره إلى مرادبيك فارسل نفاه الى اسكندرية، ونقل اخوته الى منازلهم بمصر، وذلك بشفاعة الشيخ العروسى. وبعد نحو خمسة واربعين يوما من ارساله الى سكندرية تكلم فيه الشيخ العروسى، فقبل وجئ به الى مصر فى غرة القعدة من السنة المذكورة، وعادوا جميعا الى ما كانوا عليه من الوفاق والمحبة. ولم يزالوا على هذا الى أن قدم الجيزة (وكان ذلك فى خامس عشرين شعبان سنة مائتين وألف) حسن باشا القبطان بمراكب بالبحر بثغر سكندرية، فاضطربوا وشرعوا يستعدون للخروج من مصر هربا، وتواردت الأخبار بقدوم حسن باشا الى ثغر رشيد فأرسل امراء مصر خلف العلامة الشيخ أحمد العروسى والعلامة الشيخ محمد الحريرى الحنفى أن يتوجهوا الى الباشا المتقدم ذكره بثغر رشيد ليصلحوه أو ينتظرون عنده، فأجابوا الى ذلك، وتوجهوا فى رمضان المذكور للباشا المذكور فى ثغر رشيد المذكور، فعندما رآهم حسن باشا من بعد أرسل أخذبهم من المركب الذى كانوا فيها وانزلهم بمكان فى رشيد، ثم أحضرهم عنده ليلا، وسألهم عن سبب قدومهم، فأجابه الشيخ العروسى وكان ذا فطنة وبلاغة فى الكلام وذكاء فى العقل، فعلم بفطنته إنه [ان] أخبره بأنهم مرسلون من قبل الامراء ربما وقع منه غضب، (وربما كان ذلك فيه أمر يعنفهم فحاوره الشيخ لما رأى وجه السؤال فيه استفسار عن حقيقة الحال اما بأمر يغضبه أو بحال يرضيه، ونقله الى الحال الذى يرضيه) وقال له الشيخ المذكور ان شاء الله تعالى يكون قدوم خير، لكن قال الله تعالى ﴿ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون﴾ واهل مصر قوم ضعاف لا يقدرون على أن يتكلموا مع أحد من العسكر فجئنا نوصيك لتوصى عسكرك بأهل مصر فإنهم عرضنا، ولم يذكر له شيئًا يتعلق بأمر الامراء الذين بمصر اصلا، وكان ذلك من العناية به، فإن الشيخ بعد توجهه الى حسن باشا ليسعى فى الصلح خرج مراد بيك بعسكر يريد قتال حسن باشا، ولم يزل مقيما حسن باشا برشيد حتى بلغه خروج مرادبيك فأرسل له من عسكره جماعة يحاربون مراد بيك وجماعته، فاجتمعوا الفرقين بالرحمانية، وضرب جماعة حسن باشا على جماعة مراد بيك بنبتين وبعض مدافع فكر راجعا مهزوما وجماعته، وكان معه عشرة صناجق،

ولم يدخل مصر، وخرج عند عوده منهزما ابراهيم بيك فلحقه تجاه بر مصر القديمة ،وصار معه يريدون جهة الصعيد، وكان بالقلعة باشا اسمه محمد باشا يكن ، فأرسل خلف من فى مصر من الوجاقلية والعلماء وارباب السجاجيد فأخذهم عنده فى القلعة وتحزب معهم وذلك حزما منه.

وفروا جماعة محمد بيك هاربين الى الصعيد، ثم دخل حسن باشا مصر، وكان ابتداء دخوله فى خامس شهر شوال سنة مائتين والف، ونزل عند قدومه بمنزل ابراهيم بيك ببركة الفيل، ومات جماعة من عسكره يوم دخوله، وسبب موتهم أنهم أرادوا أن يدخلوا إلى منزل ابراهيم بيك الوالى وذلك بجوار منزل الشيخ السادات، ثم أنهم دخلوا المنزل المذكور واطلعوا على المكان المذكور فبلغ ذلك الشيخ السادات، فلما بلغه ذلك ركب الشيخ السادات وتكلم مع حسن باشا كلاما اليما، فأرسل خلف الجماعة المذكورين فضرب أعناقهم، وكان ذلك هو السبب، فأمن الناس شرهم وهابه العسكر ووضع يده على تعلقاتهم بأسرها ما عدا ما كان متعلقًا بحريمهم من البلاد والعقار فإنه لم يتعرض لهم، وأخذ فى بيع أمتعتهم وجواريهم، فبلغ ذلك العلماء فركب الشيخ أحمد العروسى والشيخ السادات والسيد محمد أفندى البكرى وكان حين ذاك نقيب السادة الاشراف بالديار المصرية والعلامة الشيخ احمد الدردير مفتى السادة المالكية والشيخ محمد الحريرى مفتى السادة الحنفية ودخلوا عليه فراعهم وبدأ الشيخ السادات بالكلام فقال: إنما دامت دولة آل عثمان بتمسكها بحبال الشريعة المطهرة والذى ورد فى الشريعة المطهرة انه لا يجوز فيها بيع امهات الأولاد فإنهن لا يبعن. فاضطرب هو وبعث الى كتخداية احمد حمام اغلى فقال له انظر واسمع ما يقول اشياخنا فاعادوا عليه القول فقال حسن باشا: اذن نكاتب الدولة العليا اننا اردنا بيع تعلقات جماعة محمد بيك فمنعنا المشايخ، فأجابه ابن البنوفرى ولم يكن فى المرتبة كمن ذكرناه: «انا اصغر المشايخ اكتب ما تريد واكتب اسمى أولا»، ثم قال له الشيخ السادات أنت جئت فى طلب رجلين وهم على قيد الحياة بينك وبينهم يوم واحد فأت بهم احياء واستوف منهم ما تريد أو اقتلهم إن شئت واضبط ما يتعلق بالدولة من تعلقاتهم. فكف هذا عن البيع فاخرج الدلالين، وقاموا المشايخ من عنده، ثم جاءه رجل تركى اسمه بشناق افندى كان يداخل القاضى المولى فى وقته، فاشار عليه باخراج حجة بالوكالة عنهم مشمولة بختم القاضى ففعل ، وتصرف فى مصالحهم على أنه وكيل حتى يحاسبهم ، وولى على اغا كتخدا الجاويشية اميرا صنجقا،وصار ملازما بديوانه وفى كل يوم يعرفه عن أمور مصر وأحوالها.

ثم ولى محمد بيك المبذول صنجقا وكان فى الاصل يسمى مراد، وولى جماعة من الامراء فى الوجاقات الذين كانوا فى مدة جماعة محمد بيك المتقدم ذكرهم خاملين، ثم جاء طلب من اسلامبول للوزير محمد باشا والى مصر المعروف بيكن، فسافر ومات بعد ذلك ، وقدم عابدى باشا وباشا آخر يقال له سنان أغلى، اما عابدى باشا فانه كان رجلا عاقلا شريفا عالما متولى قلعة مصر ثم سكن بقلعة الجبل، واما سنان اغلى فبقى بجماعته الى أن وجههم حسن باشا الى صعيد مصر لقتال الفارين، ووجه معه ايضا عابدى باشا وجماعة من الوجقلية وممن البسوا الصنجقية،

فتوجه الجميع الى الصعيد ومعهم على بيك، ثم كاتب اسماعيل بيك واحسن الرأى فى كتابه حضرة الوزير عابدى باشا المتقدم ذكره فى الحضور هو وحسن بيك الجداوى، فحضروا بطلبة لكن على غير الطريق التى فيها جماعة محمد بيك، ووصلوا الى عرضى عابدى باشا، ثم بعد ذلك وقعت المعركة ومات فيها جماعة سنان اغلى عن آخرهم ولم يبق منهم الا القليل،وفر جماعة محمد بيك الى اقصى الصعيد، ثم رجع عابدى باشا ومن معه من عساكر أهل مصر وجاء معهم اسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى المتقدم ذكره، وسلم حسن باشا مصر الى اسماعيل بيك وبقى بعد ذلك مدة يسيرة وسافر بعد نحو ستة شهور من مصر الى الروم وبها مات، وبقيت مصر بيد اسماعيل بيك وحسن بيك، واختص محمد بيك بصعيد مصر، وعمّر اسماعيل بيك منزله الذى على بركة الفيل، وعمّر القصر الذى بناه بالجيزة وبناحية طرا، ودبر مملكة مصر تدبيرا حسنا، ثم وقع فى وقته حوادث منها حادثة احمد بيك الوالى مملوك حسين بيك الجداوى المتقدم ذكره، ومبداها انه كان سيده ولاه واليا بمصر بامر اسماعيل بيك، فعسف وجار وظلم ظلما عنيفا، فالتجأ الناس الى العلامة الشيخ احمد العروسى شيخ المشايخ وشيخ الجامع الأزهر وشكوه اليه ، فركب فى انفار من جماعته الى منزل اسماعيل بيك فدخل عليه ومجلس ديوانه حفل مملوء بالامراء وارباب الوجاقات فتكلم ووعظ وخوفهم عاقبة أمرهم، وجاء اسماعيل بيك فوعظه وقال له: ان لم تعزل الوالى عن الناس المسلمين والا فاخرج عن البلد، فاطرق لذلك الكلام وارسل من طرفه كتخدا الانكشارية وكان يسمى رضوان مع جماعة من طرف الشيخ تخاطب حسن بيك المتقدم ذكره فى عزل مملوكه، فتوقف فى عزله، فوقعت الفتنة بينه وبين الرعية واستمرت سبعة أيام، ووقع بين أحمد أغا الوالى وبين الرعية قتال فى الأزبكية، فمات أفراد من جماعته ونحو خمسة أنفار من الرعية، ثم خرج الى جهة الشيخ قمر خارج مصر، وخرجوا خلفه فوقع بينه وبينهم قتال ورجعوا عنه، واجتمع العلماء بمنزل السيد محمد افندى البكرى نقيب الأشراف بمصر ببركة الأزبكية،وأرسلوا خلف اسماعيل بيك فحضر، فتكلموا معه كلاما أليما ولينا، وانفصل من المجلس بعزله وقد نودى فى الاسواق بعزل أحمد اغا الوالى وسكنت الفتنة وفتحت البلد في اليوم الثامن وولى أحمد أغا المذكور بعدها سنجقا ونزل الى الصعيد فاعترته علة فى لسانه وبها مات.واستمر الامر الى دخول سنة خمس ومائتين والف فجاء طاعون بمصر وكان ابتداؤه في شعبان من السنة المذكورة وزاد الامر الى أن صار يعد فى كل يوم من الاموات نحو الالف، ثم زاد فبلغ الدفن فى كل يوم نحو الالف وخمسمائة، واختص بالغز ومات من أهل البلد ناس كثير، الا انه كان اكثرالناس موتا الاتراك، فمما اتفق انه ولى فى يوم واحد ثلاث أغوات وكان قبل تمام اليوم الثانى، فكان يولى صباحا فيموت قبل العصر، وفى هذا الطاعون مات اتباع اسماعيل بيك المتقدم ذكره ثم مات هو بعد ذلك ودفن بالقرافة الصغرى عند سيده وذلك فى مبدأ شوال سنة خمس ومائتين والف المذكورة، وبقى فى البلد حسن بيك الجداوى، وبقى من جماعة اسماعيل بيك جماعة قليلة فولوا عليهم اميرا عثمان بيك طبل ، وقد علم عثمان بيك أنه

فى تلك الحالة يعجز عن تدبير مملكة مصر لكونه يده خلية ممن كان موجودا، فكتب الى جماعة محمد بيك بموت سيده فقدموا من خلف الجبل الى أن وصلوا الى قبة العرب ودخلوا مصر، وكان مبدأ الدخول خامس شهر القعدة سنة خمس ومائتين والف المذكورة، وخرج لقدومهم حسن بيك الجداوى وعلى بيك كتخدا الجاريشية هاربين، فتوجه حسن بيك الى جهة الصعيد وأما على بيك فتوجه الى الديار الرومية قيل انه مكث فى برصا وبها قد مات كما قد نقل والله أعلم بغيبه، وحدثت حوادث فى دخول جماعة محمد بيك بمصر منها: انه قد وقع غلاء شديد الى أن بلغ الاردب القمح نحو خمسة عشر ريالا وازيد نعوذ بالله من ذلك، ثم استقر الامر لجماعة محمد بيك فترفهوا فى ملابسهم ومآكلهم ومشاربهم وخرجوا عن موضوع من كان قبلهم من الامراء المتقدمين، وفى سنة ثمان ومائتين والف توفى العلامة الشيخ احمد العروسى المتقدم ذكره، ودفن بمسجد العريان قريبا من باب الشعرية، ووقع بعده فتنة يسيرة بين العلماء والامراء، ومبداها ان محمد بيك الالفى مد يده الى بلاد الشرقية فعسف فيها عسفا شنيعا، فتحزب العلماء على الامراء وانضمت اليهم خلق كثير وعاونهم على ذلك ابراهيم بيك الكبير سراً وكان ذلك على غرضه، واجتمعوا بمنزل السادات [ألوفا] ثم بمنزل ابراهيم بيك المتقدم ذكره، فاستقر الامر على أن انعقد بينهم صلح على ابطال ما احدثوه من المظالم والجور والفجور، وكتب عليهم فى شأن ذلك حجة وساروا بعد ذلك بمدة يسيرة سيرا جميلا حسنة ثم عادوا لما كانوا عليه من امتداد يدهم الى اموال الناس حتى افضى بهم الامر الى أن صالوا على اموال التجار الفرنساوية وكوتبوا فى شأن ذلك مرارا عديدة على أن يردوا جميع ما اخذ لهم فلم يلتفتوا الى ذلك بل تمادوا فى غرورهم فآثر ذلك حقدا فى نفوس الفرنساوية منهم لما هم مجبولون عليه من ثبات الأقدام والإقدام، وقد أنذروا فلم يوجد نفعا، فجهزوا ركبه عليهم، وقدموا الى سكندرية فى العشر الاواسط من شهر محرم سنة ١٢١٣، ثلاث عشر ومائتين والفا، فملكوها ثم ملكوا مصر فى سابع صفر من السنة المذكورة وبقدومهم انقضت دولة جماعة محمد بيك وساير طايفة المصريين ولله عاقبة الامور فهو الذى يؤتى ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء والله يحكم لا معقب لحكمه والبغى مُصرع بمستفيد وبالعدل تدوم الدول وكل ماله مبدأ فله نهاية اللهم احسن عاقبتنا فى الامور كلها امين، بمنك وجودك رب العالمين.

تم ذلك وتم

تم هذا الجزء المجموع في اخبار

[القرن] الثاني عشر تذكرة

لاهل البصائر والابصار

مع وجه الاختصار

المغاربـة فى مصـر*

رحلات المغاربة الى مصر فى القرن السادس عشر الميلادى

رحلـة أبـو الحسـن الـوزان

يعرفنا الوزان بمصر فى كتابه «وصف أفريقيا» مفصلاً الحديث فى كل المواضيع، ففى المقدمة يقسم اقليم مصر إلى ثلاثة أقسام الريف والصعيد والبحرية.

ويلخص الرجل إمكانيات مصر الاقتصادية بأن البلاد عبارة عن سهل خصب يصلح لزراعة الحبوب والخضراوات تتوافر بها مراع جيدة للمواشى وكميات لا تحصى من الدجاج والوز.

والصعيد فيما سجله الوزان ينتج الحبوب والخضراوات والمواشى والدواجن والصوف أما الريف فهو غنى بالفواكه والأرز، والبحرية غنية بالقطن والسكر وبعض الفواكه.

وقد أشار الوزان فى نفس المقدمة الى اللون الأسمر لبشرة سكان الأرياف وان كان قد لاحظ أن سكان المدن أقل سمرة.

أما لباس سكان مصر فيما لاحظه أبو الحسن فهو لباس ضيق ومخيط عند الصدر ومنفتح حتى الرجلين وأكمامه ضيقة وهم يضعون على رءوسهم عمامة كبيرة كثيرة الثنايا، أما أحذيتهم فهى عبارة عن نعال قديمة وقليل منهم الذين يلبسون الحذاء وهم يلبسون فى الصيف قماشا من القطن مخططا وملونا أما فى فصل الشتاء فيلبسون قماشا محشوا بالقطن. أما التجار والأغنياء فهم يلبسون أقمشة مستوردة من أوروبا.

ويضيف الوزان: «إن المصريين أناس صالحون ولطفاء أو على الأصح كرماء. انهم يستعملون كثيرا من الحليب والجبن الطرى فى تغذيتهم وقد يستهلكون كثيرا من الجبن المحمض ويكثرون من الملح فى جبنهم وأن الزائر غير المعتاد على هذا النوع من الطعام لا يجده مستساغا».

وفى نفس المقدمة يشير الرحالة المغربى الى أن سكان الريف والبحرية أكثر تحضراً من سكان الصعيد بحكم موقعها القريب من البحر.

وفيما نلاحظ فإن جميع الرحالة المغاربة الذين اتجهوا الى مصر قد مروا على تلك الأقاليم وسجلوا أوصافها.

ويستعرض الوزان المدن المصرية فيذكر مدينة أبو صير وهى كما أشار مدينة مهجورة يعتريها الخراب تقع على بعد ٢٠ ميلا غرب الإسكندرية.

- مدينة الإسكندرية ويخصص لها حيزا ملحوظا فى كتابه يقدم فيه معلومات متنوعة يمكن تصنيفها الى معلومات اجتماعية وأخرى اقتصادية.

ويمكن تلخيص ما جاء فى وصف الوزان للاسكندرية من مظاهر اجتماعية فى الظواهر التالية..

فهو يذكر الديانات التى يعتنقها سكان هذه المدينة ويتطرق الى وصف البنايات الدينية، فإلى جانب الإسلام ما زال يوجد بهذه المدينة، على حد

* انظر: تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ د. يونان لبيب رزق ومحمد مزين الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٠.

قوله عدد كبير من المسيحيين من أصحاب المذهب اليعقوبى ولهم كنيسة خاصة بهم أعيد بناؤها فى عدد من المناسبات وقد وجدها الوزان عند زيارته وقدم وصفا لها.

ويسجل أبو الحسن أن دفين تلك الكنيس هو مرقص الانجيلى وكانت جثته قد نقلتها خفية عام ٨٢٩ هـ - ١٤٢٥م مجموعة من التجار البنادقة الى مدينتهم، وأشار الوزان أيضا الى «منزل صغير وسط المدينة يحتوى على قبر مقدس» يحترمه المسلمون وهو مضاء ليلا ونهارا ويشاع أنه قبر الاسكندر الأكبر، وقد ذكر الرحالة المغربى أن زواره كثيرون وهم من السكان المحليين ومن الأجانب الذين كانوا يتركون به مبالغ كبيرة على شكل صدقات.

وتدور المعلومات الاقتصادية الخاصة بالاسكندرية التى قدمها أبو الحسن حول نقطة واحدة، وهى حاجة المدينة الى إقامة علاقات تجارية مع غيرها من المدن والبقاع لانها «تقع فى وسط صحراء من الرمال وهى لا تتوفر على أراض زراعية ولا على كروم أو حدائق، ويجلب اليها القمح من مناطق على بعد أربعين ميلا».

غير أن الوزان يشير الى وجود قناة تأتى بمياه النيل لبعض البساتين صغيرة الحجم، وقد لاحظ أن انتاج هذه البساتين غير صحى لما يسببه من أمراض لأكليها.

ولعل هذا يفسر اهتمام سكان الاسكندرية بالتجارة أكثر من غيرها ومن بينهم اليعقوبيون الذين يمارسون التجارة والحرف ويدفعون لحاكم القاهرة جزية سنوية.

والحقيقة أن شكل المدينة المربع. كما لاحظه الوزان، قد فرضته وضعيتها الاقتصادية والطبيعية فهى مفتوحة على أربع جهات، على كل جهة باب، الأول الى الشرق فى اتجاه النيل والثانى الى الجنوب فى اتجاه البحيرة والثالث الى الغرب فى اتجاه صحراء برقة والأخير الى الشمال فى اتجاه البحر وفيه يوجد الميناء .

ويضيف الوزان أن هذه الأبواب محروسة ليلا ونهارا ومراقبة من طرف رجال الجمارك «الذين يفتشون الناس بطريقة دقيقة لأن إدارة الجمارك فى الاسكندرية تعتبر الدنانير بمثابة سلعة»..

وفى نطاق التعريف بالدور التجارى للاسكندرية يقدم أبو الحسن للقارئ معلومات هامة حول موانئ المدينة:

الأول: هو ميناء الشمال باتجاه البحر وهو محدود الأهمية.

والثانى: يدعى مرسى البرج وترسو به أحسن السفن وأكثرها أهمية، على حد تعبير الوزان، «ومنها سفن تجار البندقية وجنوة وسفن أوروبية أخرى مثل سفن انجلترا والبرتغال، ومن مختلف مواطن أوروبا».

وقد لاحظ الرحالة المغربى أثناء تواجده أن أكثر السفن زيارة للاسكندرية كانت سفن المدن الايطالية وسفن صقلية على وجه الخصوص بالاضافة الى السفن اليونانية.

ويرجع أبو الحسن استخدام تلك السفن لميناء الاسكندرية احتماءمن القراصنة.

أماالميناءالثالث ويدعى ميناء السلسلة فترسو

فيه السفن القادمة من بلاد البربر [المغرب] وجربة ومن أماكن أخرى.

وتظهر الأهمية التى تعطيها سلطات الإسكندرية لهذه الموانئ من بنائها لبرج لمراقبة السفن التى تمر على ساحلها وكان الموظف الذى يتولى هذه المراقبة يحصل على مكافأة معينة على كل سفينة يبلغ بها الى موظفى الجمارك، وإذا ترك عمله أو نام أو ذهب ليتجول وحدث فى هذا الوقت أن وصلت بعض السفن الى الميناء بدون أن يبلغ ذلك الى موظفى الجمارك فإنه يعاقب بدفع غرامة تصل الى ضعف المكافأة وهى غرامة تدفع الى بيت مال السلطان».

●- مدينة أبو قير وعمارة هذه المدينة، كما شاهدها أبو الحسن، قليلة وسكانها فقراء. ومعنى تسجيل الوزان لخبر أبو قير دون غيرها من مدن أكبر منها، أنها قد وقعت فى طريق رحلته.

●- مدينة رشيد، وهى قريبة من الاسكندرية، وقد اعتبرها صاحب الرحلة ضاحية من ضواحى هذه المدينة حتى لاحظ أن كراء الدواب للذهاب الى الإسكندرية كان شيئاً شائعاً بها.

وكعادة الوزان فهو يقدم معلومات عن هذه الدواب قائلاً: وهذه الحيوانات سريعة الى درجة أنها تقطع مسافة أربعين ميلا ما بين الصباح وصلاة العصر باتباعها شاطئ البحر» كما يقدم معلومات أخرى عما يتوافر فى هذه المدينة من أسواق مكتظة بالصناع والتجار والميناء وكثير من المعامل التى كانت تقوم بضرب الأرز بأدوات من الخشب.

«يسجل الوزان كعادته أيضاً وصفا للأضرحة فى المدينة فيتحدث عن ضريح جميل حسن المظهر تطل بعض أبوابه على السوق والبعض الآخر على النهر، ويظهر هذا الطابع المغربى للرحالة الذى لا ينسى أبدا ذكر الأضرحة والمشايخ لانه تركها فى المغرب تلعب دورا هاما فى الحياة الدينية والسياسية.

– وقبل أن يتطرق أبو الحسن الى وصف شامل وكامل لمدينة القاهرة يقدم للقارئ بعض المعلومات حول مدن تبقى أهميتها مرتبطة بالعاصمة لما بينها وبين تلك المدن من علاقة اقتصادية وثيقة.

– فهناك مدينة برنبال وقد اشتهر سكانها بضرب الأرز ويقول الوزان أن لأبناء هذه المدينة أصولا بربرية.

– وهناك مدينة فوة التى لاحظ اكتظاظها السكانى واعتمادها على الفلاحة وشهرتها فى زراعة قصب السكر والقمح والنخيل، وهى ترتبط بباقى الأقاليم المصرية لشهرتها ببيع العسل.

– أما المحلة فهواسم لاحظ الوزان اطلاقه على كثير من القرى أو المدن المصرية ويرتبط معناه بمفهوم عسكرى.

– وتبقى مدينة ديروط التى اشتهرت بصناعة السكر، ويذكر الوزان أن عددا كبيرا من العمال يشتغلون بهذه الصناعة ويعود من جديد ليذكر «بالضريح الجميل» الموجود فى المدينة.

وترتبط كل هذه المدن الصغيرة بإحدى المدينتين الكبيرتين القاهرة أو الاسكندرية، ويظهر ذلك من وصف «أبى الحسن» عند تعرضه لامكانياتها الاقتصادية والبشرية.

أما ما سجله الوزان عن «القاهرة» بالإمكان ترتيبه على النحو التالى:

أولاً: معلومات عامة اقتصادية واجتماعية.

ثانيًا: معلومات مختلفة عن كل حى من أحيائها. باب زويلة، باب اللوق، بولاق، ومصر العتيقة.

فيما يتصل بالمعلومات العامة يمكن تفصيلها على الوجه الآتى:

معلومات حول أصل السكان وعددهم، معلومات حول المساجد والمستشفيات، معلومات حول الأسواق، وأخيرا معلومات حول عادات سكان القاهرة.

ويظهر أن ما يقدمه الوزان حول العادات أغزر مما يسجله حول الموضوعات الأخرى مما يدل على استقرار صاحب الرحلة لمدة سمحت له بملاحظة هذه العادات.

غير أن ما يقدمه «أبو الحسن» فى موضوع السكان (أصلهم وعددهم) قليل حيث اقتصر على الاشارة الى أن عدد هؤلاء يبلغ ثمانية آلاف عائلة وأن أصلهم متنوع ومختلف.

أما ما يسجله حول المساجد فقد جاء فيه ذكر الجامع الأزهر ولعدد من المدارس التى تقع على الطريق المؤدية من باب النصر الى باب زويلة ويشير الى اتساعها وزخرفتها، كما توجد فى نفس المنطقة مساجد «فسيحة وجميلة» ومن بينها جامع الحسين وجوامع أخرى.

ويرجع الوزان الى ذكر مساجد أخرى عند وصفه للقاهرة العتيقة مثل جامع عمرو.

أما ما يسجله عن المستشفيات فى القاهرة فيمكن تلخيصه من إشارته للمستشفى الذى قام ببنائه السلطان المملوكى بيبرس وكان يستقبل كل من وفد عليه للمساعدة والعلاج، وإذا توفى المريض يرث المستشفى ثروته.

وينتقل الوزان الى أسواق القاهرة، ذلك أنه يحدد المنطقة التجارية أولا فى الطريق المؤدية من باب النصر الى باب زويلة، وثانيا فى حى بين القصرين، ففى هذا الحى الأخير عدد من الحوانيت يباع فيها اللحم المطبوخ (حوالى ٦٠ حانوتا) وحوانيت تباع فيها العطور المستخلصة من الورود وتوضع فى قوارير من الزجاج الجميل أو من القصدير المصنوع بطريقة دقيقة.

وبنفس السوق مجموعة أخرى من الحوانيت تباع فيها أصناف الحلوى المصنوعة بالعسل أو السكر، بالإضافة الى ذلك وجدت دكاكين باعة الفواكه المستوردة من سوريا كالكمثرى والسفرجل والرمان، وهى فواكه لا تنبت فى مصر.

وبين هذه الدكاكين تتناثر حوانيت أخرى يباع فيها الفطير والبيض المقلى بالبطاطس...

ويستطرد الوزان مشيرا الى وجود مستودعات تضم عددا من الحوانيت، ففى المستودع الأول حوانيت تبيع أقمشة مستوردة من النوع الجيد مثل نسيج كتان بعلبك، وهو قماش من النوع الجيد يشتهر بنعومته، ونسيج كتان الموصلين الذى يمتاز بمتانته.

ولا يشترى هذه الأثواب الا الأعيان الذين يستخدمونها قمصانا لهم.

أما فى المستودع الثانى فتوجد أقمشة ايطالية

من الدمقس والقطيفة ونسيج الحرير والديباج، ويظهر أن هذه الأقمشة كانت تباع بمناطق أخرى من المدينة وخاصة المنسوجات الصوفية المستوردة من البلدان الأوروبية كأغطية البندقية وميوركا وغيرهما. كما شاهد عددا من الحوانيت تبيع الشيلان.

ويذكر صاحب «وصف أفريقيا» ما شاهده فى هذه الأسواق من حوانيت الحرفيين خاصة قرب الطريق المؤدية الى باب زويلة حيث توجد وكالات يحتوى بعضها على ثلاثة طوابق: يتكون طابقها الأرضى من غرف يستقبل فيها التجار زبائنهم ويقومون بتبادل السلع الغالية الثمن. ويستخدم الطابقان التاليان لخزن السلع، ولا يملك مخزنا فى هذين الطابقين سوى كبار التجار. وتختلف نوعية السلع التى تباع فى تلك الوكالات من توابل الى أحجار كريمة الى أثواب هندية .. الخ.

ويزيد «أبو الحسن» فى هذا الوصف لأسواق القاهرة مشيرا الى بائعى العطور مثل الطيب والمسك والعنبر. كما يذكر فى جانب آخر من هذه السوق باعة الورق المصقول ويضيف أن تجار هذا الورق يبيعون كذلك الأحجار الكريمة التى يحملها دلال من دكان الى آخر معلنا بداية المزاد العلنى. والى جانب هؤلاء توجد دكاكين الصائغين اليهود ثم الباعة بالتقسيط الذين يبيعون كميات كبيرة من الأثواب الجيدة.

والحقيقة أن ما يذكره الوزان عن الأسواق والباعة والدكاكين كثير بحيث أنه يضيف الى كل ما سبق وصفا لأسواق الأحياء الأخرى ولأسواق المدينة العتيقة. وتدل كل هذه المعلومات على احاطته الكاملة بأسواق القاهرة وصناعها.

ويعنى صاحب «وصف افريقيا» عناية ملحوظة بالجانب الاجتماعى وان كان قد انصب اهتمامه فى هذا الجانب على طباع وعادات أهل القاهرة ثم على لباسهم.

فيما يتصل بطباع القاهريين فقد رآهم الوزان أناسا لطفاء يتميزون بالبشاشة والافراط فى كلمات المجاملة غير أنهم- فى رأيه- لا يعملون كثيرا «كما هي العادة عند سكان كل المدن الكبيرة».

وهم يمارسون الصناعة والتجارة لكن ، قلما ترك أحد منهم بلده، أما المتعلمون منهم فأكثرهم يتعاطى دراسة الشريعة ويتخصص عدد أقل فى دراسة الأدب «وبالرغم من أن المدارس مليئة بالطلاب فقليل منهم يستفيد من دراسته».

أما فيما يتعلق بلباس أبناء القاهرة فقد لاحظ الرحالة المغربى أنه أنيق على العموم وتطرق من هذه الملاحظة الى وصف ثياب الرجال ثم ثياب النساء فى كل فصل من السنة.

وعلى وجه التلخيص فإن سكان القاهرة يلبسون فى فصل الشتاء قماشا صوفيا وبعض الثياب المحشوة قطنا، ويرتدون فى فصل الصيف قمصانا فضفاضة من نسيج الكتان الخفيف، وتحت هذا القميص ثياب أخرى منسوجة بالحرير المزخرف بخطوط مختلفة الألوان. ويضع الرجال على رءوسهم عمامات كبيرة من نسيج الكريب المستورد من الهند.

أما نساء المدينة فقد كان بعضهن يرتدين فساتين من الصوف ذات أكمام ضيقة وقد لاحظ الوزان انجاز مثل هذه الفساتين وتزيينها بألوان من

الزركشة الجميلة بينما ارتدى البعض الآخر غطاء من نسيج القطن الرفيع المستورد من الهند.

وعلى العموم فإن نساء القاهرة كن حريصات على تزيين أنفسهن بالحلى والجواهر على جباههن وأعناقهن على شكل اكليل وشريط أنبوب مزين وعلى وجوههن نقاب أسود رشيق مصنوع من الستان، وكان مثل هذا النقاب يمكنهن من رؤية الرجال دون أن يتعرف هؤلاء عليهن، وتبقى أخيرا الأحذية الجميلة التى كن يرتدينها على الطريقة التركية.

على نفس الصعيد الاجتماعى سجل صاحب وصف أفريقيا ملاحظة طريفة وهى أن قليلا من سكان القاهرة من يطبخ فى منزله. فلا يحدث هذا سوى فى العائلات المتعددة الأفراد.، وقد ترتب على هذا فراغ وقت النساء بحيث ما إن يتوجه الأزواج الى أعمالهم حتى «يلبسن ثيابهن ويضعن عطورهن ويأخذن حميرهن يتجولن فى المدينة ويزرن الأقارب والأصدقاء».

وبهذه المناسبة يقدم الوزان معلومات ضافية عن هذه الحيوانات باعتبارها وسيلة المواصلات الأساسية فى هذا العصر، وقد ذكر أنه يوجد بالقاهرة من يعيش على مهنة كراء الحمير وأن هؤلاء المكاريين يهينون دوابهم بتزويدها بأغطية جميلة وكيف أن كل حمار يصحبه صبى مسئول عنه.

وقد لاحظ الرحالة المغربى أنه يوجد فى القاهرة من لا يستطيعون المشى «ولو لربع ميل» لكثرة استخدامهم للدواب فى التنقل.

على نفس الصعيد الاجتماعى أيضا استلفت نظر الوزان هذا العدد الكبير من الرجال الذين يحملون على الجمال كمية كبيرة من القرب المملوءة بالماء، ذلك أنه لما كانت المدينة تقع على بعد ميلين من النيل فقد كان هؤلاء يحملون القرب الى بيوت الناس، كما كان هناك نوع آخر من السقائين يضعون قربا معلقة فى أعناقهم، وكانت هذه القرب مزينة وعلى فوهتها صنبور أصفر وبأيديهم آنية منقوشة بشكل فنى وينادون بصوت مرتفع: الماء.. الماء!، ويقدم الزبون عامة عند تناوله آنية من الماء نصف كاترينو.

وفيما يتصل باحتفالات المصريين فقد جاء في «وصف أفريقيا» تفصيل عن الاحتفال المصري المعروف بحفل«وفاء النيل»، وكيف أنه يصحب هذا الحفل ضجة وصراخ وموسيقي وتنقلب المدينة رأسا علي عقب، فتأخذ كل أسرة قاربا تزينه بأرق نسيج وبأحسن المفروشات وتتزود بألذ الطعام والحلويات وأحسن الشموع... ويحتفل كل السكان في قواربهم كل حسب امكانياته ويشاركهم الباشا نفسه مرفوقا بحاشيته وقواده، ويتجه إلي قناة تدعي القناة الكبيرة، وهي مسورة، فيأخذ الفأس ويحطم السور ويتبعه رجال الحاشية في نفس العمل حتي يتم هدم جزء يسمح بتسرب ماء النيل إلي تلك القناة ثم تدفقه عليها.

ومن هنا تنتشر المياه في قنوات متفرعة في سائر أنحاء المدينة حتي تصبح القاهرة في هذا اليوم أقرب إلي مدينة البندقية ينتقل الناس فيها بواسطة القارب.

وكان هذا الحفل يستمر لسبعة أيام وليال بحيث أن ماكان يربحه تاجر أو صانع في سنة

كاملة ينفقه فى هذا الأسبوع فى الأكل والحلويات والمشاعل والعطور. كذا على أرباب الموسيقى ويعلق الوزان بأن«هذا الحفل من بقايا حضارة قدماء المصريين».

ويستطرد صاحب(وصف افريقيا) معلقا على نفس الموضوع بأنه توجد جزيرة تدعى بجزيرة المقياس(الروضه)فى وسط النيل.وتوجد فى هذه الجزيرة آلة يقاس بها الفيضان. وكان رخاء مصر أو غلاء المعيشة مرتبطا بارتفاع الفيضان أو انخفاضه، وقد أعد فى الجزيرة بناء صغير منعزل ومغلق توجد فى وسطه حفرة مربعة يصل عمقها ثمانية عشر ذراعا وعلى جدار هذه الحفرة فتحت قناة متصلة بالنيل وفى وسطها نصب عمود مرقم ومقسم إلى عدد كبير من الأذرع على مدى عمق الحفرة، وعندما تبدأ مياه النيل فى الارتفاع تدخل فى هذه القناة وتصل إلى الحفرة ويرتفع مستوى المياه بارتفاع أصبعين أو ثلاثة أو حتى نصف ذراع يوميا تبعا لأهمية الفيضان.

وكان هناك موظفون مسئولون عن مراقبة ارتفاع الماء على العمود ويقومون بابلاغ صبية تابعين لهم بمدى هذا الارتفاع وكانت مهمة هؤلاء الصبية الذين تميزوا بشعرهم المرتب وبمنديل أصفر حول رقبة كل منهم القيام ينقل الخبر إلى سكان القاهرة وضواحيها وكانوا يحصلون مقابل ذلك على هدايا يقدمها لهم الصناع والتجار والنساء إلى نهاية الفيضان.

وقد أثبتت التجربة أنه عندما يصل الفيضان إلى ١٥ ذراعا على العمود المرقم تكون السنة جيدة وإذا وصل مستوى الماء إلى أقل من ذلك(بين ١٢و١٥ ذراعا) يكون مدخل السنة قليلا، أما إذا لم يتعد هذا الفيض ذلك(١٠و١٢ ذراعا) فيرتفع ثمن القمح وبنفس الدرجة كان يتخوف المصريون من تجاوز الفيضان لأكثر من ١٨ ذراعا حيث كانت كل المناطق المسكونة تتعرض لخطر الغرق.

وتقوم عندئذ ادارة المقياس بتنبيه السكان بواسطة الصبيان الذين يصيحون فى الطرقات«أيها الناس خافوا الله من جبل إلى آخر»، وهذا يعنى أن الماء وصل من ضفة(جبل) إلى ضفة أخرى، ويقول الوزان:«وفى هذه الظروف يدب الخوف فى قلوب الناس فيقيمون الصلوات ويوزعون الصدقات».

ولاتتعدى مدة ارتفاع مياه النيل أربعين يوما ثم تشرع فى الانخفاض وطوال هذه المدة تقل المواد الغذائية المعروضة بالأسواق الأمر الذى يجعل التجار يبيعون الخبز بالسعر الذى يريدونه وأن كان ذلك يتم خفية.

وعند نهاية الفيضان يقرر المحتسب أسعار المواد الغذائية وخاصة أثمان الخبز، ويحدد هذا السعر مرة واحدة فى السنة ويتم تبعا لما يقرره موظفو مصلحة المياه الذين يعرفون المناطق المسقية بصورة دقيقة.

وينتقل الوزان على نفس التفصيلات الاجتماعية التى يقدمها بتناول موضوع غذاء المصريين وقد رآهم يعتمدون أساسا على الخبز والجبن، ولحم الجاموس أكثر أنواع اللحوم انتشارا لدى المصريين رغم أن بعضهم كان يأكل- كما روى صاحبنا لحوم الخيل«فعندما يصاب فرس مايتسابق الجزارون التابعون لهذا المذهب إلى شرآئه ثم يعلقونه وبعد ذلك يذبحونه ويبيعون لحمه لأتباع مذهبهم (الحنفيين) وكانوا فى الغالب من

الاتراك والمماليك ومن مسلمى آسيا القاطنين بمصر.

ويتطرق أبوالحسن فى هذه المناسبة إلى ناحية دينية وهي تسجيل أن المذاهب التى كانت منتشرة وقتئذ فى مصر، وهى الأربعة مذاهب، كانت تختلف فى موضوع الاحتفالات الدينية ومواعيدها، وفى تطبيق الشريعة، والشعائر الدينية.

وترتبط الملاحظة السابقة بملاحظة أخرى قدمها الوزان عن القضاء وهى وجود أربع شخصيات هم رؤساء قضاة كل مذهب، أو قاضى القضاة، ومهمة هؤلاء النظر فى القضايا المستعصية، ويوجد تحت امرة كل منهم عدد كبير من القضاة، قاضيين أو ثلاثة فى كل مدينة ينظرون فى القضايا اليومية.

وإذا وقع خلاف بين شخصين من مذهبين مختلفين فعلى المدعي أن يذكر ذلك أمام القاضى الذى ينظر فى قضيته، أما إذا ارتكب شخص عملا مخالفا لمذهبه فإن قاضى هذا المذهب ينزل به العقوبة المناسبة.

ويلاحظ«أبوالحسن» أنه رغم اختلاف المذاهب فليست هناك عداوات بين أتباعها خاصة فى الأوساط الشعبية، أما عند المثقفين يتخذ الاختلاف شكل المناقشات الحادة فى بعض الموضوعات ويدافع كل عن رأيه مقدما براهينه المستقاة من القرآن والسنة، هذا وقد كان المذهب الحنفى، كما أشار، أكثر المذاهب تحكما فى البلاد وقتئذ بأعتباره مذهب السلطنة العثمانية.

واستطرادا لنفس الحديث يذكر الوزان طبيعة العقوبات التى كان يحكم بها القضاة ويصفها بشكل أقل مايقال عنها أنها قاسية ويسجل ملاحظة طريفة عن عقوبة المدين الذى لايوفى دينه فقد كان يودع السجن بعد أن يحصل الدائن على حقوقه من قبطان السجن الذى يرسل سجناءه من هذا النوع يوميا إلى المدينة مكبلين من أعناقهم لطلب الصدقة، وعند عودتهم يؤخذ منهم ماجمعوه ولايترك لهم إلا الضرورى الذى يكفى قوتهم!.

يتناول الوزان بعد ذلك بالوصف ضواحى قاهرة القرن السادس عشر ويذكر منها باب زويلة وباب اللوق وبولاق والقرافة ويخصص لكل منها حيزا لابأس به فى رحلته.

غير أنه قبل تناول كل ضاحية من هؤلاء بالتفصيل قدم وصفا ضافيا لمصر العتيقة يستحق العرض.

من هذا الوصف مالاحظه من كثرة أصحاب الحرف فى هذه الجهة وقد لفت نظره منهم باعة الكتاكيت المتجولون وذكر أن لهم طريقة عجيبة فى توليدها «فهم يأخذون ألف بيضة أو أكثر ويضعونها فى نوع من الأفران يحتوى كل منها على عدد من الطبقات مثقب أعلاها. ويوقدون نارا خفيفة تحت هذه الآلالات ولاتمر سوى سبعة أيام حتى يفقس البيض وتوضع الكتاكيت فى وعاء وتعرض للبيع..»

وفى موضوع الصناعة والصناع يشير الوزان إلى أنه من عادات سكان المدينة القديمة عندما يتقن عامل صنعة شىء ما أن يحملوه ويتجولوا به من دكان إلى آخر مصحوبا بالموسيقيين.

أما عما سجله أبوالحسن عن ضواحى القاهرة

فقد كان أكبرها من حيث عدد السكان «باب زويلة» التى بلغ عدد سكانها ١٢ ألف أسرة(نحو ٦٠ألف نسمة على اعتبار أن متوسط أفراد كل أسرة خمسة أفراد)، زد على هذا العدد السكان غير المقيمين أى أولئك الذين يملكون دكاكين بها ويقطنون فى المدينة.

ويفصل الوزان الحديث عن هذه الضاحية فيشير إلى كثرة ماتحتوى عليه من مساجد ومرستانات ومدارس خاصة المدرسة المشهورة التى بناها السلطان حسن.

الضاحية الثانية هى باب اللوق ولايزيد عدد سكانها عن ثلاثة آلاف أسرة جل أبنائها من الصناع والتجار على اختلاف أنواعهم وقد ساء الرحالة المغربى مالاحظه فيما يجرى كل يوم جمعة فى هذه الناحية من تسليات غير شريفة مثل الجلوس فى الحانات ومصاحبة المومسات واجتماع عدد كبير من المشعوذين والبهلوانات الذين يقومون بترقيص الحمير والكلاب، وأن كان قد أعجب بهذا الشكل الأخير من التسليات.

أشار صاحبنا أيضا إلى أنواع من المشعوذين الذين معهم طيور صغيرة تكشف مستقبل من يريد، وكان ذلك يتم بأن يرمى لها الراغب قطعة نقدية فيحملها الطير بمنقاره إلى صندوق يضعها فيه ويتناول ورقة عليها الجواب!.. أضف إلى كل ذلك ماشاهده من المغنين الشعبيين الذين كانوا يجلسون فى الأسواق ويتفننون ببعض الأساطير.

وكانت بولاق ثالث النواحي التى ذكرها الوزان، وكان عدد سكانها أربعة آلاف أسرة، وقد نبعت اهميتها من وجود ميناء القاهرة بها وكان يدخله مايزيد على الألف قارب وبه مستخدمو الضرائب الذين يراقبون السلع القادمة من الإسكندرية أودمياط.

وكانت توجد بهذه الناحية مطاحن عديدة تدور فيها الحيوانات. كما اشتهرت بأنها حى صناعى يتجمع فيه العديد من الصناع والتجار خصوصا تجار الحبوب والزيت والسكر، غير أن ذلك لم يمنع من وجود المساجد والمنازل الواسعة والمدارس التى تضم طلابا عديدين.

آخر ماوصفه الوزان«حى القرافة»، وهى الناحية المشهورة بأضرحتها المدفون فيها الأولياء. وقد كان عدد كبير من سكان القاهرة وضواحيها يذهبون كل يوم لزيارة تلك الأضرحة وهم فى حالة من التهدج والتقوى والرغبة فى اكرام المحتاجين والمعوزين.

ويثير الوصف المطول لمصر الذى أورده الوزان عددا من الملاحظات:

١ - تعد الجوانب التى تناولتها المعلومات التى أتي بها الرجل، اقتصادية واجتماعية ودينية بحيث يمكن القول أنها كانت أقرب إلى عملية مسح شامل لمصر من عين مغربية.

٢ - دقة هذه المعلومات فيما لاحظناه لدى وصفه لمقياس النيل أوالتجارة أوالموانىء فهو يصفها كأنه مازال مقيما بها.

٣ - وان كنا نلاحظ أنه قليلا ماأشار إلى علاقات محددة بين مصر والمغرب(بلاد البربر) غير أن ذلك لايقلل من قيمة ملاحظاته.

مصر فى كتابات أبو سالم العياشى فى القرن السابع عشر:

بينما شملت كتابات الوزان عن مصر وصفا لعديد من مناطقها فإن أول ملاحظة يمكن تسجيلها على الرحلة العياشية أن صاحبها قد اقتصر فى وصفه على المناطق التى اجتازها ابان مصاحبته لركب الحج.

ومن تلك المناطق اهتم العياشى على وجه الخصوص بذكر المدن الأربع الرئيسية التى مر بها ونسوق هنا رؤيته تبعا لترتيب هذا المرور:

١ - كانت الإسكندرية أولي المدن التى وصفها العياشى، وقد بدأ وصفه لها بمقدمة تاريخية عن المدينة، انثنى منها إلى الحديث عن عجائبها مثل المنارة المشهورة، «الا أنها آلآن دائرة لم يبق منها شيء». كذا عمود السوارى الذى قال عنه«مارأينا أعجب من طول العمود وفخامته.. وبالجملة فهو من مبانى الدنيا الغريبة ومن مآذن هذه المدينة العجيبة».

ويعزو أبوسالم أسباب عمران الاسكندرية لموقعها«بين الأسباب البرية والبحرية والأجناس البدوية والحضرية فبابها الشرقى متصل بأرياف مصر التى هى مزرعة الدنيا التى لانظير لها وبابها الغربى متصل ببادية برقة.. وبابها البحرى مقابل لأرض الروم التى منها تجلب البضائع النفسية».

ولم يغفل العياشى الاشارة إلى المزارات الدينية بالمدينة مثل مشهد سيدى على البدوى وقبر الخزرجى ومشهدالشيخ أبوالعباس المرسى وزاوية أبى محمد صالح التى ينزلها المغاربة«ولهم فيها أوقاف»وكان من الطبيعى أن يهتم بتلك المعالم الدينية بحكم الطابع الدينى لرحلته.

٢ - ومن الإسكندرية إلى القاهرة التى أقام فيها صاحب الرحلة لفترة غير قصيرة أحصى خلالها كل كبيرة وصغيرة فى المدينة مما أدى إلى أن يقدم الرجل صورة تكاد تكون متكاملة، وهى بالتأكيد ممتعة، عن حياة قاهرة القرن السابع عشر، وهو مانستعرضه لدى تناول جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى المدينة.

٣ - وقبل أن ينطلق موكب الحجيج، الذى كان العياشى أحد رجاله.، إلى الأراضى الحجازية وصل أولا إلى السويس وقد رآها أبوسالم«مدينة صغيرة ذات أسواق ومساجد ووكالات مستطيلة على شاطىء البحر المالح الذى يأتى من الهند وهناك يقف بين جبال شامخة وبينه وبين البحر الرومى نحوا من مرحلتين ويشير العياشى إلى أن ميناء السويس كان يستقبل «السفن التى تأتى من جدة ومكة واليمن فيها السلع التى لاتحصي والبضائع التى تستقصي ومن هناك تحمل إلى مصر القاهرة فى البر».

٤ - ولما كان العياشى قد عاد من الحجاز عن طريق الشام فهو قد وصل إلى غزة ومنها إلى دمياط وكانت المدينة المصرية الرابعة التى حظيت بنصيب من اهتمامه. وصفها فقال:«هى مدينة كبيرة ممتدة على ساحل النيل ذات مساجد كبيرة وأسواق حافلة وخانات عامرة ومرسى عجيبة غصت بها السفن الكبار والقوارب الصغار فيها من أنواع الفواكه والثمار وصنوف الأطعمة مالايكاد يوجد فى غيرها».

ونعثر فى كتابات العياشى على مالم نعثر عليه عند غيره من رصد للحياة الاقتصادية فى المدن

المصرية، فهو قد عاش وتعامل مع الناس ورأى أسواقهم وسجل مارآه.

وكان أول مااستلفت نظر الرجل تلك الكثافة البشرية التى تمتعت بها العاصمة المصرية وتعدد أنشطة القاطنين بها واختلاف أجناسهم، فهو يقول: «وبالجملة فمصر أم البلاد شرقا وغربا.. لكثرة أجناس الناس فيها فمن طلب جنسا وجد منه فوق مايظن فيظن أن غالب أهل البلد كذلك ويسوق قولة ابن خلدون: «... ومصر بخلاف ذلك كلماتخيلت فيها فإذا دخلتها وجدتها أكثر من ذلك».. ويسجل طبيعة الحياة المدينة لسكان القاهرة مما يعهد فى غيرها فيقول: «كان الناس فيها قد حشروا الى المحشر لاترى أحدا يسأل عن أحد كل واحد ساع فيما يرى فيه خلاص نفسه ثم يستطرد مؤكدا على هذه الطبيعة مشيرا الى أنه «لا توانى الإنسان فى مشيه لفاته غرض من كثرة الأغراض وتزاحم الأشغال».

وقد تعددت مواقع حديثه عن الأسواق، والواضح أنه كان منبهرا مما يجرى فيها «فكل سوق دخلته تقول هذا أكثرها زحاما فإذا خرجت منه لآخر وجدته مثله أو أشد، وقد شاهدنا الناس فى بعض الأسواق تارة يقفون هنيهة لايقدر أحد على أن يتحرك يمينا ولاشمالا من غير أن يكون هناك حاصر لهم من أمام إلا الزحام وربما رفع بعضهم صوته بالتكبير فيكبرون حتى يظهر لهم بعض تحرك فيندفعون مثل السيل إذا اجتمع فى مكان ضيق».

وكان للعياشى مجموعة من الملاحظات البالغة الفائدة عن الحياة الاجتماعية من القاهرة خلال القرن السابع عشر.

تتمثل أولى ملاحظاته فيما سجله من تقسيم أحياء القاهرة إلى: تلك التى يقطنها الفقراء مثل «حارة المجاورين» القريبة من الجامع الأزهر «لايسكنها فى الغالب إلا العلماء والغرباء والفقراء وقل أن تجد بازائه دار متجر أو أحد أرباب الدولة لضيق المحل» ثم الأخرى التى يقطنها هؤلاء الأخيرون الذين يريدون «السعة والقرب من القلعة التى هى محل الباشا وأكابر دولته».

الملاحظة الثانية: تتمثل فيما رصده العياشى من بعض عادات المصريين الاجتماعية التى لفتت نظره.

من هذه العادات مااتصل بأمور لم يألفها المغاربة مثل شرب القهوة، ويفرد أبوسالم لهذا الأمر حيزا غير صغير، فيتحدث عن تاريخ دخول المشروب إلى مصر واستخدامه للضيافة. ويتطرق إلى أحكام الشريعة فى هذه العادة.

منها ايضا عادة شرب الدخان وموقف رجال السلطة من اباحة التدخين أومنعه.

غير أن أهم مالفت أمر نظر الرحالة المغربى كان مااتصل بأمور الدين، وهذا أمر طبيعي بحكم ماسبقت إليه الاشارة من الطابع الدينى لرحلته إلى مصر.

فهو قد عنى بالاحتفالات الدينية حيث يسجل الجو الاجتماعى الذى يرافق رؤية هلال رمضان ويدلف من ذلك إلى وصف بعض العادات الاجتماعية التى درج الناس على اتباعها يوم العيد فيتحدث عن «عادة النساء فى مصر أن يخرجن ليلة العيد ويومه إلى المقابر ويبقين هنالك برهة من الزمن» ثم يضيف «ولما فرغ الناس من الصلاة جعلوا يتزاورون ووقف الشيخ لزيارة الناس».

ورصد أيضا ظاهرة كثرة المشايخ والأولياء فى القرى والمدن ومدى ماتمتعوا به من مكانة فى نفوس الناس، كما رصد أيضا وجود طوائف المجاذيب(الدراويش) .

ويشير أخيرا فى نفس الاطار الدينى إلى أسر تمتعت بمكانة دينية خاصة مثل اسرة ابن عنان«ولهم ولاية جامع القسم وبه يجتمع أتباعهم للذكر وقراءة وظائفهم وهم من الطوائف المشهورة فى مصر» .

وقد انفرد العياشى بنقد مرير لنظام الحكم العثمانى لمصر مما يستحق وقفة لمتابعة هذا النقد.

فهو يتحدث عن استبداد الحكام العثمانيين الذين«لايرحمون ضعيفا ولايوقرون كبيرا أينما تبدو لهم صبابة من الدنيا وثبوا عليها إن كان صاحبها حيا تسببوا له بأدنى سبب حتى يأخذوا ماله أما مع رقبته أو بدونها إن كان فى العمر فسحة وان كان ميتا ورثوه دون بنيه وبناته» .

كما يتناول ماأسماه «بظلم العساكر»«أما رعيتها وفلاحتها فلاتسأل عما يلاقون من الجند من الظلم وماهم فيه من الاهانة والاحتقار تضرب ظهورهم وتؤخذ أموالهم ولامشتكى لهم إلا الله ومن تجاسر منهم واشتكى ضوعف عليه العذاب الأليم» .

ولعل مارصده العياشى فى هذا الشأن يفسر ماسجله المؤرخون من ظاهرة هجرة الفلاحين لقراهم،وهو مالاحظه الرحالة المغربى نفسه حين تحدث عن متابعة رجال السلطة فى مصر للفلاحين الذين يفرون من أراضيهم«فلا هم ينصفونهم ويخفون عنهم من المظالم ولاهم يتركونهم يذهبون حيث شاءوا ويسيحون فى الأرض يرزقون كما ترزق الطير» .

والعياشى بكل ماقدمه انما يبدد بعض أسباب الظلام التى أحاطت بوضعية مصر خلال القرن الذى زارها فيه.. القرن السابع عشر!

أبوالقاسم الزيانى فى مصر القرن الثامن عشر:

يعتبر كتاب «الترجمانة الكبرى» للزيانى خلاصة لثلاث رحلات قام بها أبوالقاسم إلى بلدان الشرق.

الأولى: كانت لأداء فريضة الحج والثانية ضمن سفارة مغربية أرسلها مولاي محمد بن عبدالله إلى اسطنبول عام ١٧٨٥ ثم كانت الأخيرة على عهد مولاى سليمان ١٧٩١ .

وقد ارتبطت نظرة الزيانى إلى مصر واقتصادها بحاجته أثناء سفره للمؤونة والمواصلات والأسواق والباعة. ومن ثم فإن كتابه كان وفير الفائدة للحجاج المغاربة المارين بمصر.

وعندما كان أبوالقاسيم يبدأ فصلا بعينه أويتحدث عن طريق برقة الإسكندرية أو القاهرة الإسكندرية كان دائم الاشارة إلى المواصلات وكيفية استخدامها مما يمكن العثور عليه فى أكثر من مكان من رحلته.

فمثلا فى أثناء رحلته الثانية إلى اسطنبول وعندما أراد العودة لم يجد بغالا يحمل عليها متاعه مما دعاه الى التذكير بوفرة دواب الحمل فى مصر.

غير أنه لايضيف شيئا فى هذا الموضوع لما

ذكره كل من الوزان والعياشي خاصة بشأن مراكب النيل، ومن أن استخدامها كان أساسيا من جانب السكان والغرباء، اللهم الا قولته بزيادة أهمية هذه المراكب مع فيضان النيل.

وفي هذه المناسبة لايفوت الزياني الاشارة إلى اشتغال بعض المغاربة كبحارة في هذه السفن.

لم يمنع ذلك من العثور على بعض الاضافات في الترجمانة الكبرى تعبر عن روح القرن الذى كتبت فيه فيما يتصل بهذا الجانب الخاص بالمواصلات.

فهو قد أشار من جانب إلى ارتفاع اسعارها وهو يعزو ذلك إلى زيادة أثمان العلف والابل والدواب، ولاشك أن هذا الشعور بارتفاع السعر ناتج عن قياسه بما جاء عن تلك الاسعار في رحلات المغاربة السابقين.

وهو يشير على الجانب الآخر إلى ازدحامها ويعزو ذلك إلى قلة عدد السفن بالقياس لزيادة احتياجات الناس خاصة في موسم الحج.

وتحت نفس النظرة، نظرة الحاج المغربى، جاء تقييم الزياني للأوضاع الاقتصادية في البلاد خلال فترة زيارته لها.

ففي حديثه عن الأسواق يعبر مرة أخرى عن شكواه من غلاء الأثمان فيها خاصة ماكان متصلا منها بعلف الدواب وغذاء البشر ويعرب عن استنكاره مثلا من ارتفاع ثمن الفول رغم وفرته.

كما يعبر على الجانب الآخر عن نفس الشكوى من شدة ازدحام هذ الاسواق في موسم الحج وظهور فئات من المنتفعين من الحجاج حيث لاحظ وجود طبقة من الفلاحين المصريين يبيعون للحجاج كل مايحتاجونه.

غير أن الزياني رغم شكواه يقر بحالة الرواج الاقتصادى التى شاهدها في مصر في موسم الحج وهى حالة لاتنتهى إلا مع خروج قافلة الحجاج وبعد الحفلة الكبرى التى تقام بهذه المناسبة،وعندئذ فقط تقفل الدكاكين ويعطل كثير من الاسواق.

ولم يفت أبوالقاسم الاشارة إلى دور المغاربة في هذا الرواج من فئات مختلفة اشتغلت بكراء الدور أو طبخ الأطعمة المغربية أو اعمال التجارة عموما.

ويفهم من كلام الزيانى عن وضعية مصر الاقتصادية، أو بالأحري وضعية المناطق التى زارها، ارتباط ازدهار التجارة بمرور موكب الحج، ذلك بسبب توافر فرصة تسويق منتجات هذه المناطق سواء كانت منتجات فلاحية، كالفول والعلف، أو صناعية كالأثواب وغيرها.

أما ماجاء في «الترجمانة» عن المجتمع المصرى الذى احتك به مؤلفنا فبالامكان تلخيصه فيما يلي:

١ - مالاحظه عن تفاوت طبقي واضح، فهناك الفئات الشديدة الثراء التى يصل الأمر ببعضها إلى كراء بيوت في طريق خروج المحمل النبوى لاتستخدم طوال العام إلا في هذه المناسبة، ويعرب الزياني عن تعجبه من ذلك.

وبالمقابل يتحدث عن طبقة شديدة الفقر حتى أن أبناءها يقطنون على مقربة من قبور الأولياء والصالحين ويرتزقون من الهبات التى يقدمها زائرو تلك الأماكن.

٢ - بعض اشارات عن عادات المصريين

وتقاليدهم فمثلا عادة التبرك بالأولياء والسكنى قربهم ويتحدث فى هذ المناسبة عن المولد الذى ينعقد فى قبر الامام الشافعى كل يوم سبت«يجتمع فيه ناس كثيرون يضيق بهم المسجد وغرفاته مابين فقراء وأمراء ورجال ونساء يبيتون طوال الليل بين ذكر لجماعة وقراءة قرآن وصلاة لايفترقون إلى طلوع الفجر وذلك دأبهم أبدا فى كل ليلة سبت».

وتحدث فى هذه المناسبة، كما فعل الوزان، عن لباس المصريين واتفق مع صاحب «وصف افريقيا» فى تقريظ هذا اللباس.

ثم انه على الجانب الآخر كرر ماقاله العياشى فى موضوع الحلق والمسليات التى وقف عليها بضاحية الرميلة وهو لم ينكر ذلك اذ قال:«وكنت وقفت على هذا فى رحلة الشيخ العلامة أبى سالم سيدى عبدالله العياشى وكانت معى».

٣- وتأتى الصورة التى قدمها الزيانى عن الحياة الفكرية لتبين مدى اهتمام المصريين بالمشتغلين بالفكر سواء من أبناء مصر أو من أبناء العالم الإسلامى الذين يفدون إليها.

جانب من هذه الصورة جاء ذكره عندما كان«صاحب الترجمانة» فى الإسكندرية واجتمع ببعض علمائها فقد لاحظ مالهؤلاء العلماء من تأثير فى البلاد أو على حد توصيفه لأحدهم «إليه المرجع فى أمور البلد وله اليد الطولى مع الحكام والمنزلة العليا عند الأمراء يرجعون إلى رأيه ومشورته..»

جانب آخر فى نفس الصورة أبرزها لدى مقامه عند صديق لأبيه فى القاهرة حيث يلتقى بكثير من العلماء يتزاور معهم، وكان ممن رآهم المؤرخ المصري الشهير الشيخ«عبدالرحمن الجبرتي» الذى «عزمني لبيته يوما، وكان يأتيني كل يوم، ثم الشيخ سليمان الفيومى فى وصفه بأنه«كبير علماء وقته وعزمنى لبيته وأتى بيتي مرارا»،ويتحدث الزيانى عن ذهابه مع الجبرتى إلى «خزانة الكتب بمسجد محمد بك أبوالذهب بما فيها من غريب الصحبة مع قيمتها فكان يعيرنى ماأطلب منه، فطالعت تاريخ الكرمانى وتاريخ النواوى وتاريخ الخلفاء للأسيوطى والورقات له والتلبانى، والخطط للمقريزى، وبحر الأنساب للشيخ المرتضى، وغير ماذكره».

وكالعادة عند سائر الرحالة المغاربة يحرص صاحب«الترجمانة الكبرى» على تقديم بعض المعلومات الجغرافية خاصة مااتصل منها بوصف أشهر المدن.

غير أننا نلاحظ أن «أباالقاسم» قد نقل كثيرا فى هذا الصدد عما سبقوه مما يدعو إلى الاقتصار على ماشاهده.

عن الإسكندرية التى قضى فيها شهرين كاملين«لقلة المراكب المتوجهة للغرب بسبب الوباء الذى بأفريقيا» قال أنه«لم ير مدينة أحسن منها» وقد وصف كلا من المنار وعمود السوارى كما تعرض لكل من الإسكندرية القديمة والإسكندرية الجديدة.

أما بالنسبة للقاهرة فقد قدم وصفا تفصيليا للأضرحة التى زارها فتحدث عن المشهد العظيم«المحتوى على جماعة من :أهل البيت رجالا ونساء» وجامع ابن طولون الذى اعتبره «من

أقدم مساجد القاهرة» ومسجد السلطان حسن الذى«لاثانى له فى مصر ولافى غيرها».

مكانة المغاربة فى النشاط الاقتصادى بمصر:

تميز الوجود المغربى فى مصر بمكانة خاصة فى النشاط الاقتصادى بالبلاد، وقبل التعرض بالمتابعة لحجم هذ المكانة تنبغى محاولة تفسير أسبابها:

يرتبط أول هذه الأسباب بمحاولة تحديد الوضعية المغربية داخل الفئات من غير المصريين التى مارست نشاطاتها الاقتصادية داخل البلاد.

ويجب التمييز بين صنفين من هذه الفئات.. الفئات الأوربية والفئات الأخرى من العرب والمسلمين.

بالنسبة للفئات من النوع الأول- الأوروبيين- فقد مر نشاطها الاقتصادى فى البلاد بثلاث مراحل:

تواكب المرحلة الأولى الفترة المتقدمة من العصر العثمانى حيث تعرضت أقسام من المشرق أقسام من المشرق العربى، خاصة المناطق المقدسة إلى الغارات البرتغالية، وإذا أضيف إلى ذلك حروب الجيوش العثمانية فى أوروبا فى نفس الفترة لأمكن فهم أسباب الحالة العامة من القطيعة التى سادت بين الطرفين.

ولم تسمح هذه الحالة بالطبع للتجار الأوروبيين بممارسة ذلك النشاط الذى اعتادوا على القيام به خلال العصر المملوكى.

وكان من المنطقى أن يتيح الفراغ الذى خلفه توقف نشاط هؤلاء الفرصة لزيادة النشاط الاقتصادى للتجار العرب المسلمين والمغاربة فى طليعتهم.

أما المرحلة الثانية فقد أعقبت «معاهدة الصداقة والتجارة بين الامبراطورية العثمانية وفرنسا» المعقودة فى فبراير عام ١٥٣٥م والتى أتاحت للأوروبيين عامة والفرنسيين على وجه الخصوص.. الفرصة للعودة لممارسة نشاطاتهم الاقتصادية فى مصر.

غير أنه، بالرغم من ذلك، استمرت محدودية النشاط التجارى الأوروبى حيث ظل الأوروبيون محاصرين اجتماعيا واقتصاديا فى وكالات متناثرة هنا وهناك، ناهيك عن انصراف أوروبا نفسها فى تلك المرحلة لميادين أخرى خاصة مااتصل منها بنشاطها الاستعمارى فى آسيا والعالم الجديد بقاراته المتعددة.

وكان من المنطقى- للمرة الثانية- استمرار النشاط الاقتصادى المغربى فى تلك المرحلة أيضا دون منافسة تذكر من الجانب الأوروبى.

فقد احتل المغاربة مكانة خاصة ويمكن تبين أسباب هذه المكانة على ضوء الاعتبارات الآتية:

كانت تصل إلى مصر القوافل التجارية من ثلاثة اتجاهات عربية إسلامية هى:

الأول: من الجنوب(السودان وأفريقيا) حيث كانت السلع التى تشتهر بها تلك المناطق تأتى بطريق القوافل المشهورة المعروف باسم«درب الأربعين» من دارفور غرب السودان إلى أسيوط فى صعيد مصر. ويلاحظ هنا أن القادمين فى تلك

القوافل كانوا يهيمن عليهم التجار المصريون مما أدى إلى ضآلة وجود التجار السودانيين فى المناطق الواقعة شمالى هذه المدينة.

الثانى: من الشرق(الشام) حيث كان التجار الشوام فى حال ذهاب وعودة مستمرة، وقد شجع هذا الشكل من حالة عدم استقرار هؤلاء فى مصر قرب المنطقتين وسهولة الانتقال بينهما وأدى ذلك بدوره إلى عدم تواجد مجموعة قوية من تجار الشام فى مصر.

بقى الطريق الثالث والأهم وهو الطريق الغربى من حيث أتى المغاربة، وقد اختلفت ظروف هذا الطريق عن ظروف الطريقين السابقين وتتبدى جوانب الاختلاف فيما يلى:

١ - أن المغاربة لم يأتوا بهدف التجارة وحده، بل أتوا قبل ذلك بهدف الحج. وكان تحقيق هذا الهدف يحتم الوصول إلى الحجاز عبورا بمصر. كما كان يحتم فى نفس الوقت قضاء فترة قد تطول على الأراضى المصرية انتظارا للخروج مع قافلة الحج.

٢ - ثم أن البعد المكانى عبر هذا الطريق جعل الانتقال من المغرب إلى مصر ليس بسهولة الانتقال عبر الطريقين الأولين، وكان ذلك يؤدى بالضرورة إلى الاستقرار فى مصر لوقت قد يطول فى أعقاب رحلة القدوم وقبيل رحلة العودة،وكثيرا ماكان يتحول هذا الاستقرار المؤقت الى استقرار نهائى مما سيتضح عند دراسة نماذج لتجار المغاربة الذين عاشوا فى مصر وتتابعت الأجيال من أسرهم على أرضها.

وقبل التطرق إلى هذه النماذج ينبغى تسجيل أكثر من ملاحظة:

الملاحظة الأولى: كان هناك نوعان من النشاط التجارى الذى زاوله المغاربة فى مصر.. أولهما: ذلك النشاط الذى مارسه المغاربة من الحجاج خلال عبورهم للأراضى المصرية مما يمكن اعتباره تجارة عبور أو(تجارة ترانزيت).

مثل على ذلك ماأشار إليه، «أبوالقاسم الزيانى» من أن والده ترك بضاعة إلى صديق له فى مصر لبيعها. وكان ماتقاضاه من ثمنها بمثابة الانقا: له من ورطة مالية قد وقع فيها أثناء وجوده فى الحجاز.

ـشـمحكمـ٢٧ محرم سنة ١٢٠٣هـ إلى ١٢ من أشكال الديمومة حتى أنه كثيرا ماكانت المعاملات تتم بالنقد، كما عرفت نظام الدفع الآجل ونظام الفوائد التى تراوحت بين ١٪ و١٢٪ دون أن يمس ذلك بمبادىء الشريعة.

أما النوع الثانى من النشاط فيتمثل من ذلك الدور الذى أدته أعداد من الأسر المغربية التى استقرت فى مصر وكونت ثروات كبيرة من الاشتغال بالتجارة مما يمكن توصيفها بالتجارة المستمرة أو المستقرة.

الملاحظة الثانية: تراوحت أهمية كل نوع من النوعين السابقين تبعا للظرف التاريخى. إذ بينما كانت«تجارة الترانزيت» هى التجارة الأهم خلال الفترة الأولى من الاحتلال العثمانى حين كان الاستقرار المغربى فى البلاد محدودا فإنه بعد زيادة حجم هذا الاستقرار خاصة خلال القرنين الثامن

عشر والتاسع عشر فالملاحظ وأن كان ذلك لايعنى اختفاء النوع الأول.

الملاحظة الثالثة: تمتعت «تجارة الترانزيت» طوال الوقت بامتيازات خاصة تتمثل فى الاعفاءات الجمركية التى حصلت عليها حيث أن السلطات المصرية قد درجت على عدم فرض أى ضرائب على السلع التى يأتى بها الحجاج المغاربة بل إن هذه السلع لم تكن تخضع حتى للاجراءات الجمركية.

الملاحظة الرابعة: لم يقتصر النشاط الاقتصادى المغربى فى مصر على التجارة بل إن المغاربة اشتغلوا فى حرف أخرى مما حفلت به سجلات المحاكم الشرعية فى مصر.

وتتعدد الأمثلة فى هذا الصدد، لدينا الذين اشتغلوا بحرفة الحياكة مثل لاشين مصطفى الخياط أوبحرفة الدلالة مثل الحاج عبدالقادر الدلال والحلاقة حيث انتشر الحلاقون المغاربة فى خط البندقيين وتطريز الحرير مثل الحاج أحمد المغربى الحريرى بخط التربيع وعمل بعضهم بمهنة القبانة فى القاهرة وغيرها من المدن المصرية خاصة الإسكندرية.

وقد برز دور الحرفيين المغاربة فى ذلك النوع من الحرف وفى غيره والذى ارتبط بتقديم الخدمات لموكب الحجيج المغربى مما تكتظ به أخبار الرحلات التى وافانا بها رجال ممن شاركوا فى هذا الموكب.

مثال على ذلك مهنة الطبخ التى احترفها عديدون. والواضح أنهم كانوا يجيدون المأكولات المغربية ويسجل لنا الزيانى فى هذا الشأن قيام صديق له مستقر بمصر هو الحاج محمد عبدالسلام بالعمل فى هذه المهنة وكانت عنده «آلة طبخ» كما يقول.

مثل آخر مهنة كراء البيوت أو مانسميه بلغتنا المعاصرة «السمسرة». وكان من الطبيعى أن تزدهر هذ المهنة كلما أتى الألوف ممن يضمهم موكب الحجيج المغربى والذين يحتاجون إلى دور تأويهم طوال فترة مقامهم بمصر.

ويروى لنا الزيانى أيضا فى هذا الصدد خبر معاونة مغربى له على اكتراء بيت يسكنه فيقول: «.. وبلغنا مرسى بولاق فمن التيسير ولطف الله وجدنا صاحبنا من أهل فاس قائما على الشط يترقب من يأتى من حجاج المغرب فلما رآنا فى المراكب عرفنا وقدم علينا، وبعد السلام كلفته أن يكترى لنا بيتا بمصر قريبا من الجامع الأزهر ومشهد الحسين فتوجه فى الحين وبتنا فى المركب مع من وصلنا، ثم حضر فنزلنا وحملنا بضائعنا وامامعنا ودخلنا مصر وبلغنا المنزل الذى عينه لنا».

الملاحظة الخامسة: أنه لماكان مجتمع المدينة المصرية التى عاش فيها المغاربة آنئذ يغلب عليه الطابع الطائفى بحيث كان من الصعب أن تستمر آية مجموعة بشرية فى التواجد فى هذه المدينة دون أن تتكتل داخل طائفة بعينها ودون أن تعيش داخل حارة بذاتها فاننا نلاحظ أن المغاربة فى مصر خلال الاحتلال العثمانى قد كونوا طوائف يغلب عليها بالأساس طابع الانتماء العنصري(المغربى).

مثل على ذلك طائفة المغاربة بسوق طولون ويشير أرشيف المحكمة الشرعية بالقاهرة لاسم شيخها قرب منتصف القرن الثامن عشر وهو الحاج سعيد، وكذا طائفة المغاربة بخط العدوية

وشيخهم الحاج أحمد،بالاضافة إلى طوائفهم فى أسواق الجمالين والفحامين والسباع وبولاق القاهرة.

ويدل هذا على حقيقتين.. أولاهما أن عدد المغاربة بمصر، وبالقاهرة على وجه الخصوص، قد تضخم إلى الحد الذى سمح لهم بتكوين كل هذه الطوائف والثانية أنهم استقروا فى تلك البلاد مما مكنهم أيضا من تخليق هذا الشكل الطائفى الذى يستلزم الاستمرار.

الملاحظة السادسة:ان المغاربة فى مصر قد استقروا بالأساس بالقاهرة وبعدد من الموانى المطلة على البحر المتوسط وبالذات الاسكندرية ورشيد ودمياط.

ويمكن تفسير هذه الوضعية بأكثر من سبب:

يتصل أولها بتركيب موكب الحجيج المغربى فقد كان من العناصر الأساسية لهذا الموكب التجار والعلماء.. فطبيعة نشاط هاتين الفئتين يتركز فى المدن.

ولايعنى ذلك أن هذا الموكب لم يضم أعدادا من أبناء البادية (الريف) المغربية إلا أن هؤلاء لم يتم لهم التواجد فى الريف المصرى أو الاندماج فى مجتمعه.

ويرجع ذلك، فى رأينا، إلى أبناء البادية المغربية الذين شاركوا فى موكب الحجيج قد انبعثت مشاركتهم قبل أى شىء انطلاقا من الوازع الديني دون أن يضعوا فى اعتباراتهم الأغراض الاقتصادية أو الثقافية التى كانت لدى غيرهم(التجار-العلماء).

أضف إلى ذلك، وهو السبب الأهم فيما نعتقد، أن طبيعة التركيب الاجتماعى والاقتصادى فى الريف المصرى القائم من ناحية البنية الاجتماعية على تكون كل قرية من مجموعة من الأسر لاتقبل وافدا إليها ومن ناحية البنية الاقتصادية على حق كل أسرة فى الانتفاع بما عرف«بأرض الأثر» تتوارثه جيلا بعد جيل.. ومثل هذا التركيب كان لايسمح بسهولة بقبول غرباء داخل مجتمع القرية أو استقرارهم، ناهيك عن اندماجهم فيه.

تركز النشاط الاقتصادى الأساسى الذى مارسه المغاربة فى مصر فى أعمال التجارة، وكان هذا أمرا طبيعيا على ضوء أن القطاعات الأهم التى وفدت إلى مصر من المغاربة بهدف ممارسة نشاط اقتصادى كانت من التجار، ثم إن هذه القطاعات سواء باستقراها فى القاهرة أو فى الموانى المصرية إنما قد استقرت فى مجتمعات تجارية.

ويشير الجبرتى إلى أن الدور الأساسى للمغاربة فى التجارة كان فى ميدان تجارة البن والتوابل والتى كانت مراكزها قائمة فى أحياء طولون والغورية أضف إلى ذلك السلع ذات الطابع المغربى والتى أتت أولا من المغرب ثم تم تصنيفها فى مصر وتخصص فى بيعها التجار المغاربة ويشير الجبرتى أيضا فى هذا الصدد إلى مااسماه «بالنعال المغربية أو البلغ».

وينبغى تسجيل حقيقة فى هذا الصدد وهى أن تلك السلع التى تاجر فيها المغاربة فى مصر(البن والتوابل خاصة) انما كانت تمثل السلع الأساسية

سواء فى علاقات مصر التجارية مع الخارج أو فى دورها كمنطقة عبور للطريق التجارى القادم من الشرق الأقصى إلى المناطق الجنوبية من أوروبا (المدن الايطالية).

وكان من الطبيعى أن يمكن هذا الدور المغاربة من تكوين ثروات طائلة وضعتهم فى مكانة اجتماعية متميزة.

يبدو ذلك مما ذكره الجبرتى من أنه كلما احتاجت السلطة فى مصر إلى المال كانت تتجه إلى التجار المغاربة للحصول عليه.

وقد ترتب على ذلك وجود علاقة خاصة بين السلطة العثمانية المملوكيه فى مصر وبين التجار المغاربة فى البلاد تقوم على ارتباط المصالح بين الطرفين وأنه طالما كان التجار مصدرا من مصادر تمويل السلطة فقد كانت هذه الأخيرة تقدم لهم كل ألوان الرعاية مما يبدو فيما أتاحته الادارة المصرية للتجار المغاربة من فرص لاستثمار رءوس أموالهم فى كافة أوجه الاستثمار مثل شراء العقارات وتوريثها أو وقفها، ورهن وشراء حق الانتفاع بالأراضى الزراعية وتأجيرها والانتفاع بها وشراء الوكالات وغيرها.

وتتعدد نماذج الأسر المغربية فى مصر التى مارست النشاط التجارى ولعبت فيه دورا هاما.

أشهر هذه الأسر وأهمها هى أسرة «الشرايبى» ويبدو حجم الأهمية من أن الأجيال المتعاقبة لهذه الأسرة قد لقيت الاهتمام من المؤرخين المعاصرين على رأسهم الشيخ عبدالرحمن الجبرتى الذى استمر يسجل أخبار هذ الأسرة فى حولياته منذ منتصف القرن السابع عشر ولقرن كامل بعده.

وقد سجل تاريخ وفاة أول من اشتهر فيهم، الخواجا محمد الكبير١١١١هـ/١٦٩٩-١٧٠٠م كما سجل تاريخ وفاة آخرهم، ابراهيم بن محمد الغزالى بن محمد الدادة الشرايبى ١٢٠٥هـ/١٧٩٠، ١٧٩٩م.

وقد تعددت مظاهر ثراء أسرة الشرايبى، فيصف الجبرتي بيتهم بأنه «بيت المجد والسيادة والامارة والتجارة» ويتحدث عن احدهم بقوله أنه كان «من أجل أهل بيت الثروة والمجد والعز والكرم»، ويصف بيتا ثالثا بأنه كان «بيت المجد والفخر والعز.. وكانوا فى غاية من الغنى والرفاهية والنظام ومكارم الأخلاق والاحسان للخاص والعام».

ولقد كان لبعضهم أكثر من دار يعيش فيها، مثال على ذلك الحاج قاسم الشرايبى الذى كان له بيت فى الغورية حيث كانت تجارته (التوابل) وكان له بيت آخر فى الأزبكية حى سكنى الأعيان فى البلاد.

ويذكر الجبرتي أن بيتهم الأخير هذا الواقع فى الأزبكية «كان يشتمل على اثنى عشر مسكنا كل مسكن بيت متسع على حدته».

أضف إلى كل ذلك أن المصريين لقبوا عمداء هذه الأسرة «بالخواجا» وهو لقب كان يطلق على كبار الأثرياء العاملين بالتجارة فقط.

وتتضح مكانة أسرة الشرايبى لدى الادارة فى مصر من أكثر من حقيقة يمكن تسجيلها:

١ - فقد كان بيت الشرايبى بمثابة مكان اللقاء للصفوة الحاكمة فى مصر يترددون عليه وقت شاءوا حيث شاءوا «وكان الأمراء بمصر

يترددون إليهم كثيرا من غير سابق دعوة، وكان رضوان كتخدا يتفسح عند المترجم الحاج أحمد بن محمد الشرايبى فى كثير من الأوقات مع الكمال والاحتشام ولايصحبه فى ذلك المجلس إلا اللطفاء من ندمائه».

٢ - شاركت أسرة الشرايبى فى شراء المماليك وتربيتهم حيث كان هؤلاء بعد ذلك يشكلون جناحا هاما من أجنحة السلطة المصرية القائمة وقتئذ، ويشير الجبرتى فى ترجمته لأحدهم إلى «مماليكهم وأولاد مماليكهم من أعيان مصر جربجية وأمراء، ومنهم يوسف بك الشرايبى».

ويقدم مافعلته أسرة الشرايبى نموذجا غير معتاد، فهم ليسوا فى الأصل من المماليك غير أنهم رغم ذلك استجلبوا مماليكا وربوهم وتحول هؤلاء إلى أمراء أو بكوات وانتحلوا اسم الأسرة «الشرايبى».

ولعل هذا النموذج غير المعتاد يقدم أكثر من دلالة على مكانة أسرة الشرايبى، فهى من ناحية قد بلغت من الثروة الحد الذى يمكنها من الاقدام على مثل هذا الأسلوب، وهى من ناحية أخرى قد بلغت من الالتحام بالسلطة الحد الذى أصبحت معه مركزا لتفريخ بعض عناصرها.

٣ - وكانت وفاة أحد أفراد أسرة الشرايبى مناسبة هامة تتبدى فيها أهمية مكانتها لدى الدوائر الحاكمة فى البلاد.

يصف الجبرتى فى أحداث عام١١٣٧هـ / ١٧٢٤ - ١٧٢٥م جنازة محمد الدادة الشرايبى فيقول«وحضر جنازته جميع الأمراء والعلماء وأرباب السجاجيد والوجاقات السبعة والتجار وأولاد البلد»، ثم يصف فى أحداث عام ١١٤٧هـ/١٧٣٤-١٧٢٥م جنازة الحاج قاسم ابن الحاج محمد السابق الذكر فيقول«وخرجوا بجنازته من بيته بالأزبكية فى مشهد عظيم حضره العلماء وأرباب السجاجيد والسناجق والأغوات والاختيارية والكراخى حتى أن عثمان كتخدا القازدغلى لم يزل ماشيا أمام نعشه من البيت إلى المدفن بالمجاورين».

أما عن الأنشطة الاقتصادية التى مارسها أبناء أسرة الشرايبى فيمكن رصدها فى أكثر من نشاط.

هناك أولا ذلك النشاط الأصيل الذى تفرعت عنه سائر الأنشطة وهو ممارسة التجارة، فقد تعددت فى أيدي أبناء الأسرة الوكائل التجارية فى الغورية وغيرها.

وقد اتسع نطاق النشاط التجارى للشرايبية إلى الحد الذى تملكوا معه سفنا تأتى لهم بسلعهم ويذكر الجبرتى أنه كان للحاج محمد الدادة الشرايبى«ثلاث مراكب فى بحر القلزم».

وأهمية التجارة فى بحر القلزم (البحر الأحمر) تنبع من مصدرين:

أولهما أن هذا البحر استمر طوال العهد العثمانى بحرا اسلاميا لايسمح للفرنجة بالابحار فى المنطقة الواقعة شمالى ميناء مخا اليمنى.

وثانيهما أنه كان الشريان الرئيسى الذى تتلقى منه مصر وعالم البحر المتوسط السلع الشرقية، التوابل من الشرق والبن من اليمن، ومعلوم أن التجار المغاربة كانت لهم شهرة خاصة فى التعامل فى هذه السلع.

وقد مكنت الثروات التى استطاع أبناء أسرة الشرايبى تكديسها من الاشتغال بالتجارة، مكنتهم من توظيفها فى وجوه استثمارية أخرى.

ففى المدينة وظف هؤلاء رءوس أموالهم فى اقتناء الدور التى كانوا يكرونها بالاضافة إلى الحمامات التى كانت آنئذ مصدرا هاما من مصادر الدخل. فى الريف دخلت أسرة الشرايبى إلى ميدان الالتزام على نطاق واسع خلال القرن الثامن عشر.

وكان التجار المغاربة من أبرز التجار الذين دخلوا ميدان الالتزام وكانت اسرة الشرايبى من الأسر الرئيسية من التجار المغاربة التى حصلت على الالتزامات.

وقد سجلت وثائق المحكمة الشرعية، وسجل اسقاط القرى الكثير من حالات اسقاط القرى إلى الحاج محمد الدادة الشرايبى، ثم ابنه الحاج قاسم من بعده، ولم تقتصر هذه الحالات على منطقة بعينها وانما امتدت إلى مناطق عديدة فى جميع أرجاء البلاد.

وتشير نفس الوثائق إلى قيام الحاج قاسم الشرايبى بالوكالة فى محكمة الباب العالى عن أشخاص آخرين فى شراء الالتزامات باسمهم، وقد تم هذا على الأرجح تهربا من عمليات مالية بحتة.

أضف إلى كل ذلك قيام الرجل بالمضاربة فى شراء الالتزامات المحلولة من المزاد العلنى ثم اسقاطها أو تأجيرها لآخرين، وكانت هذه العملية تحقق له ربحا فوق رأسماله الذى يدفعه فى المزاد.

وقد أدى دخول أسرة الشرايبى والتجار المغاربة وفئة التجار عموما إلى ميدان الالتزام إلى ظهور أشكال جديدة فى هذا النظام قامت أساسا على أن أصبحت أراضى الالتزام فى خدمة الاستثمار الرأسمالى بعد أن كان من المفروض أن توظف رءوس الأموال فى خدمة تلك الأراضى.

والحديث عن رأس المال الذى تملكته أسرة الشرايبى يستلزم متابعة لما طرأ عليه من تطور ومحاولة لتفسير هذا التطور والمتابعة هنا تنصب على رأس المال السائل.

يشير الجبرتى إلى أن كبير الأسرة الدادة الشرايبى الذى كان قد ورث عن أبيه ٩٠ كيسا قد نجح فى زيادتها إلى ١٤٨٠ كيسا واستمر أبناؤه من بعده، محمد قاسم وأحمد. فى تنمية هذه الثروة.

والملاحظ أنه قد غلب على عهد كل هؤلاء الأبناء ظاهرة تركيز رأس المال فى أيدى أحدهم يقوم باستثماره وينفق من أرباحه على سائر أفراد الأسرة مما يسجله الجبرتى فيقول: «وكان من سننهم أنهم يجعلون عليهم كبيرا منهم وتحت يده الكاتب والمستوفى والجابى فيجمع لديه جميع الايراد من الالتزام والعقار والجامكية ويسدد الميرى ويصرف لكل إنسان راتبه على قدر حاله وقانون استحقاقه وكذلك لوازم الكساوى للرجال والنسا فى الشتا والصيف ومصروف الجيب فى كل شهر، وعنز تمام السنة يعلم الحساب ويجمع مافضل عنده من مال ويقسمه على كل فرد بقدر استحقاقه وطبقته».

غير أنه بموت أحمد الشرايبى (حوالى ١١٦٧هـ-١٧٥٣م) انتهي هذا النظام وسعى كل من أبناء الأسرة إلى الاستئثار بما يخصه من مال مما

كان بمثابة تفتيت لثروة الشرايبي واضعاف لقدرة الأسرة على استثمار رأسمالها.

يسجل الجبرتي هذه الحقيقة فيقول: «لما مات كبيرهم (أحمد الشرايبي) وقع بينهم الاختلاف واقتسموا الايراد واختص كل منهم بنصيبه يفعل به مايشتهي، وتفرق الجمع وقلت البركة».

وكان هذا ايذانا بنهايتهم كقوة رأسمالية في البلاد حتى أنه بوفاة آخرهم «ابراهيم بن محمد الغزالي بن محمد الدادة الشرايبي» عام ١٢٠٥هـ - ١٧٩٠م. انتهي ذكر الأسرة ونعود إلى الجبرتي الذى يقرر هذه الحقيقة بقوله عن الرجل أنه كان «مسك ختامهم وبموته انقرض بقية نظامه».

وقد حاولت أسرة الشرايبي طوال الوقت الحفاظ على وجودها والتمسك بكيانها وعدم الذوبان في المجتمع المصرى مما جعلها مطبوعة بمغربيتها إلى أن أصابها ماأصابها من أسباب التدهور الاقتصادى والذى أدى إلى عدم الاستمرار في التمسك بهذا الطابع.

يوضح هذه الحقيقة الشهادة التى أدلي ويوضح هذه الحقيقة الشهادة التى أدلى بها مؤرخنا المصرى العتيد مرة أخرى وهو يتابع تاريخ الأسرة.. جاء في هذه الشهادة:

«وجميعهم مالكيو المذهب على طريقة أسلافهم.. ومن أوضاعهم وطرائقهم أنهم لايتزوجون إلا من بعضهم البعض ولاتخرج من بيتهم امرأة إلا للمقبرة فإذا عملوا عرسا أولموا الولائم وأطعموا الفقراء والقراء على نسق اعتادوه وتنزل العروس من حريم أبيها إلى مكان زوجها بالنساء الخلص. الخ».

كما كان للمغاربة طرقهم الصوفية في مصر منها نشوء طرق صوفية ذات أصل مغربى تماما مثل «الطريقة العيسوية» ويصفها الجبرتي بقوله «العيسوية هم جماعة من المغاربة ومادخل فيهم من أهل الأهواء ينسبون إلى شيخ من أهل المغرب يقال له سيدى محمد بن عيسى وطريقتهم أنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين ويقولون كلاما معوجا بلغتهم بنغم وطريقة مشوا عليها وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على قدر النغم ضربا شديدا مع ارتفاع أصواتهم، وتقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون بالدفوف فيضعون أكتافهم في أكتاف بعضهم لايخرج واحد عن الآخر ويلتوون وينتصبون..الخ».

كما انصرف بعض المغاربة إلى تولى بعض الوظائف المدينة.

مثال على ذلك توليتهم لبعض مناصب القضاء أو الاشراف على المكتبات مثل الشيخ «خليل بن محمد المغربى» الذى تولى أمرخزانة كتب المؤيد مدة.

وقد اشتهر بعض العلماء المغاربة من اتباع المذهب المالكى بالتشدد في الآراد والفتاوى. وقد تسبب هذا التشدد أحيانا في آزمات خطيرة تفجرت بين العلماء بعضهم وبعض أو بين العلماء والسلطات.

يسجل الجبرتي أزمة من هذه الأزمات بالفتوي التى أصدرها «الشيخ على الميلى المغربى» المقيم بالإسكندرية بأن «ذبيحة أهل الكتاب في حكم الميتة لايجوز أكلها». ويسجل بعد ذلك الأزمة التى تفجرت نتيجة لهذه الفتوى والتى لم تنته إلا باختفاء الشيخ على.

أما الذين انتموا إلى رواق المغاربة بالأزهر فقد كانت اعدادهم في تزايد.

ورواق المغاربة يقع في الجانب الغربي من صحن الجامع وله خمسة عشر بائكة قائمة على أعمدة من الرخام الأبيض وفيه مساكن علوية وخزانة كتب والرواق مخصص لطلاب المغرب طلاب طرابلس الغرب(ليبيا) والجزائر وتونس ولايستحق من أوقافه إلا من كان مالكي المذهب.

وأهم مانلاحظه بالنسبة لهذه الشريحة والتى عرف أبناؤها «بالمجاورين المغاربة».

انهم كانوا إلى جانب تلقيهم العلم يلعبون دورا هاما فى أحداث الشارع المصرى خاصة خلال القرن الثامن عشر.

ويروى لنا الجبرتى حادثتين فى هذا الشأن:

وقعت الأولى عام ١١٩١هـ-١٧٧٧م وكانت حول مكان وقف عليهم ورفض واضع اليد تسليمه لهم ولجأ إلى بعض الأمراء الذين أعانوه ضدهم.

وتحولت القضية إلى صدام بين المجاورين المغاربة وبين هؤلاء الأمراء حاول الأخيرون خلالها القبض على زعيم المجاورين المدعو عباس فأعانه بقية الأزهريين وتحول الصدام إلى مواجهة بين الأزهر بل بين قطاع هام من أهل القاهرة وبين الأمراء المعنيين وذلك حين«أبطل أهل الجامع الدروس والأذان والصلوات وقفلوا أبواب الجامع وجلس المشايخ بالقبلة القديمة وطلع الصغار على المنارات يكثرون الصياح والدعاء على الأمراء وأغلق أهل الأسواق القريبة الحوانيت»، ووصل الأمر إلى صدام مسلح بين المجاورين وبين اتباع السلطة الذين قتلوا منهم«ثلاثة أنفار وجرحوا منهم كذلك ومن العامة».

ولم تهدأ الأمور إلا بعد أن قدم الأمراء تنازلا كاملا عن دعاويهم.

الحادثة الثانية وقعت عام١٢٠٢هـ-١٧٨٧م عندما ثار بعض المغاربة بالأزهر على الشيخ العروسى بسبب الجراية وأغلقوا الجامع وخرجوا إلى الأسواق«وأمروا الناس بغلق الدكاكين»، ولم يهدأ الأمر إلا بعد أن «امتنع الشيخ العروسى من دخول الجامع أياما وقرأ درسه بالصالحية».

دور العسكر المغاربة فى ظل الاحتلال العثمانى:

استمرت مصر منذ الغزو العثمانى فى أوائل القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن الثامن عشر تقريبا تعرف نوعين فقط من العناصر العسكرية.

النوع الأول العسكر العثمانى أو رجال الفرق العثمانية المعروفة بالأوجاقات والتى تكونت من سبع فرق وعرف رجالها باسم «الوجاقلية».

النوع الثانى: المماليك الذين حكموا مصر من قبل وظل نظامهم يشكل الركيزة الثانية من الركائز العسكرية، وقد استمر هؤلاء من خلال نظامهم يتجددون جيلا وراء آخر وتزداد أعدادهم أوتنكمش تبعا للظروف.

غيرأنه بمرور الوقت عرف هذا التنظيم تغييرا هاما تمثل فى ضعف الطابع العسكرى للعنصر الأول(الوجاقلية). وقد ارتبط هذا الضعف بحقيقتين:

الأولى: ضعف الدولة العثمانية نفسها بحيث لم يعد فى امكانها كما كان الحال من قبل تجديد دماء هذه الأوجاقات بعناصر عسكرية جديدة.

الثانية: اندماج الوجاقلية فى المجتمع المصرى وتحولوا مع الوقت لامتهان الحرف والاشتغال بالأعمال المدنية وأصبح انتماؤهم لفرقهم العسكرية مقصورا فى كثير من الأحوال على الامتيازات المالية أو العينية التى كان يتيحها لهم هذا الانتماء.

وقد أدى تآكل الدور العسكرى لأحد العنصرين، وكان تآكلا تدريجيا إلى ظهور عناصر عسكرية أخرى تحتل مكانة من بدو المغرب وشمال افريقيا وبدو الصحارى المصرية، وكان أيضا ظهورا تدريجيا، غير أن هذا الظهور كان قد تأكد خلال ستينات القرن الثامن عشر، وهو العقد الذى شهد حركة انفصالية هامة ضد الدولة العثمانية.

وبينما أطلق المؤرخون الأوروبيون تسمية «المرتزقة» على هذه العناصر الجديدة فإن المؤرخين المعاصرين وعلى رأسهم الشيخ عبدالرحمن الجبرتى قد سماهم «بجند الطوائف» والواضح أن التسمية الأخيرة هى التسمية التى كانت تطلق على هؤلاء من جانب أهل البلاد.

وكان «المغاربة» طائفة هامة، بل ولامغالاة إذا خرجنا من الاشارات العديدة التى جاءت فى كتابات الجبرتي بأنهم كانوا الطائفة الأهم من هذه الطوائف:

تسجل هذه الشارات حقيقة هامة تتمثل فى أنه بينما اتسم استخدام سائر الطوائف بالتقطع فقد تميز استخدام طائفة المغاربة بالاستمرار.

تأتي أول اشارة عن عساكر الطوائف فى حوادث ٢٦ جمادي الأولي عام ١١٨١هـ-١٧٦٧م بما نصه «وفى عشرينه أخرج خلفهم أيضا خليل بك تجريدة أخرى وفيها ثلاثة صناجق ووجاقلية وعسكر مغاربة» وخليل بك هذا كان أميرا للحج أما من أخرجت خلفهم التجريدة فكانوا بعض الخارجين من المماليك الذين احتلوا مدينة هامة جنوب مصر (المنيا) وقطعوا الطريق على المسافرين عبرها.

الاشارة الثانية بعد ذلك بعامين ١١٨٣هـ-١٧٦٩م من تجريدة أخري لمحاربة المماليك الذين احتلوا مدينة أخرى فى جنوب البلاد-أسيوط-وتتكون التجريدة كما سجل الجبرتي «من كل وجاق وعساكر ومغاربة»، ومرة أخرى تقتصر الاشارة من جنود الطوائف على المغاربة.

يأتى ذكر المغاربة مع غيرهم من الأجناد فى الفترة التى حكم خلالها على بك الكبير ١٧٦٩م-١٧٧٣م، ومعلوم أن هذا الأمير المملوكى كان قد شكل جيشا كبيرا خلال تلك السنوات يحارب به العثمانيين ويقيم بواسطته الدولة التى ضمت مصر والشام والحجاز وكان من الطبيعى أن يستعين بكافة العناصر التى يمكنه استخدامها لبناء هذا الجيش، يبدو ذلك من الاشارات التى جاءت فى «عجائب الآثار» عن تلك العناصر، فقد ورد فى اشارة منها خلال عام ١١٨٤هـ- ١٧٧٠م أن على بك قد «استكتب أصناف العساكر أتراكا ومغاربة وشواما ومتاولة ودروزا وحضارمة ويمانية وسودانا وحبوشا ودلاة وغير ذلك».

وورد فى اشارة أخرى فى العام التالى ١١٨٥هـ-١٧٧١م مانصه:

«أخرج على بك تجريدة عظيمة وسر عسكرها واميرها محمد بك أبوالدهب وأيوب بك ورضوان بك وغيرهم كشاف وأرباب مناصب ومماليكهم وطوايفهم واتباعهم وعساكر كثيرة من المغاربة والترك والهنود واليمانية والمتاوله، وخرجوا فى تجمل زايد واستعداد عظيم».

وبانتهاء هذه المرحلة تختفى تلك الطوائف ولايبقى سوي المغاربة مرة أخرى وتتعدد الاشارات التى تؤكد ذلك.

فى حوادث عام ١١٩١هـ-١٧٧٧م وبعد عودة الصراعات المحلية بين ممثلى الدولة فى القاهرة وبين المماليك المتمردين يشير الجبرتى أنه تم فى ٢٨ رجب ارسال «عدة من الاجناد وأصحبهم عسكر المغاربة ومعهم الجبخانة والمدافع».

الاشارة الثانية فى حوادث العام التالى١١٩٢هـ- ١٧٧٨م عن دخول أحمد بك شنن إلى القاهرة ومعه«جماعة الفلاح بأسهم وكشاف ومماليك وأجناد ومغاربة».

وتتوالى اشارات أخرى حتى نهاية القرن الثامن عشر ومجى الحملة الفرنسية حيث يؤسس منهم فرقة عسكرية تابعة لجيش الاحتلال الفرنسى.



وثيقة بتعيين بازجى لتجار المغرب وطرابلس الغرب

مايستفاد من الوثيقة:

١ - اقرار الادارة فى مصر لترشيح والى طرابلس الغرب لأحد التجار كوكيل يرعى التجار من أهل طرابلس.

٢ - مسؤليات هذا الوكيل والمتمثلة اجمالا فى الاشراف على التجارة والتجار التابعين لطرابلس فى ثغر الاسكندرية.

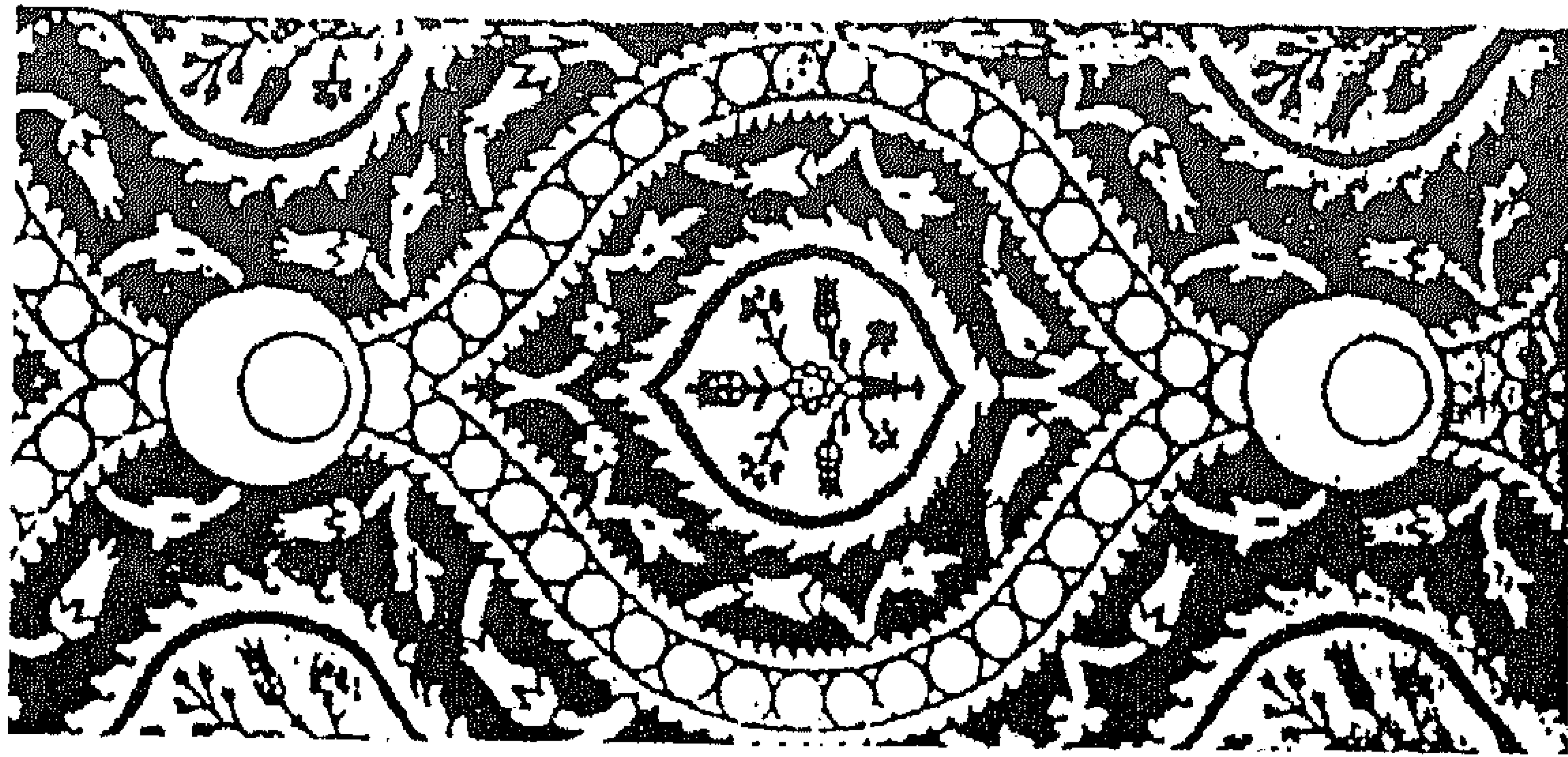
مصدر الوثقية:

دار المحفوظات العمومية- سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية سجل رقم ٩ يبدأ فى ٩ من جمادى أول سنة ١١٨٣هـ الى ١٩ رمضان سنة ١١٨٩، مخزن ٤٦ - عين ٦٩ محفظة ٥٦.

«صورة فرمان شريف من طرابلس الغرب من قبل على باشا قرما نلى ومتوحد بفرمان شريف من قبل مولانا الحاج محمد راقم باشا محافظ الديار المصرية»

- الى من يقف على هذا المنشور والظفر المأثور من كافة التجار والمتسببين الواردين من الأقطار والمقيمين بثغر الإسكندرية نعلمهم أن المكرم الأجل الحاج محمد الركراك جعلناه بازجى بالاسكندرية على التجار من أهل ترابلس وغيرهم من جماعة الجراية والحجاج لينظر فى أمورهم وكافة شئونهم ويكتب فيما بينهم على عادة البازجية الأقدمين والسابقين من غير معارض له فى ذلك ولامانع ولامنازع كاتبا رضيا وعدلا ذكيا يقف بين التجار بالسوية ولايميل على أحدهم بالكلية، وله من اكل الحرمة والاحترام والبر والاكرام على مرور الليالى والأيام والشهور والأعوام، ومن خالف فى قوله وارتكب خلاف فعله ناله عقابنا الأليم وجرعناه طعم الحميم، وصلى اللهم على سيدنا محمد المبعوث بالكتاب عليه وآله وجملة الأصحاب.

مكتوب فى أواسط جمادى الثانى سنة ١١٨١هـ.



سيطرة مشايخ البلد على المقاطعات وادارتها

مايستفاد من الوثيقة

١ - تزايد نفوذ كبار أمراء المماليك من حائزى منصب شيخ البلد واستئثارهم لأنفسهم بمقاطعات الالتزام فى الموانىء وادارتها لصالح كبار الأمراء من المماليك واتباعهم.

٢ - بعض العاملين من قبل هؤلاء الأمراء من الشوام الذين حلوا فى الادارة المالية محل اليهود.

٣ - ضعف مكانة الأجهزة الادارية فى الموانىء فى تلك الفترة لصالح كبار الأمراء من المماليك واتباعهم.

مصدر الوثيقة:

الشهر العقارى بالاسكندرية- سجلات محكمة الاسكندرية الشرعية سجل ١٠١ يبدأ من ٢٧ محرم سنة ١٢٠٣هـ إلى ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٠٧هـ وثيقة رقم ٤٢٦، ٤٢٧.

أقضى قضاة الإسلام مولانا الأفندى قاضى الشرع الشريف وقدوة الأكابر وعمدة الأعيان الأمير على جاويش سردار مستحفظان والأمير عثمان أغا دزدار القلاع والأمراء السدادرة والجوربجية والأعيان بثغر الاسكندرية أعزهم الله.

بعد مزيد السلام عليهم لايخفاهم اننا استخرنا الله تعالي الذي لاخاب من استخاره وقررنا المعلم يوسف فرعون تابعنا معلما للدواوين والمراد منكم انكم تكونوا محافظين إلى الديوان ومعاونين إلى معلم الديوان وأتباع الديوان تماما وحفظ الأموال الميرى والتجار وكل من تعدى على الديوان أوخلافه تخرجوا من حقه وأن كان يحصل أى خلل لم تقدروا تردوا لنا جواب والله تعالى يستركم، حرر فى ١٨ محرم ١٢٠٥.

أمير اللوا السلطانى

اسماعيل بيك

اقضى قضاة المسلمين مولانا قاضى الشرع وقدوة الأكابر والأعيان الأمير على جاويش سردار مستحفظان والأمير عثمان أغا دزدار القلاع والأمراء والسدادرة والجوربجية والأعيان بثغر الاسكندرية، بعد المزيد من السلام عليهم وكثرة الأشواق اليهم لايخفاهم أن الواصل لكم معلم بولس عفانى مقرر معكم ديوان الثغر وكيل من طرف المعلم يوسف فرعون معلم مقاطعة الدواودين تابعنا والحال تكونوا معه بالمحبة مساعدين فى كامل الأمور العائدة نفعا والصواب، وضبط وتحصيل الأموال الأميرية من وجوه أربابها حكم القوانين السابقة وسلوك كامل الخدمة والمتدركين كل منهم بوظيفته حفظ الدرك اللازم عليكم وتكونوا مستمعين الكلام وتحت معرفته والذى يحصل منه خلل تخرجوا من حقه وتجعلوا نظركم معاه فى كل مايمكن وأن يحصل أدنى شىء لانعرفه الا منكم، والله تعالى يحفظكم، حرر فى

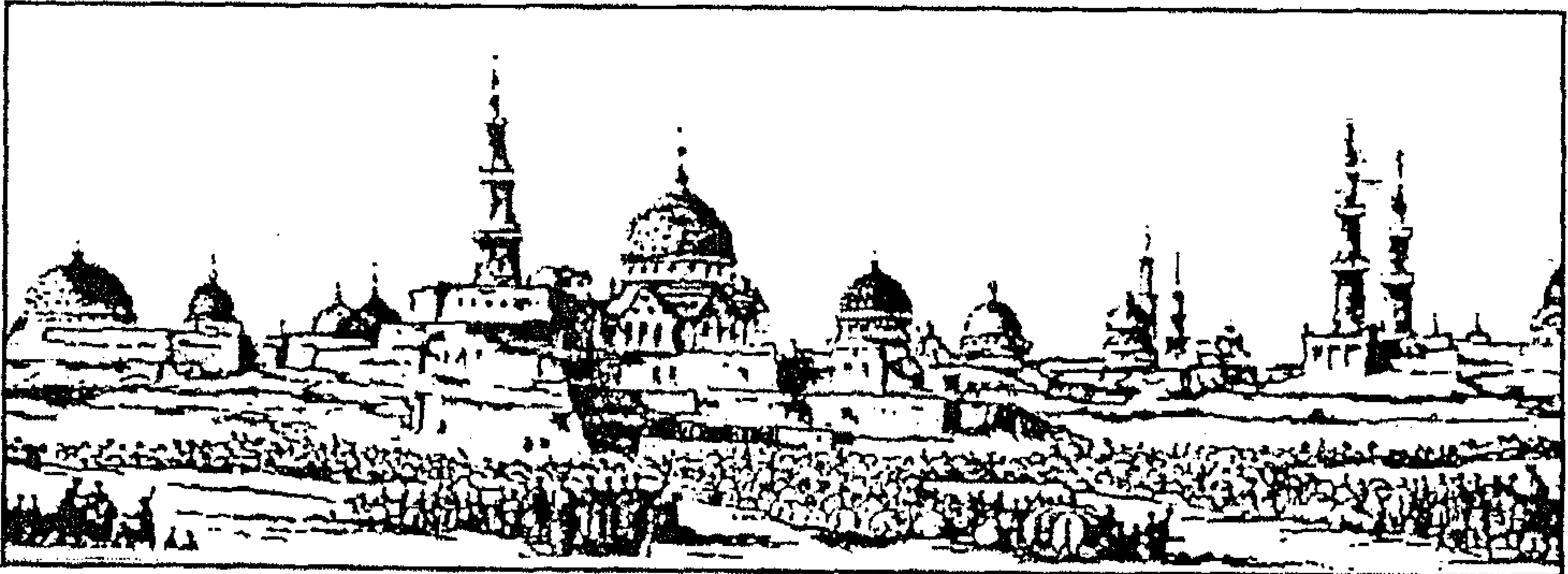
١٨ من المحرم الحرام سنة ١٢٠٥ هـ. رضوان كتخدا مستحفظان حالا.

صورة مكتوب من مصر المحروسة

– اقضى قضاة الإسلام كمال ولاة الانام قاضى الشرع الشريف مولانا افندى بثغر الاسكندرية بعد السلام عليكم لايخفاه سابق تاريخه وقع كلام مابين حضرة قنصل انجلترا ومابين معلمين الديوان من قبل الجمرك المطلوب عن البضائع ووقع شيء مابينهم فأرسلنا أحضرنا العهد والخط الشريف الذى تحت يد القنصل وحضرنا معلمين الديوان وعرفناه أن لازم يمشوا على حكم العهد نامة والخط الشريف المذكور، ولم صار منهم تقصير وأجابوا إلى الصلح على أن يكون على المماية ثلاثة على البضائع التى تحضر إلى القنصل المذكور، وفى وقت تاريخه لم يعد بينه وبين معلمين الديوان خلاف وصاروا يحاسبوه على موجب ذلك. يكون معلومكم وهلبت لأجل منع المنازعة فى المستقبل تسجلوا فى المحكمة الشريفة وأننا أمرنا معلمين الديوان الذى فى طرفكم أن يمشوا على موجب العهد نامة الذى بيد حضرة القنصل الانجليزى وأن طلب المذكور أن يسجل أيضا الشروط الذى بيده تسجلوه له على حكم مطلوبة، وهلبت من راحة المذكور الراحة التامة فى كل بد وسبب، حرر فى شهر جمادى الأول سنة١٢٠٦ هـ.

أمير اللوا الشريف

ابراهيم بك



وثيقه مراد بك وحيازته مقاطعات الجمارك

مايستفاد من الوثيقة:

١ - حيازة مراد بك وابراهيم بك لمقاطعات الالتزام فى الموانىء واستئثارهم بها وادارتها من قبلهم.

٢- انتشار التهريبب فى ثغر الاسكندرية وأسباب ذلك ونتائجها ومحاولات التصدى للتهريب.

٣ - تنظيم التعامل بين الموانىء وتخصيص دمياط فى ذلك الاطار بوارد وصادر الشام.

مصدر الوثيقة:

الشهر العقارى بالاسكندرية- سجلات محكمة الاسكندرية الشرعية سجل ١٠٧ يبدأ فى ٨من صفر الخير سنة ١٢٠٨هـ إلى ٢١ من شعبان سنة ١٢١٢هـ، وثيقة رقم ٢٣.

- صدر هذا الفرمان الشريف المطاع الواجب القبول والتشرف والاتباع من ديوان مصر المحروسة العالى دامت له المفاخر والمعالى، خطابا إلى قدوة القضاة والحكام حاكم الشرع الشريف والسادات العلما والأشراف والسردار وأغات الحوالة وساتر المتكلمين من الحكام والأعيان وكامل التجار بثغر الاسكندرية نعلمهم أن حضرت افتخار الأمرا الكبار والكبرا الفخام أولو القدر والمجد والاحترام أمير اللوا الشريف السلطانى والعلم المنيف الخاقانى أمير الحج الشريف المصرى سابقا أمير اللوا مراد بك دام عزه أنهي الينا بأن مقاطعة الدواوين والاسكلها متأخر منها تحت الأموال الأميرية مبلغ مال له صورة فعند ذلك التزم به على نفسه حضرة أمير اللوا المومى اليه، وبقيت الدواوين المذكورة فى تعلقه وتحت تصرفه والتزامه، وقد تحققنا أن أغلب هذا العجز الحاصل من ديوان الثغر طرفكم بسبب تهريب البضايع من الكمرك وتثمين البضايع بربع قيمتها وماكفى ذلك فمنهم الذى يطلع بضاعة من الديوان قهرا واغتصابا ومنهم الذى يعمل عليهم مصطلح بدون كمرك فبسبب ذلك حصل النقص والعجز فى الأموال الأميرية وهذا الأمر لا يرضينا ولايرضى مولانا السلطان والحال عند ايصال هذا الفرمان اليكم وتلاوته عليكم تجمعوا كامل التجار وتنبهوهم وتؤكدوا عليهم أن كلا منهم يمتنع عن تهريب البضائع وتلزمهم يطلعوا بضايعهم إلى ديوان السلطان ويعطوا كمركها بالحد والانصاف ولازم أن كامل البضايع الصادرة والواردة تثمن بسعر ماتساوى قيمتها كل وقت بوقته ويقوموا بدفع الكمرك الذى عليهم حكم الحوالى بسعر الله الحاضر على كافة التجار الخواص والعوام، والحاضر يعلم الغايب وقانون الجمرك تجروه حكم السوابق.

وبلغنا أن بعض التجار يحضروا إلى الثغر بدخان من برر الشام فهذا حق ديوان دمياط، ولابد عدم انحراف لقانون الدواوين فلازم يكون العلم بمقتضى ذلك ونؤكد عليكم أن تنبهوا على كامل القوارببة من المغرب يربطوا قواربهم والقارب الذى يخرج بالليل يحرق ولازم تكونوا مساعدين ومعاونين إلى معلم الديوان وجماعة الديوان وتمنعوا كل من يتعرض لهم بالأذى، حيث أن خدامين الميرى لازم صيانتهم وحمايتهم وتكونوا فى غاية الهمة والاجتهاد والضبط الشافى والحفظ والصيانة إلى الأموال الأميرية، ويكون العمل بمقتضى ذلك حكم المشروح أعلاه ولاتخالفوه، والكف الكريم والختم الفخيم عليهما الاعتماد.

حرر في شهر رجب سنة ١٢٠٨هـ

أمير اللوا الشريف
مراد بيك

من أساليب الانتفاع الاقتصادى بالأوقاف*

١ - تمهيد

إن نظرة على نوعيات الثروة الاقتصادية للأوقاف فى مصر فى العصر العثمانى، تعطينا انطباعا أن هذه الموقوفات قد شملت الإنسان حيث تم وقف العبيد والحيوانات والجماد، وامتداد الوقف ليشمل معظم مصادر الثروة الاقتصادية من أراض زراعية وحدائق وبساتين، إلى مختلف العقارات والحوانيت والوكالات التجارية وأدوات الانتاج المختلفة، فقد وجد من ضمن الموقوفات الطواحين، والأفران، وأبراج الحمام، والحمامات العامة، والمقاهى، والصهاريج والمناشر المعدة لغسل الثياب بالأجرة، ومصانع الجبس «الجباسة»، ومصانع النسيج الصغيرة، ومضارب الأرز، فضلا عن السفن التجارية، أضف إلى ذلك وقف النقود ذاتها أوالمرتبات النقدية المقررة من قبل الخزانة لأفراد بعينهم، أو حتى وقف «مايتحصل من خراج... الاتلاق المرصد من الديوان العالى بمصر المحروسة، وهى أراض كانت مخصصة لعلف خيول بعض الأمراء».

إن هذا التنوع الاقتصادى الذى نلاحظه لاسيما فى الأوقاف الكبرى التى حرصت على أن تشمل موقوفاتها الحضر والريف، الأراضى الزرعية والعقارات وأداوات الانتاج لضمان توافر الريع للوقف فى حالة حدوث اختلال فى شئون الرى، أو حدوث عارض يصيب عقاراتها وأدوات الانتاج، إذا أضيف هذا إلى ماسبق ذكره نجد أن حوالى ٤٠٪ من أراضى مصر الزراعية كانت موقوفة، فضلا عن كثرة عقارات الأوقاف فى المدن حتى أدى الأمر بها إلى التلاصق مما يفرض علينا تتبع الأساليب المختلفة التى نحت نحوها لاستغلال موقوفاتها، لبيان مدي الانعكاس والترابط بين الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر.

٢ - ايجار عقارات الأوقاف

يعتبر الايجار أكثر أساليب الانتفاع الاقتصادى التى لجأت اليها الأوقاف من أجل استغلال موقوفاتها ،ولعل ذلك يعود إلى أن الأصل فى الوقف هو حبس العين الموقوفة والانتفاع بريعها، ومن هنا كان الايجار انتفاعا بريع الأعيان الموقوفة والايجار كأسلوب للانتفاع الاقتصادى كان منتشرا فى عقارات الأملاك سواء بسواء، مع اختلافات فى طبيعة الايجار فى الملك عنه فى الوقف ، فالشائع أن عقد الايجار الذى يحدد مدة الايجار لاقيود عليه فى الأملاك، فللمالك أن يؤجر أملاكه أى مدة شاء، أما العين الموقوفة فإن للواقف أن يحدد مدد الايجار بالنسبة لأعيان وقفه فى حجة الوقف، على أساس أنه أكثر حرصا على وقفه من غيره، كما أن للناظر- إذا شرط له الواقف- تحديد مدة الايجار، احترام شرط الواقف بالنسبة لمدد الايجار فى الغالب، أما إذا لم يحدد الواقف مدد الايجار فإن ماتعارف عليه الناس أن الايجار فى الأبنية والحوانيت، يكون بعقد سنوى، أى لمدة عام واحد، مراعاة لمصلحة الوقف، إلا إذا رأى القاضى أن الخير للوقف- فى حالات الضرورة- فى اطالة مدة

* الاوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى تاليف:د.محمد عفيفى. الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٩١.

العقد فله ذلك، وعلى هذا النحو كان الحال فى العصر المملوكى السابق، إذ كان أغلب عقود الايجار عقودا سنوية، لمدة عام واحد إلا فى حالات قليلة، ينص فيها الواقف على اطالة عقد الايجار أكثر من سنة، وهو الأمر الذى سار عليه معظم الواقفين طوال القرن العاشر الهجرى إلا أننا نشاهد وبكثرة الميل إلى رفع مدة عقد الايجار بحيث لاتتجاوز ثلاث سنوات فى معظم حجج أوقاف القرن ، وصاحب ذلك أن معظم عقود الايجار فى عقارات الوقف التى تم تسجليها أمام قضاة المحاكم الشرعية كانت مدتها ثلاث سنوات، ومع ذلك فإن الأمر لم يكن ملزما تماما، فلقد وجدنا مدة ايجار مكان للسكنى لمدة عام واحد فى مطلع القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى)، كما وجدنا عقد ايجار فى مكان آخر فى منتصف القرن العاشر الهجرى، (السادس عشر الميلادى)، لمدة ثلاثة أشهر، مما يوضح لنا أن قصر مدد الايجار كان متروكا لطبيعة شروط الواقف ولحالة الوقف، إلا أن الظاهرة التى استشرت آنذاك أن مدة عقد الايجار قد اجمع عليها تقريبا بثلاث سنوات.

الظاهرة الثانية التى تسترعى الانتباه فى عقود ايجار عقارات الأوقاف، هى مدى حرص الواقف على أن يقوم ناظر الوقف بتسجيل عقد الايجار مع المستأجر أمام القاضى فى إحدى المحاكم الشرعية، هذا فضلا عن تسجيل عقد الايجار فى دفاتر الوقف، ولعل ذلك بغية الحفاظ على حقوق الوقف، بالرجوع إلى سجلات المحاكم الشرعية، لمراجعة شروط عقد الايجار فى حالة حدوث خلاف، وطلب العون من القاضى للحفاظ على حقوق الوقف فضلا عن احكام الرقابة على تصرفات الناظر سواء من جانب القاضى، أو من جانب موظفى الوقف الذين يشرفون على تسجيل عقد الايجار أيضا فى دفاتر الوقف، والثابت أن التواجر فى عقارات الوقف بدون «عقد شرعى» بين الناظر والمستأجر أمام القاضى أو عقد مسجل فى دفاتر الوقف، كان كثيرا مايجلب الفساد والخلاف بين الوقف ومستأجريه فيما يتعلق بقيمة ومدة الايجار.

ومن أهم الشروط التى نصت عليها عقود الايجار فى عقارات الأوقاف، أن تكون قيمة الايجار هى «أجرة المثل»، والمعنى المقصود بأجرة المثل، هو معنى نسبى بأن تتوافق أجرة العقار مع قيمة أجرة أمثال العقار، سواء فى عقارات الأملاك أو الأوقاف، مراعاة لمصالح الوقف، مع أجازة البعض اجازة عقارات الوقف بأقل من أجرة المثل فى حالة عدم وجود مستأجر بنفس قيمة المثل.

ويرتبط بقيمة ايجار الموقوفات ارتباطا وثيقا مشاكل تأخر الايجارات، ومايتبع ذلك من مشاكل بين الأوقاف والمستأجرين، وهى مشاكل عانت منها الأوقاف الكثير، ومن هنا كان حرص حجيج الأوقاف على الشرط أن «لايؤجر شىء من الوقف لظالم ولالذى شوكة». أو «لمتجوه... ولالحاكم ولالمن يخاف منه على استيلائه مجانا» لأن المتنفذين كانوا يستأجرون الكثير من عقارات الأوقاف ويمتنعون عن سداد الايجار باستغلال نفوذهم، ولخشية ادارة الاوقاف من اثارة الأمر أمام القضاء، لما يترتب على ذلك من بطش بهم، ومن ناحية أخرى شرطت بعض حجج الأوقاف عدم تأجير عقاراتها «لمماطل ولالمفلس»، مما يوضح ضرورة تقصى ادارة الأوقاف عن أحوال راغبى

الايجار مسبقا للحيلولة دون الوقوع فى مشاكل مالية مستقبلا ومع ذلك فإن مشاكل تأخر الايجار لاتنقطع فمن المتنفذين الأمير أحمد جاويش الذى تاخر عليه أجرة بيت جار فى وقف دير سانت كاترين لمدة سبع سنين مع الأخذ فى الاعتبار أن هذا البيت يقع فى منطقة حكم هذا الأمير، ومن أمثلة المماطل فى الايجار أحد مستأجرى حانوت جار فى أوقاف الغورية الذى يماطل فى دفع الايجار وعندما يعرض جابى الوقف الأمر على القاضى، يماطل المستأجر فى القيمة الإجمالية للايجار المتاخر عليه. ومن أمثلة من يخشى استيلائه على الوقف مجانا، شخص يضع يده على مسكن فى وقف لمدة عشر سنين مع تأخر الايجار، وعندما يطالبه الناظر بقيمة الايجار، يدعى استحقاقه فى الوقف على أساس أن الواقف هو جده لأمه، ولكن يثبت أمام القاضى عدم أحقيته فى الوقف، وبالتالى يطالب بدفع ايجار السنوات العشر مع رفع يده عن المسكن. وهناك حالات أخرى لمشاكل تأخر الإيجار، أهمها غياب المستأجر وتركه للعين الموقوفة المؤجرة له مدة طويلة، مع عدم دفع الايجار إلى الوقف، ممايترتب عليه نقص فى ريع الوقف، هذا الريع المخصص لأوجه صرف معينة، وفى العادة كان الناظر على الوقف يرفع شكوى(قصة) إلى القاضى بهذا الأمر، وعندما يثبت صحة ذلك لدى القاضى بشهادة الشهود، كان القاضى يقوم هو أو من ينيبه عنه بفتح العين الموقوفة، سواء كانت مسكنا أوحانوتا، وارجاعها للوقف ليقوم بتأجيرها من جديد، وبالنسبة للأشياء الخاصة بالمستأجر، والتى عادة ماتوجد فى مسكنه أوحانوته، فإن للقاضى أومن ينوب عنه أن يعد بها كشفا ويثبته فى سجلات، وتترك هذه الأشياء أمانة لدى الوقف لحين عودة المستأجر، حفظا لها، وربما كضمان لدفع الايجار المتأخر.

٣ - الاستفادة بالمذاهب الفقهية فى الايجار:

الأمر الجدير بالملاحظة هنا، الاستفادة بالمذاهب الفقهية فى المعاملات الاقتصادية واستغلال الاختلاف بين المذاهب الفقهية فى بعض الأمور الاقتصادية لصالح الوقف او لصالح المستأجر، ومن هذا كثرة عقود الايجار التى تبرم أمام القاضى الحنبلى(على المذهب الحنبلى) واصرار المستأجرين على ذلك، ويرجع ذلك إلى مدى استفادة المستأجر من احكام المذهب الحنبلى، حيث نص فى هذ العقود على أن «من موجب معتقده المنيف- الحنبلى- منع قبول الزيادة- فى الايجار- طوال المدة المذكورة- مدة الايجار- وعدم انفساخها- الاجارة بموت المتعاقدين، أو بموت احدهما، أوبعزل الناظر وانعزاله». مما كان يضفى على المستأجر مزايا عديدة، حتى أن بقية مدة الايجار عند موت المستأجر كانت تورث لورثة المستأجر.

والجديدر بالذكر هنا أن بعض المستأجرين المسيحيين لأوقاف مسيحية كذلك كانوا يلجأون إلى عقد الإيجار على المذهب الحنبلى أمام القاضى الحنبلى لتحقيق أكبر قدر من الامتيازات لعقود ايجارهم.

٤ - عمارة عقارات الأوقاف(الصيانة والترميم):

نتيجة لانتشار الايجار فى عقارات الأوقاف، بحيث أصبحت العقارات تقع فى منفعة الآخرين

مددا طويلة، فضلا عن رغبة الأوقاف فى الاهتمام بالحالة المعمارية للأوقاف للحيلولة دون تداعيها، للمحافظة على ريعها القدر الأكبر من الزمان، ظهر الاهتمام الواضح من جانب الأوقاف بالصيانة الفنية للموقوفات،وهو ماكان يعرف «بعمارة الأوقاف» ومن هنا كان هم معظم الواقفين فى بداية شروط حجج أوقافهم أن تتم عمارة موقوفاتهم من ريع أوقافهم حتى لو استنفذ ذلك جميع الريع، بل وأفتى البعض أن الواقف إذا لم يبدأ شروط صرف الريع بأفضلية الصرف على عمارة الأوقاف يبطل ذلك، ويعمل بالشرط العام القائل بأفضيلة الصرف على عمارة الأوقاف عن كافة أوجه الانفاق المختلفة الأخرى، لأن أى اهمال فى ذلك يؤدى إلى تصدع الموقوفات وانهيارها، وهى مصدر الريع للوقف، وبالتالى تعطل أوجه الانفاق الأخرى. ولذلك كان حرص الأوقاف الكبرى على وجود جهاز للصيانة الفنية للوقف، ليتولى أعمال الصيانة والترميم المختلفة، ونظرا للاهتمام الشديد بعمارة الأوقاف وتزايد عمليات الترميم، فلقد نصت بعض حجج الأوقاف على أن«المرماتية» المختصين بعمارة الأوقاف» إذا بلغ العمل بها- بعمارة الأوقاف- ثلاثة أيام دونها فلا يعطى لهما- المرماتية أجرة عنها ويكون معلومهما المعين لهما- الراتب الشهرى- فيه فى نظير عملهما المدة المذكورة أعلاه، وإذا زاد على ثلاثة أيام فيعطى لهما أجرة مازاد على ذلك بحسابه على عادة أمثاله فى مثل ذلك، مما يوضح لنا مدى الاهتمام بصيانة الأوقاف وكثرة الأعمال المعمارية والوضع المميز لعمال البناء والترميم لدى الأوقاف، بحيث أصبح لهم أجر اضافى عن الأعمال الزائدة.

ولم يكن الاهتمام بالحفاظ على الحالة المعمارية للأوقاف مقصورا على ادارات الأوقاف فحسب فقد أولت الدولة عمارة الأوقاف اهتماما زائدا، يدفعها إلى ذلك ادراكها لمدى الدور الذى تقوم به الأوقاف فى المجتمع، فضلا عن دور الدولة فى اجراء الأحكام الشرعية وأمور القضاء ومن هنا كان حرص قانون نامة فى مطلع العصر العثمانى على ابراز الاهتمام بعمارة الأوقاف وصيانتها، والنظر والتقصى من جانب أجهزة الدولة الادارية والقضائية فى شئون عمارة الأوقاف، وماتخرب منها، والأسباب التى دعت إلى خرابها وكيفية عمارتها وتوجيه ريع الوقف لعمارة ماأصابه الخراب، فى محاولة لمداواة الاهمال الذى أصاب عمارة الأوقاف فى نهاية العصر المملوكى.

ومن ناحية أخرى كان للقضاء اشراف دائم على أمور الأوقاف واصلاح ماتهدم منها بل كان ناظر الوقف لايستطيع القيام بعملية صيانة وترميم واسعة فى وقفه دون اذن من القاضى فى شأن ذلك، ولايصدر هذا الأذن إلا بعد اطلاع القاضى أو من ينوب عنه على حالة الأوقاف، ومدى احتياجها للعمارة، والمبالغ المقدرة للانفاق عليها، يستوى فى ذلك أوقاف العصر المملوكى السابق التى استمرت طوال العصر العثمانى أوحتى الأوقاف المستجدة فى العصر العثمانى.

والجدير بالذكر أن الصيانة الفنية من جانب الأوقاف لعقاراتها المؤجرة للغير، لم تستطع القيام بدورها فى الحفاظ على الحالة المعمارية للعقارات، لذلك لجأت الأوقات إلى أسلوب آخر بشأن عمارة الأوقاف، على أساس أن يستقطع المستأجر من

قيمة الايجار مبلغا معينا يخصص للحفاظ على عمارة العقارات، على أن يقوم المستأجر بعمارة ذلك تحت اشراف موظفى الأوقاف، وقد بلغت قيمة ذلك أحيانا ٢٠٪ من قيمة الايجار الشهرى، بل ووصلت أحياناً إلى مايزيد على ٣٣,٣٪ من قيمة الايجار الشهرى.

وإذا كانت أعمال الصيانة الدورية لعقارات الأوقاف قد تم الوفاء بها على النحو السابق فإن الأمر لم ينته عند ذلك، فقد ظهرت مشكلة أعمال العمارة والصيانة الواسعة التى ينبغى أن تتم للعقارات على فترات زمنية طويلة، للحفاظ على حالتها المعمارية على مر الزمان، وهى الأعمال التى تتكلف مبالغ باهظة عجزت أوقاف كثيرة عن الوفاء بها ويعجز ايجار السنة أو حتى إيجار ثلاث سنوات عن الوفاء بها، ومن هنا، ومن مسألة عمارة الأوقاف والرغبة فى الحفاظ عليها أطول مدة ممكنة، ظهرت أساليب انتفاع أخرى لمعالجة هذا الأمر، وإن كانت الممارسات الفعلية قد جعلتها وبالا على الوقف أكثر منها نفعا له، وهذه الأساليب هى:

٥ - الايجار الطويل:

الأصل فى الايجار أنه يمتد لمدة سنة، ثم أصبح هناك تعارف على أن عقد الإيجار فى العقارات يبرم لمدة ثلاث سنوات، ولكن نتيجة لظهور مشكلة عمارة الأوقاف وخشية ماينتج عن عجز الأوقاف عن القيام بعمارة موقوفاتها، أجاز الفقهاء الايجار الطويل فى عقارات الوقف لأكثر من ثلاث سنوات للوفاء بعمارة العين الموقوفة،وفى هذه الحالة فإن المستأجر يستأجر العين الموقوفة التى فى احتياج للعمارة والترميم ويقوم بإجراء اللازم، ويتم حساب ماصرفه المستأجر بمراقبة الناظر واطلاع القاضى، إذ يشترط موافقة القاضى على الايجار الطويل، وأحيانا شهادة بعض(المهندسين)على حالة المكان، وعلى أن أجرته هى أجرة المثل، ويتم خصم قيمة ماصرفه المستأجر على العمارة من قيمة الايجار الطويل، وبحصص شهرية أو سنوية من الايجار، واختلفت مدد الايجار الطويل من حالة لأخرى على حسب العين الموقوفة، وماتحتاج إليه من عمارة، فهى أحيانا تسع سنوات فى بعض المساكن والحوانيت، وأحيانا أخرى٢٧ عاما، بل ووصلت مدة الايجار الطويل إلى ٩٠عاما، وحتى بالنسبة لوقف كبير مثل وقف مصطفى باشا عبدالرحمن، حيث نص الواقف على عدم تأجير عقارات وقفه أكثر من سنة، فإننا نشاهد بعد ذلك بفترة، وعلى هامش نفس الحجة، ايجارا طويلا بدعوى خراب وتهدم العقار.

٦ - تداخل عقود الإيجار:

تداخل عقود الايجار أسلوب آخر لجأت إليه الأوقاف لمعالجة أمر عمارة الأوقاف وإن كان عامل المصلحة الشخصية قد تغلب على مصلحة الوقف، فقد تم التعارف على أن عقد الايجار لمدة ثلاث سنوات، ثم بعد ذلك يتم اعادة تأجير العين الموقوفة من جديد مرة أخرى، وهنا لجأ البعض إلى الايجار عن طريق تداخل العقود، بأن يكون الايجار لمدة عشرة عقود ايجار دفعة واحدة مدة كل عقد ثلاث سنوات، وبذلك يكون الايجار لمدة ثلاثين عاما، ويكون المستأجر بذلك قد تهرب من مراقبة القاضى على الايجار الطويل من ناحية واحترام

ماتعارف عليه بأن عقد الإيجار لمدة ثلاث سنوات، وحقق الناظر مصلحة شخصية له غير مثبتة فى العقد بطبيعة الحال، أو لتشجيع المستأجر على عمارة العين الموقوفة، وتمادى البعض فى ذلك حيث أصبح الايجار أحيانا لمدة ١٥عقدا أى لمدة ٤٥سنة وأحيانا عشرين عقدا أى لمدة ٦٠سنة، أو لمدة ثلاثين عقدا أى ٩٠سنة، وأدى الايجار الطويل الأمد إلى حدوث تجاوزات خطيرة، فعلى سبيل المثال، أوقفت إحدى السيدات بيتين فى المنصورة وفى نفس السنة التى تم الوقف فيها، أجرت المنزلين لمدة ثلاثين عقدا، أى لمدة تسعين سنة بملبغ مرتفع، ودون ذكر لحاجة الوقف لعمارة أو لغيره. وفى وثيقة أخرى كانت العمارة سببا لتأجير مسكن لمدة عشرة عقود، أى لمدة ٣٠سنة، يلغ مجموع ماصرفه المستأجر قدراأكبر مما يستقطعه المستأجر من ايجار المسكن سنويا طيلة مدة الايجار وبذلك تمتد مدة الايجار اكثر من المدة المنصوص عليها ولقد انتشرت مسألة الايجار بتداخل وجمع العقود حتى فى الأوقاف الكبرى مثل وقف خاير بك، وأوقاف الحرمين الشريفين وأوقاف الدشايش الكبرى، والأوقاف المسيحية.

والأمر الجدير بالملاحظة كثرة الأمراء والمتنفذين المستأجرين عن طريق تداخل العقود، والخشية من استيلائهم على عقارات الأوقاف بهذا الشكل، بحكم وضع اليد على مر الزمن، من هنا كان اصرار الواقفين- ومنذ مطلع العصر العثمانى- على النص فى حجج أوقافهم على أن يكون الايجار بعقد واحد، والنهي عن تداخل العقود فى الايجار.

٧ - عقود الايجار قصيرة الأجل وأثرها على الوقف:

من الممكن ادراك مدى الاجحاف الذى يصيب مالية الوقف من جراء الايجار الطويل أو التداخل والجمع فى عقود الايجار، من دراسة عقود الايجار قصيرة الأجل والتى هى فى معظمها لمدة ثلاث سنوات فقط وعند انتهائها يتم التأجير من جديد بعقد آخر وربما لمستأجر جديد، وبقيمة ايجارية أخرى، تزيد فى الغالب على الايجار السابق، سواء فى ايجارات المساكن أو الحوانيت، ولقد بلغت نسبة الزيادة فى الايجار الجديد فى بعض حالات الايجار القصير ٢٥٪، وأيحانا الثلث أى مايزيد على ٣٣,٣٪، بل ووصلت فى بعض العقود إلى ٥٠٪ من قيمة الايجار السابق، والأكثر من ذلك عقد ايجار لمدة سنة واحدة فقط بلغت قيمة الزيادة فيه ٥٠٪ على الايجار السابق، ويظهر ذلك بصورة جلية فى حالات تغير المستأجر بتغير العقد، وفى بعض العقود كان يقيل مبلف كبير-معجل أى مقدم- من قيمة الإيجار لصالح الوقف، وحتى فى الحالات التى تحتاج فيها العين الموقوفة لعمارة وترميم، ويقوم المستأجر بأداء ذلك، ويتكلف مبالغ كبيرة، فنتيجة لكونه مستأجرا بعقد قصير، فإن الناظر له أن يزيد قيمة ايجار العين الموقوفة لتصبح أجرتها بعد الاصلاحات والتجديدات التى أجريت لها أجرة المثل وتزاد قيمة الإيجار بنسبة ٥٠٪، على أن يستقطع المستأجر من الإيجار حصة شهرية للوفاء بتكاليف العمارة، ثم بعد انتهاء مدة العقد، يتم تحرير عقد جديد وهكذا. مما يوضح لنا مدى مزايا العقود قصيرة الأجل بالنسبة للأوقاف، حتى فى حالات العمارة الضرورية والباهظة التكاليف،

لأن الايجار الطويل أو الايجار بتداخل العقود تكون القيمة الايجارية فيه ثابتة على مرالزمان، مع تغير قيم النقد وارتفاع الأسعار والتطور من جراء الزمان فضلا عن مخاطر وضع اليد على العقارات بمرور الزمن، كل ذلك يوضح لنا سلبيات الايجار الطويل وتداخل العقود.

٨ - الحكر:

الحكر هو عقد ايجار يقصد به استبقاء الأرض الموقوفة تحت يد المحتكر- المستأجر- مع الإذن له من ناظر الوقف او المتولي بالبناء على هذه الأرضى أو زراعتها إذا كانت أطيانا زراعية، فهو يختلف عن الايجار العادى في الاذن بالبناء والزراعة، ويصبح من حق المحتكر بيع أووقف مابناه من عقار، ويكون البيع أو الوقف هنا منصبا على البناء وليس على الأرض التى هى جارية فى وقف آخر.

وللحكر أضرار خطيرة على الوقف، هى نفس أضرار الايجار الطويل وتداخل العقود، اذ أن تحكير الأراضى يكون لمدة قد تصل إلى تسعين عاما، فضلا عن انخفاض القيمة الايجارية لكونها أرضا تحتاج لبناء، وأيضا يثبت الحكر مدى عجز الوقف عن الاستفادة بأراضيه العقارية فى البناء فوقف كبير مثل وقف سليمان باشا يقوم بتأجير أراض لابراهيم أغا مستحفظان، الذى يشيد عليها بناء، فضلا عن حالات أخرى مشابهة، وقد استغل المتنفذون الحكر للاستيلاء على أوقاف العصر المملوكى السابق، الذى أصاب بعضها الاهمال والخراب، فاسكندر باشا يضم إلى وقفه بعض الحوانيت الجارية فى وقف الخانقاه الصلاحية التى أعدها صلاح الدين الأيوبى للصوفية، تحت ستار أن الحوانيت متهدمة وبالتالى يستأجر هو الأرض ويجدد الحوانيت ويتم ضمها إلى وقفه، وكذلك اسماعيل أغا الذى يستأجر أجزاء من وقف تغرى برمش تحت دعوى أنها الذى يستأجر أجزاء من وقف تغرى برمش تحت دعوى أنها«خربة مستهدمة مسلوبة المنفعة»، ليقوم بالبناء عليها، إلى جانب حدوث احكار فى وقف كزل الناصرى، ووقف الزاهد ، ووصل الأمر فى بعض الحالات أن أدى الاهمال إلى خراب وتهدم الموقوفات، فيتم بيع انقاضها وتحكير أراضيها، وهو أمر يكاد يشبه بيع العقارات المحظور فى الأوقاف، حتى أصبح الحكر فى الاوقاف من الأمور المكروهة، ووضع تحت اشراف القضاة وقيل عنه انه«خير من العدم».

٩ - ايجار أدوات الانتاج وأماكن الخدمات:

تتشابه أدوات الانتاج الموقوفة من مضارب للأرز وأنوال الحياكة والنسيج والطواحين وأماكن الخدمات، فى أنها كانت خاضعة للايجار، فلم نصادف وقفا واحدا يستغل ذلك مباشرة، بل أن الوسيلة المثلى ان لم تكن الوحيدة كانت الايجار للغير وتختلف مدد الايجار هنا اختلافا واضحا، فليست هناك قاعدة معينة، فالأمر يتوقف على نوعية الموقوف واستغلاله، أما قيمة الايجار فعادة ماتسدد شهريا، إلا فى بعض حالات المقاهى حيث كانت قيمة الايجار تحسب على أساس يومى، وبالنسبة للطواحين أوالحمامات العامة التى كانت توضع فيها الآلات المستخدمة فى اداراتها، فعادة ماكانت تؤجر مع جملة المكان، أو يؤجر المكان على حدة، ويتم تأجير أدواته من ناحية أخرى. وبديهى أن أدوات الانتاج كانت فى احتياج إلى نفقات صيانة دورية وإلا أصابها العطل وإذا لم يتول

الواقف صيانة ذلك مباشرة فإن الناظر كان يتفق مع المستأجر على استقطاع حصة من الايجار، ليقوم المستأجر بالصيانة الدورية لهذه الآلات.

١٠ - التجاوزات فى نظام ايجار عقارات الأوقاف:

من أهم الظواهر التى نجدها فى بعض عقارات الأوقاف، توزع العقار الواحد بين أكثر من من وقف، أو حتى بين أوقاف وملاك، وهى ظاهرة أكثر حدوثا فى الأوقاف المسيحية لاسيما فى الأوقاف القبطية،حيث يقف الواقف أجزاء من عقار على عدة أوقاف لكنائس وأديرة، من أجل دعمها، فهناك مكان موزع بين ثلاثة اوقاف، بل وعقار آخر موزع بين ستة اوقاف، وآخر موزع بين وقف ومالك، مما يؤثر على القيمة الايجارية له، ولذلك عندما يتم التأجير يتم التصادق والتوكيل لوقف واحد على ايجاره، مع توزيع قيمة الايجار بحسب نصيب كل وقف أومالك فى حصته فى العقار، والأشد وبالا من ذلك أن توزيع العقار الواحد بين أوقاف مختلفة وملاك، يؤدى إلى الاهمال فى صيانته وعمارته اهمالا شديدا، نظرا لتوزع المسئولية، وأدى الأمر فى ذلك إلى أن بلغت نسبة المستقطع من الايجار السنوى من جانب المستاجر لعمارة العقار ٥٠٪ من قيمة الايجار مما يوضح لنا أثر التجزئة والتوزع فى العقار الواحد على قيمة الايجار والحالة المعمارية له.

الظاهرة الثانية فى سلسلة التجاوزات فى ايجار الموقوفات، ارتفاع قيمة ما يأذن به الناظر لمستأجر عقارات الوقف فى صرفه على عمارة العقار، بحيث يكون المصروف على العمارة كل شهر ٢٠٪ من قيمة الايجار، تصرف طوال مدة الاجارة.، وهى نسبة تفتح مجال الشك فى حدوث تواطؤ بين الناظر والمستأجر، أوحالات أخرى يتلاعب فيها النظار بالمبالغ المخصص لعمارة عقارات الأوقاف.

وهناك حالات أخرى يظهر فيها حدوث رشوة بين الناظر والمستأجر، فرجل ناظر على وقف والدته يؤجر لآخر«وكالة وستة أروقة علو ذلك.. وخمسة حوانيت وحاصل.. وربع مطل على النيل.. وقصر صغير واصطبل» كل ذلك مقابل ٢٠٠ نصف فضة شهريا، ويتضح لنا ضآلة قيمة الايجار إذا أخذنا فى الاعتبار وقوع هذه الأعيان المؤجرة فى أهم المناطق التجارية فى القاهرة، وهى منطقة بولاق، ويتضح لنا مدى التلاعب من النص الوارد فى الوثيقة «أن المستأجر المذكور يستحق فى ذمة المؤجر المذكور- الناظر-من الذهب السلطانى الجديد عشرة دنانير وأن ذلك قرض اقترضه منه.. ورضى الحاج شعبان المستأجر المذكور أن لايطالب الناصرى محمد المؤجر المشار إليه- الناظر- بمبلغ القرض المذكور، ولابشىء منه مادام واضعا يده على العين المؤجرة»، مما يوضح غلبة المصلحة الشخصية على مصلحة الوقف.

الظاهرة الأخرى حدوث عمليات ايجار من الباطن لأعيان الوقف، فبعد أن يؤجر الوقف عقارا أو حانوتا أو غيره لشخص ما، يقوم هذا الشخص بإيجار ذلك من جديد لشخص آخر، ومما شجع على ذلك حدوث عمليات ايجار على نطاق واسع فى موقوفات بعض الأوقاف لحساب شخص واحد، فإن واحدا يستأجر من وقف واحد العديد من المساكن والحوانيت دفعة واحدة، لابد أنه لن يستأجر ذلك للاستعمال الشخصى بل لاعادة تأجيره من جديد، ومن هنا نشهد اعادة تأجير حوانيت الأوقاف فى بولاق من جديد، واعادة

تأجير أراضى بناء فى المنصورة، واعادة تأجير المساكن فى القاهرة. وبطبيعة الحال فليس من المستاغ قبول أن يكون الايجار من الباطن بنفس قيمة الايجار السابق كما تزعم بعض الوثائق، بل ظهرت حالات يستأجر فيها شخص من وقف ما ثم يعيد تأجير ذلك إلى شخص آخر، وينص المستأجر الأول على أن يدفع المستأجر الثانى قيمة الايجار إلى الوقف، وكأنه وسيط بين الطرفين، والأغلب فى هذه الحالات أنه يتقاضى عمولة أوهامش ربح غير مذكور فى هذه العقود، ومع ذلك فلقد وجدنا حالة نادرة ذكر فيها أن قيمة ايجار المسكن الذى اتم استئجاره من الوقف تبلغ ثمانية أنصاف فضة شهريا، ثم يقوم المستأجر بتأجيرها مرة أخرى بعشرة أنصاف فضة شهريا، أى بزيادة ٢٥٪ عن قيمة الايجار الأصلى من الوقف، مما يعطينا انطباعا عن مدى الخسارة المادية العائدة على الوقف، والتلاعب فى قيم الايجار، والتجارة فى عقارات الأوقاف، ويبدو أن الذى شجع على ظهور الايجار من الباطن، أن عقود الايجار فى الأوقاف قد نصت على السماح بذلك «لينتفع المستأجر المذكور بذلك سكنا واسكانا واجارة وكيف شاء الانتفاع الشرعى على الوجه الشرعى».

والجدير بالذكر هنا أن كثرة التجاوزات التى تحدث فى اجارة الأوقاف، وتواطؤ القضاة فى ذلك، قد استلفت نظر قاضى القضاة الذى اصدر أوامره ألا ينظر أى قاض من قضاة القاهرة فى ايجارات الأوقاف بصفة عامة، وتخصيص قاضى محكمة الباب العالى فقط للنظر فى أمور ايجارات الأوقاف، وعزل وعقاب أى قاض ينظر فى أمور ايجارات الأوقاف لاحكام الرقابة وللحد والحيلولة دون وقوع تجاوزات جديدة فى الايجارات، ولكن هذه القرارات كانت سرعان ماتتلاشى بتغير القضاة، لتعود الأمور سريعا إلى ماكانت عليه.

١١ - الخلو فى الموقوفات:

الخلو هو اسم لأمر معنوى يملكه دافع النقود من المنفعة فى العقار أوالحانوت الذى دفع فيه المستأجر هذه النقود للوقف، بحيث يصبح للمستأجر حق القرار فى العين الموقوفة طالما يدفع أجرة المثل، وربما بأقل من أجرة المثل طالما لم يوجد من يستأجره بالايجار المقبول حتى أفتى البعض بأنه لايحق للوقف اخراج صاحب منفعة الخلو فى العين الموقوفة طالما يدفع الايجار، ويجوز للمستأجر صاحب منفعة الخلو أن يبيع هذا الحق لمستأجر آخر، مقابل مبلغ من المال كما أجاز البعض مع الخلاف فى ذلك وقف منفعة الخلو فى الأعيان الموقوفة والأصل فى أمر الخلو أن نشأته تعود كذلك لمعضلة عمارة الأوقاف، فنتيجة حاجة بعض حوانيت الأوقاف وماشابهها- حيث كان منشأ الخلو فى الأصل فى الحوانيت- إلى مبالغ باهظة لاجراء عمليات التجديد والترميم، وعجز الأوقاف احيانا أو الاهمال فى تدبير ذلك الأمر، فقد تم السماح للمستأجر أن يقوم بتلك العمارة، تحت رقابة «شاهدى المرمات» وهم موظفو الوقف المختصون بالاشراف على أعمال الترميم، ويصبح ماصرفه المستأجر على العمارة منفعة خلو له بحيث لايجوز للوقف اخراجه من الحانوت، كما أن الوقف لايستطيع سداد مبلغ الخلو للمستأجر، لأن المستأجر يكتسب حق بيع الخلو بالمبلغ الذى يرتضيه، كما يجوز له وقف هذه المنفعة، وبالتالى يصبح الحانوت وقفا، وكذلك الحال بالنسبة لمنفعة

الخلو فى نفس الحانوت، ولم ينته أمر الخلو عند حوانيت الأوقاف فحسب، بل انسحب كذلك على غيرها من أنواع الموقوفات العقارية.

ويرجع البعض نشأة نظام الخلو إلى السلطان الغورى، الذى أسكن التجار فى حوانيته بالغورية باخلو، وأثبت ذلك فى أوقافه، فكانت بدعة سار عليها الناس من بعده، والحق أن أمر الخلو مثل أى أمر مستجد قد أثار ضجة وخلافا شديدا بين فقهاء المذاهب الاسلامية منذ مطلع العصر العثمانى، حيث وجد الفقهاء أن الاقدمين لم يتعرضوا لمسألة الخلو لعدم حدوثها من قبل، وبالتالى كان عليهم الاجتهاد فى هذا الأمر، ولما كان هذا الأمر الاقتصادى مستحدثا واستفادت منه بعض الفئات المميزة، كان على الفقهاء البحث عن تكييف فقهى لهذه الأوضاع، ولذلك أفتى بعض فقهاء الحنفية بجواز ذلك نتيجة التوسع فى الاستناد إلى فتاوى سابقة فى أمور مشابهة، ورد على ذلك بعض الحنفية بعدم قبول هذا التخريجات، وقبل البعض ذلك على اعتبار العرف الخاص وماتعارف عليه الناس، ولكن أفتى معظم فقهاء المالكية بجواز الخلو بيعا وشراء ووقفا، وعلى ذلك تم التوسع فى تسجيل حجج الخلو أمام القاضى المالكى فى المحاكم الشرعية ومع ذلك فإن الضجة والخلاف حول أمر الخلو لم تهدأ، حتى أن قاضي مصر قد طلب من فقهاء المالكية الفتوى فى أمر الخلو الذى شاع اجازة المالكية له، وحتى هنا فقد ظهر الخلاف بين فقهاء المالكية فى أمور الخلو، ولكن كقاعدة عامة تم اجازة أمر الخلو، بيعه وشرائه وتوريثه، وحق صاحب منفعة الخلو فى وقف هذه المنفعة على اعتبار أن هذا ماتعارف عليه الناس ووارتكابا لأخف الضررين» وحتى الشرنبلالى الذى كان يعارض فى أمر الخلو، اعترف أن حديثه لامعنى له«حيث أنه من المقرر أن الفساد قد استحكم فلا رفع له غير أننا أردنا اظهار حكم المذهب لمن تصدر»، مما يعطينا فكرة عن أسبقية الاقتصاد على الفقه، ومدى تكييف الفقه ليلائم الواقع الجديد وليتفق مع أصحاب المصالح الذى سيأتى التعرض لهم، على أية حال تم اجازة أمر الخلو طالما أنه يحقق منفعة للوقف سواء فى صورة عمارة أو مال يقدم للوقف، بحيث يستغل هذا المال فى صالح الوقف، والممارسة الفعلية تؤكد دور الخلو للمستأجر على القيمة الايجارية وتؤدى إلى انخفاضها، وهو أمر وارد، ألا أننا وجدنا ايجار مسكن فى وقف كانت أجرته ١٠ أنصاف فضة شهريا، ومع أن المستأجر له حق الخلو إلا أن الايجار يرتفع إلى ١٢ نصف فضة بزيادة ٢٠ ٪ على قيمة الايجار السابق، إلا أن الأمر الأكثر حدوثا هو تأثير الخلو فى انخفاض القيمة الايجارية للعين الموقوفة، ومايتبع ذلك من نقص فى مالية الوقف، وانعكاس ذلك على الدور الاجتماعى الذى تلعبه الأوقاف، فضلا عن تواطؤ الناظر مع المستأجر فى أمر الخلو وتغليب المصلحة الشخصية على حساب الوقف.

والأمر الذى يسترعى الانتباه دخول الخلو ميدان النزاعات الطائفية بين المسلمين والمسيحين، فمع اكتساب الخلو الحق فى الوقف، رأى العلامة الشرنبلالى أنه«قد حصل بذلك الخلل العظيم، حيث أفتى بعض مالكية زماننا بصحة وقفه- الخلو- فصارت أوقاف المسلمين والأمراء والسلاطين الجارية على المساجد والمساكين مصروفة عنها للقسيسين والرهبان وديور الكافرين عليهم

لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فإن غالب الحوانيت التى بأيدى النصارى المخذولين قد تملكوا خلوها،وجعلوه وقفا على كنايسهم بطريقة لايخفى فسادها بالرشا»، وبالطبع فليس هناك مايمنع دخول المسيحيين ميدان شراء حق الخلو- أوحتى وقفه، ولكن هذه الدعاوى تظهر فى أوقات النزاعات الطائفية.

والظاهرة التى تسترعى الانتباه أيضا نزول الخلو ميدان التجارة، شجع على ذلك اكتساب الخلو جميع حقوق الملك، من بيع وشراء وورائة ووقف، وقد تم تغطية التجارة فى الخلو باحلال لفظ «تبرع»محل«اشترى»، مثال على ذلك «تبرع الشيخ عبدالمنعم بن يوسف بن بركات الحريرى للشيخ شحادة الفيومى التاجر بسوق الشرب بمبلغ ٢٨٠ نصف فضة فى نظير اسقاط حق له من الخلو والسكنى فى البيت الكاين بالربع علو خان الزهار» ولكن هذا الرجل سرعان مايبيع هذا الحق فى منفعة الخلو فى نفس العام بمبلغ ٣٠٤نصف فضة، أى بزيادة ٢٤نصف فضة، أى بزيادة ١١,٧٪ تقريبا،وفى وقف آخر تم شراء منفعة الخلو والسكنى فى قاعتين مقابل مبلغ ١٥ألف نصف فضة، وفى ذات العام يبيع صاحب منفعة الخلو ذلك مقابل ١٨ألف نصف فضة، بزيادة قدرها ثلاثة آلاف نصف فضة، أى بزيادة ٢٠٪ تقريبا، ويتضح عدم استفادة الوقف من أمر الخلو، أن احدى النساء وهى وصية على ابن أخيها القاصر، أرادت استثمار مال القاصر، فاشترت له حق الخلو من مستأجر لحانوت ورواق جار فى وقف مقابل مبلغ ٥٩دينارا ذهبا، ثم سمحت الوصية لهذا الرجل- المستأجر الأصلى- بالبقاء والسكنى فى الحانوت والرواق فى مقابل أن يدفع نصف فضة يوميا إلى الصبى القاصر، أى ٣٠نصف فضة شهريا، خارج ذلك عما يدفعه المستأجر أصلا من ايجار لجهة الوقف، وهذا المثال يوضح لنا الاستثمار فى مجال الخلو، وأن أجرة الوقف أقل من أجرة المثل بدليل أن المستأجر رضى بدفع ٣٠نصف فضة شهريا للوصية زيادة عن قيمة الايجار التى تسدد للوقف مما يؤكد أن الخلو قد خرج عن الأصل الذى نشأ منه وهو الرغبة فى منفعة الوقف وأخذ اشكالا وأساليب أخرى طالما دخل ميدان المعاملات الاقتصادية.

والجدير بالذكر أن أمر الخلو لم يكن قصرا على القاهرة، بل انتشر كذلك فى الأقاليم، فضلا عن دخول معظم الفئات الاجتماعية ميدان التجارة فى الخلو، طالما تجمع تحت يدها المال، مثل الأمراء، والتجار، وحتى القضاة، حيث نجد قاضيا يشترى حق الخلو فى حانوت، كما تواجدت النساء فى هذا المضمار أيضا«فالمصونة رحمة المرأة بنت المرحوم أحمد الشوربجى بمصر المحروسة تشترى خلو حانوت»، وبالرغم من الخلاف الفقهى حول الخلو، فإننا وجدنا اسقاط حق خلو لصالح مسجد، أى أن مسجدا يشترى له خلوات، والأكثر أهمية دخول الأجانب هذا الميدان «فالمعلم باولو بن داميان بن اسطلس الفرنجى ترجمان قنصل البنادقة» يشترى خلو مساكن أوقاف، والجدير بالملاحظة هنا أيضاً أن الأوقاف الكبيرة ذات الريع الهائل أصبحت حوانيتها تدخل ميدان الخلو، فوجدنا عمليات بيع خلوات حوانيت أوقاف الحرمين، وأوقاف البيمارستان، ووقف خاير بك». وكذلك الحال بالنسبةللأوقاف المسيحية.

ويوضح لنا مدى الارتباط بين المذاهب الفقهية والحالة الاقتصادية، أن معظم أمور الخلو كانت تسجل أمام الحاكم المالكى، حيث أن المذهب المالكى قد أجاز أمر الخلو بصفة عامة، كما نظم شئونه، وبالتالى فإن من صالح أصحاب الخلو تسجيل الخلو أمام الحاكم المالكى، للرجوع إليه مرة ثانية إذا اقتضى الأمر فى حالة حدوث منازعات بين الأطراف فضلا عما عرف عن الخلو أنه من الأمور الخلافية بين الفقهاء والأمور الخلاقية إذا حكم فيها قاض على حكم مذهبه وأجازها، يرفع عنها الخلاف وبذلك يكتسب الخلو شرعية وجوده.

٢ ١- الاستبدال:

الاستبدال أن تبدل العين الموقوفة بعقار آخر، أوبمبلغ من المال، ويضم العقار الجديد، أومبلغ المال إلى جملة الموقوفات، مع خروج العين الموقوفة من دائرة الوقف لصالح الطرف الآخر، وهو أسلوب آخر من أساليب الانتفاع الاقتصادى بالموقوفات ترجع نشأته إلى محاولة الأوقاف التوفيق بين مسألة الحفاظ على الحالة المعمارية للموقوفات ومدى الاحباط فى ذلك، والصفة اللاصقة فى الاوقاف وهى تأبيد الموقوفات، أى الرغبة فى استمرار العين الموقوفة إلى الأبد، فمع الاهمال فى أمور عمارة الموقوفات فضلا عن أثر عامل الزمان على الأعيان الموقوفة، وانتهاء حالة بعض الموقوفات إلى وضع وصفت معه بأنها«خربة مسلوبة المنفعة»، كان الاستبدال محاولة فقهية للتغلب على معضلة عدم بيع الأوقاف، ومحاولة الحفاظ على مصادر الريع الخاصة بالأوقاف للقيام بدورها الاجتماعى، ولكن مع مرور الزمن والتفات المتنفذين والطامعين فى الأوقاف إلى أهمية الاستبدال كسبيل شرعى للانقضاض على الأوقاف، ظهرت الفتاوى التى تجيز الاستبدال لمصلحة الوقف كمبدأ على العموم، وليس كأمر مرتبط بالوهن الذى يصيب عمارة الموقوفات، وبالتالى أصبح من اليسير استبدال أى عقار، فضلا عن الأراضى الزراعية للأوقاف مقابل عقار أو أطيان أو حتي مقابل مبلغ من المال، طالما شهد شهود بأن ذلك يحقق منفعة للوقف، ومن هنا أصبح الاستبدال أوسع الأبواب التى فتحت باسم الفقه لاغتصاب الأوقاف، وسريان الفساد فى عصب الأوقاف، فى أمر فى أهم أمور الأوقاف، وهو مصادر الريع والتى على أساسها يتحدد الدور الاجتماعى الذى تلعبه الأوقاف.

والاستبدال كمبدأ أمر سابق على العصر العثمانى، أنفق الفقهاء فى بحثه الجهد الكبير واتسع فى مباحثه الخلاف بين جوازه وعدمه، حتى أصبح الاستبدال أيضا من الأمور الخلافية بين الفقهاء، والتى بحكم الحاكم الشرعى- القاضى الحنفى- باجازته يرفع الخلاف فى أمره،ومن هنا كان انتشار الفساد فى أمور الاستبدال من قبل العصر العثمانى حتى شاع عن العصر المملوكى أن القاضى عبدالبر بن محمد المعروف بابن الشحنة كان يتقرب إلى السلطان الغورى باجازته لاستبدال أى عقار من عقارات الأوقاف يروق للغورى امتلاكه، ويصيرها أملاكا له، حتى قيل فيه- مابين الطرافة والحقيقة- أنه كان على استعداد أن يستبدل الجامع الأزهر ذاته!! على أساس أنه مجهول الوقف، لم تثبت وقفيته لنا إلى هذا الوقت وهو ملك من أملاك بيت المال.

من هنا ومن هذا المنطلق نستطيع أن نفهم شرط خاير بك أمير الأمراء فى مطلع العصر العثمانى أن«لايستبدل وقفه هذا ولاشى منه ولو خرب ودثر، ولو كان البدل أكثر ريعا من المستبدل،وأكثر قيمة وتناولا ، ومن سعى فى استبدال شى منها أوأعان على ذلك أواعذر فيه من ناظر أومستحق، فإن كان ناظرا كان معزولا من النظر وأن كان مستحقا كان ممنوعا من الاستحقاق، ولايعود إليه نظرا ولااستحقاقا مع استمرار معظم هذه الشروط فى حجج الأوقاف التالية فى محاولة للحيلولة دون وقوع عمليات اغتصاب للأوقاف تحت ستار الاستبدال، ولهذا حاول قانون نامة مصر أن يضع حدا للاستبدال حتى أنه وصف الاستبدال بأنه بيع للأوقاف، وأن الأوقاف تباع تحت ستار أنها خربة مسلوبة المنفعة، وأدرك القانون تأثير ذلك على الحالة الاقتصادية للأوقاف وانعكاساته على الدور الاجتماعى ومن هنا كان نص قانون نامة مصر على منع الاستبدال، وكانت حجته فى ذلك أن الاهتمام بعمارة وصيانة الموقوفات يساعد على الحفاظ على حالتها المعمارية، وبالتالى يسقط من نفسه الشرط الرئيسى للاستبدال، وهو خراب الموقوفات، والرغبة فى الاستفادة بالقدر المتبقى.

ومع هذا فإن هذا النص- مثل معظم بنود القانون- سرعان ماأصابه البرود ثم الجمود والتلاشى إذا سرعان مارأينا اثبات شرط الاستبدال فى حجج الأوقاف،وتزايد عمليات الاستبدال امام القضاة، ولعل ذلك يعود إلى العديد من العوامل، فمن ناحية فإن الخراب قد أصاب الكثير من الموقوفات فى الفترة الانتقالية من اضطراب أوضاع الحكم المملوكي وبدايات العهد العثمانى حتى صدور قانون نامة مصر، فضلا عن أن الاستبدال كان الوسيلة المثلى للمتنفذين- وهم أولى الأمر فى البلاد- للاستيلاء على الأوقاف وضمها إلى أملاكهم بل وربما اعادة وقفها لحسابهم الشخصى، أضف إلى ذلك تواطؤ القضاة فى أمور الاستبدال، وبذلك كان لابد من غض الطرف عما قرره قانون نامة مصر إلى جانب أمر هام آخر، وهو الانتشار الواسع للموقوفات على مسطح الثروة الاقتصادية للبلاد والقيود المفروضة على هذه الموقوفات من ناحية عدم البيع، وكان الاستبدال بحق- بغض الطرف عن مساوئه- بمثابة المفتاح لهذا القيد لجواز دوران الأوقاف فى عجلة الحركة الاقتصادية للبلاد.

ولقد وضعت حول الاستبدال شروط كثيرة للحد من التوسع فيه، فلقد شرط معظم الواقفين الاستبدال لأنفسهم يفعلون ذلك فى موقوفاتهم المرة تلو المرة، مع عدم جواز ذلك لأى ناظر من بعدهم وأن استبدل الناظر من بعدهم شيئا يصبح معزولا قبل تاريخ استبداله بفترة من الزمن، وبالتالى تسقط عنه التصرفات القانونية على الوقف، ويبطل ماقام به من استبدال، ومع أن شرط الواقف لنفسه الاستبدال يطلق يد الواقف على أوقافه فى حرية اقتصادية تكاد تكون كاملة، إلا أن الفقهاء أجازوا ذلك على أساس أنه ليس هناك من شخص أحرص على نفع الوقف من الواقف ذاته، ومع ذلك فإن شرط الواقف بعدم الواقف بعدم جواز اجراء استبدال من بعده، قد تم التغاضى عنه تحت ستار منفعة الوقف، حيث أجاز البعض مع الخلاف فى ذلك الاستبدال حتى فى

الأوقاف التى شرط فيها الواقف عدم الاستبدال، فى حالة خراب العين الموقوفة أوفى حالة منفعة تعود على الواقف بأن تكون العين الثانية أكثر فائدة للوقف من العين الأولى، وهو أمر يحتاج لنظر إذ كيف يضحي صاحب العين الثانية،أو صاحب المال، من أجل عين خربة، لايعود عليه منها فائدة، على أية حال فهى أمور تقديرية ترك أمرها للقاضى، حيث أن القاضى وحده هو الذى يصدر الأمر بالاستبدال، وليس من حق ناظر الوقف الاستبدال، طالما لم يشرط الواقف له هذا التصرف.

والمعتاد فى أمور الاستبدال، أن ناظر الوقف الذى يريد استبدال شىء من الموقوفات يرفع إلى القاضى«قصة» أى عرضحال يصور فيها الحالة السيئة التى وصلت إليها العين الموقوفة والمنفعة التى تعود على الوقف من جراء الاستبدال وفى حالة خراب العين الموقوفة، فإن القاضى كان يرسل من طرفه من يعاين العين الموقوفة، ويقدم إليه تقريرا عن حالتها المعمارية وهل تحتاج لعمارة ضرورية، وهل ريع الوقف لايستطيع الوفاء بذلك، وفى العادة فإن هذه المهمة أوكلت إلى «كشاف الأوقاف» وهو أحد القضاة الذى يأتمر بأمر قاضى القضاة ويرفع كشاف الأوقاف تقريرا شافيا إلى القاضى، وهو مايسمى «بحجة الكشف» وتختم بختم كشاف الأوقاف، وعند ثبوت مبررات الاستبدال الشرعية لدى القاضى وهى«معرفة المكان» و«حاجته إلى عمارة ومرمة لايقدر عليها ريعه»، و«الأنفع والأصلح استبداله»، فإن القاضى يسمح باستبداله بعقار آخر أو بمبلغ من المال، وكان القاضى يتحرى عن أن العين الثانية أو المبلغ المستبدل به أنفع للوقف، فكان يأتى إليه بعض المهندسين ليشهدوا بأنه قد تم النداء فى صورة أقرب إلى المزاد على العين المراد استبدالها، وفى الغالب فإن الاستبدال كان يقع على من يراد له الاستبدال أصلا، رغم وجود هذه المظاهر الشكلية فى حرية طرح العين المراد استبدالها أما الجمهور، وبعد اتمام الاستبدال نخرج العين الأولى من دائرة الوقف وربما تدخل دائرة الملك، ويدخل إلى دائرة الوقف العين الثانية أوالمبلغ الذى تم به الاستبدال، وفى بعض الأحيان تتم عملية الاستبدال بين وقفين، فتخرج العين الأولى إلى وقف آخر، وتدخل العين الثانية إلى وقف أيضا، والأمر الذى يسترعى الانتباه فى مثل هذا الأمر النص على أن هذا الاستبدال فى مصلحة كلا الوقفين، وهو أمر تقديرى يفتح الباب للقيل والقال، ومن ناحية أخرى فإنه ينبغى ملاحظة أن عمل كشاف الأوقاف لم يكن ضروريا لاتمام أمور الاستبدال ففى بعض الأحيان كان يكتفى بشهادة بعض المهندسين- لدى القاضى- على حالة العقارات، وهؤلاء المهندسون ينتمون إلى الأعمال الحرة ولايخضعون لاشراف القاضى، مما يفتح الباب على مصراعيه امام الفساد.

وفى الحالات التى كان يستبدل بعقارات الأوقاف مبلغ من المال، فإنه كان يشترط أن يشترى بالمال المبدل عقار أوأطيان لصالح الوقف، وهو ماكان يحدث أحيانا، وأجاز البعض ضم المال إلى مالية الوقف دون استغلاله فى الشراء.

وبالنظر إلى أوضاع الملكية العقارية فى مصر آنذاك، نجد أن كثيرا من الاملاك يرجع فى الأصل إلى الاستبدال، مما يوضح فشل الوقف فى حل

مسالة عمارة الأوقاف، فعلى سبيل المثال وجدنا قصابا يؤول إليه بالاستبدال «مكان خرب متهدم» ،ولكنه يقوم بتعميره «من ماله وصلب حاله حتى صار مكانا لايقا للسكن والاسكان».

وحتى أدوات الانتاج فإن الاستبدال قد تسرب إليها، فقد تم استبدال معصرة جارية فى وقف المنصورة«لأنها خربة منذ ثمانى سنوات دون محاولة لاصلاحها، وتعميرها أو حتى تأجيرها، وفضلت ادارة الوقف استبدالها ليس حتى فى مقابل عقار أو شىء آخر بل مقابل مبلغ من المال.

كما وجدنا من النظار من يتلاعب بالاستبدال لمصلحته، فيسمح باستبدال حانوت جار فى وقف تحت ادارته، ثم يعود إلى شراء نفس الحانوت لنفسه مرة ثانية من المستبدل الأول، بل وبعد شرائه يقوم الناظر بوقف الحانوت على نفسه، وهو مثال صارخ لانعكاس الفساد على أمور الاستبدال وعلى ادارة الأوقاف ذاتها.

ظاهرة أخرى نلحظها وهى أن الكثير من الأملاك استبدلت ثم أعيد وقفها بعد ذلك.

وجدير بالذكر أن الاستبدال لم يكن مقصورا على الأوقاف الاسلامية، بل امتد إلى الأوقاف المسيحية أيضا وخضعت الأوقاف المسيحية لاشراف القضاة على أمور الاستبدال، فكان ينص على أن هذا الاستبدال«باذن حكمى» أى بأمرمن القاضى.

١٣ - أوضاع المستأجرين فى عقارات وأدوات الانتاج للأوقاف:

لم تقف العلاقة بين المستأجرين والوقف عند شئون الايجار والعمارة وغيرها من أساليب الانتفاع الاقتصادى، بل أن بعض الأوقاف ولاسيما أوقاف العلماء الصالحين استطاعت أن تحصل على مراسيم من الحكام بحماية موقوفاتها جميعا وعدم التعرض لها، يدخل فى ذلك الموقوفات العقارية وأدوات الانتاج من طواحين وغيره، وبطبيعة الحال فإن هذه الحماية لم تكن قصرا على الأبنية فحسب، بل على شاغليها من السكان، كما أن الأوقاف أدركت أهمية أن تكون عقاراتها فى أماكن آمنة وحيوية، يتضح ذلك من شرط سليمان باشا فى حجة وقف على«أن يشترى من فايض الريع رزقا وأماكن صالحة للأجرة والاستغلال فى محلات عامرة أهلة أمينة» ممايؤكد سعة أفق الوقف فى الربط بين العقار وشاغليه، لأن ذلك سيعود بالمنفعة على الوقف من حيث قيم الايجار والحفاظ على الأوقاف، والراحة النفسية، والمنفعة الاقتصادية لمستأجريه.

كما أضفت بعض الأوقاف على المستأجرين مزايا هامة، مثل وقف ابراهيم أغا مستحفظان الذى سمح بتوزيع حصص يومية من المياه مجانا من صهريج مياه للوقف على مستأجرى عقارات الوقف المجاورة للصهريج، ونستطيع أن ندرك مدى أهمية ذلك فى مدينة كان التزود فيها بالمياه مشكلة هامة،ثم أن ذلك يعد مزايا نقدية لصالح المستأجرين.

وهناك من المستأجرين من يتعدى على العقارات المؤجرة له ويبيع أخشابها على سبيل المثال، أو لايدفع ايجارها، وهنا كان الأمر يرفع إلى القاضى الذى يأمر بتغريم المستاجر قيمة ذلك، وعندما يعجز عن الوفاء بذلك، فإن القاضى يأمر بسجن المستأجر أو على حد تعبير العصر«يعتقل» لحين الوفاء بالمال المقدر.

على أية حال فإنه لم تكن هناك روابط وثيقة بين الأوقاف والمستأجرين فيما عدا التعاملات المالية فحسب، مع ندرة تواجد علاقات انسانية بين الوقف والمستأجرين.

١٤- الانتفاع التجارى بسفن الأوقاف:

توافرت لدى بعض الأوقاف سفن موقوفة على نقل الغلال من الوقف إلى الحجاز، ولقد رأى بعض الواقفين الاستفادة التجارية من هذه السفن أثناء نقل الغلال، ولاسيما أن الغلال المشحونة فى كثير من الأحيان كانت أقل من الحمولة الفعلية للسفن، ومن هنا نصت حجة وقف زوجة السلطان سليمان على وجوب استغلال السفينتين الموقوفتين على نقل غلال الوقف إلى مكة والمدينة، فبعد شحن السفن بغلال الوقف يتم السماح بشحن البضائع التجارية«من الغلات أو الأقمشة أو الآلات» لصالح الآخرين، ويتم حساب قيمة الشحن، وتضم المبالغ المتحصلة من هذا النشاط التجارى إلى جملة دخل الوقف، ولقد وضعت شروط عديدة لاحكام الرقابة على هذا النشاط، منها أن السفن لاتحمل أكثر من طاقاتها، ولاسيما فى حالات الريح العاصفة، فإن الحمولة لابد أن تهبط عن معدلها الطبيعى لتتوافق مع الحالة الطارئة حتى لاتتحطم السفن، وبطبيعة الحال فإن السفن كانت تحتاج لصيانة دورية وهو ماوصف هنا«بالترميم» «لئلا يلزم الخلل الكبير والخرج الكثير» ومن هنا كان الحرص على اجراء الصيانة الدورية من جانب الوقف للسفن، مع عدم وضع قيود مالية على حجم نفقات الصيانة الدورية، حتى لاتتسبب تلك القيود فى عرقلة أعمال الصيانة الضرورية، وأدرك الوقف أن السفن مهما بلغت درجة الاهتمام بأعمال الصيانة الدورية، فإنها بعد فترة وبفعل عامل الزمن تحتاج إلى عملية تجديد شاملة ومن هناكان الشرط على أن يتم تجديد السفينتين كما فى حالة الصيانة، حيت يتم الوفاء بالمبالغ الطائلة التى تتطلبها تلك العمارة.

أساليب الانتفاع الاقتصادى بالأطيان الزراعية للأوقاف:

اتسعت المساحة العامة لأراضى الأوقاف الزراعية فى العصر العثمانى، نتيجة الأراضى الزراعية الموقوفة فى العصور السابقة، إلى جانب مااستجد من وقف الأراضى فى العصر العثمانى. والأمر الجدير بالملاحظة حرص الأوقاف الكبرى على تنوع أراضيها الزراعية، مابين حدائق وبساتين وكروم إلى أطيان الغلال والمحاصيل وأيضا الحرص على توزع أراضيها الزراعية فى الوجهين البحرى والقبلى،ولعل ذلك يرجع إلى الرغبة فى التنوع والاختلاف لاتقاء ظروف النيل والرى أو للظروف التاريخية المختلفة والأراضى الزراعية المتاحة عند نشأة كل وقف، فضلا عن انتشار أراض زراعية لبعض الأوقاف المصرية خارج مصر ولاسيما فى الشام، ولعل ذلك يعود لظروف تاريخية ترجع إلى اندماج مصر وبلاد الشام فى العصر المملوكى فضلا عن وجود مصالح خاصة للواقف فى الشام.

١٥- ايجار الأطيان الزراعية:

تتشابه الأراضى الزراعية مع عقارات الأوقاف فى التوسع فى الايجار فهنا ايضا كان الايجار هو الوسيلة المثلى للاستفادة من الأراضى الزراعية، وهو مانصت عليه معظم الحجج، وحتى بالنسبة لوقف

مثل وقف اشراف بنى الحسن فى قنا، والذى كان يشمل معظم أراضى قنا، فمع أن الأراضى الزراعية موقوفة على هؤلاء الأشراف، فإنهم لم يرضوا بزراعة الأراضى الزراعية، أو حتى بأى شكل آخر من أشكال الاستغلال الاقتصادى للأطيان، بل كان الاهتمام الرئيسى منصبا على ايجارها، حتى أننا وجدنا فى حجة وقف الأمير مصطفى ابن عبدالله نصا على أنه إذا لم يوجد مستأجر للأراضى الزراعية، فيقوم المتولى بزراعتها على ذمة الوقف، وكان الأصل فى استغلال أراضى الأوقاف هو أو الزراعة على ذمة الوقف لم تكن منتشرة فى الأوقاف فى العصر العثمانى.

على أية حال كان الايجار هو الوسيلة المثلى لاستغلال الأراضى النزرعية، سواء المساحات الصغيرة من الأراضى، أو حتي النواحي والقرى الكاملة، أو قطع الأراضى الزراعية الصغيرة المتناثرة عبر الأقاليم المختلفة الخاضعة لوقف واحد، والتى قد يضمها عقد تواجر لأحد المستأجرين.

ومع أن هناك اجماعا على أن مدة الايجار ثلاث سنوات فى أراضى الأوقاف الزراعية بصفة عامة، مع وجود نماذج محدودة من ذلك فى الزراعية العصر العثمانى إلا أن الصفة السائدة فى عقود الإيجار فى الاراضى الزراعيه فى العصر العثمانى أن مدة العقد سنة خراجية واحدة، ولعل ذلك يرتبط بفيضان النيل، وحساب الايجار على أساس فيضان النيل، فالأراضى الشراقى كانت عادة تعفى من الايجار فى سنة الشراقى، وفى الحالات التى كان يقتصر الشراقى فيها على ناحية من النواحى دون أن تشمل البلاد بأكملها، فكان ناظر الوقف يرسل من لديه من يتحرى أمر الشرقى فى هذه الناحية ويأتى إليه بحجة من قاضى الناحية يثبت فيها أحوالى الشراقى فى ناحيته، لما فى ذلك من تأثير فى الحساب السنوى الختامى للوقف.

وبالنسبة لنظام سداد الايجار، فقد نصت معظم عقود الايجار، على أن تسدد قيمة الايجار السنوى للأراضى الزراعية على ثلاثة أقساط على مدار السنة.، ولعل ذلك يرتبط بنظام المزروعات، والأمر الجدير بالملاحظة تشابه الأراضى الزراعية للأوقاف مع غيرها من أنواع الأراضى الأخرى، فى مدة عقد الإيجار لسنة خراجية واحدة، وكذلك فى سداد الايجار على ثلاثة أقساط متساوية على مدار السنة الخراجية، والحرية المتاحة للمستأجر فى زراعة ماشاء من المحاصيل والغلال.

وهناك ظاهرة ملحوظة فى أراضى الوجه القبلى، وهى سداد الايجار- فى الأغلب الأعم- فى صورة عينية، فتكون قيمة الايجار من الغلال (قمح، عدس، فول، حمص)، وفى بعض الحالات يكون الايجار العينى فى صورة حبوب وغلال يتم (المعاوضة) عنها فى صورة نقدية، وعلى حساب سعر الحبوب والغلال فى السوق، وكان الأساس هو الايجار العينى، حتى أن أجرة جرافة الجسور التى يستقطعها المستأجر من إجمالى الايجار المسدد للوقف، تكون ايضا فى صورة عينية، وهى ظاهرة منتشرة منذ مطلع العصر العثمانى، ويبدأ حساب الإيجار العينى فى أراضى الصعيد من تداخل مايعرف الآن بأراضى بنى سويف والمنيا حتى أقصى الصعيد، ويبدو أن ذلك ليس بالأمر الغريب عن اقتصاديات الوجه القبلى، إذ أن الضرائب المقررة على الوجه القبلى كانت تسدد

فى صورة عينية، ومع أننا وجدنا حالة فريدة فى أراضى أوقاف البحيرة حيث تتم معاوضة الايجار النقدى بغلال وحبوب وغنم، فإنه يصعب تصور أن الأوقاف كانت تلجأ للايجار العينى للوفاء بمتطلباتها من حبوب وغلال وخوم لموظفيها ومستحقيها، لأن أوقاف الدشايش والتى كانت فى حاجة للغلال لارسالها إلى الحجاز كانت تؤجر أراضيها- ولاسيما فى الوجه البحرى- بايجار نقدى.

وبالنسبة لطريقة تحصيل الأوقاف للايجارات، فإن ناظر الوقف كان يرسل- عادة- من طرفه من يجمع الايجار من نواحى أوقافه، وبالنسبة للايجار العينى، كانت الأوقاف ترسل من طرفها من يقوم بتحصيله، إذ نصت عقود الايجار على أن المستأجر يقوم بتسليم الوقف الايجار العينى مجهزا على أرض الناحية أو على ساحل الناحية، ليسهل للوقف عملية نقله بالملاحة النهرية، لاسيما أن بعض الأوقاف كانت لديها سفن لنقل غلالها من النواحى المختلفة، وفى بعض الحالات كان يتم الاتفاق بين الوقف والمستأجر، على أن يتسلم الوقف الإيجار العينى بعد أن ينقله المستأجر إلى ساحل بولاق بالقاهرة، على أن يسدد الوقف تكاليف النقل، وبالنسبة للأوقاف التى كان للدولة نوع من الإشراف عليها مثل أوقاف الحرمين وأوقاف الدشايش كانت الدولة تمد يد العون لجباة تلك الأوقاف فى تحصيل الايجارات، أما عن الأراضى الزراعية فى الشام التابعة للأوقاف المصرية، فغالبا ماكانت تؤجر مع غيرها من أراضى مصر لمستأجرين من مصر، فهناك عقود ايجار تجمع بين اجارة أراض زراعية لوقف مافى مصر والشام لمستأجر واحد مقيم بمصر وأمام محاكم مصر، وبذلك فإن الوقف ليس له سوى الايجار الذين يسدده المستأجر فى مصر،ويتولى المستأجر بنفسه ادارة الأراضى فى الشام بأية صورة شاء، أوأن يكون المستأجرون من الشام، وإذا لم يكن للوقف تواجد إدارى فإن عقود الايجار تبرم عادة فى الشام،فإن الناظر يوكل من طرفه من تقوم بتحصيل الايجار من المستأجرين.

وإذا انتقلنا إلى ظاهرة تأخر سداد الايجار أو العجز عن دفعه جزئيا أوكاملا، فإننا سنشاهد عقود ايجار تبرم مع نفس المستأجرين الذين تأخروا عن سداد حصص من الايجار السابق، ولكن فى هذه الحالات يتعهد المستأجر بساد الإيجار السابق واللاحق وربما يأتى بضامن أوكفيل له على ذلك، أو حالات اخرى يعجز المستأجر عن سداد الايجار فيتخذ الوقف ضده الاجراءات القانونية، ويرفع الأمر أمام القاضى، الذى يأمره بالوفاء بماعليه من إيجار،وإذا عجز المستأجر عن ذلك، فليس هناك أمامه سوى أن يودع السجن، وهو ماكان يسمى«الاعتقال» حتى الوفاء بالايجار،وفى بعض الحالات كان ناظر الوقف يطلب الافراج عن المستأجر إذاأنهى اليه المستأجر تعهدا بالوفاء بسداد الايجار مستقبلا، فإن الوقف عادة كان يتخذ اجراءاته القانونية سواء أمام المحاكم فى الشام أو فى مصر حتى يستخلص مستحقاته.

٦ ١ - الايجار الطويل:

كما هو الحال فى عقارات وأدوات الانتاج بالأوقاف فى المدن، ظهر الايجار الطويل أيضا فى الإراضى الزراعية للأوقاف، فلم تقتصر عقود ايجار

الأراضى الزراعية على سنة واحدة، بل وصلت أحيانا إلى تسعين سنة بأجرة محددة معينة، مما يجمد الايجار على مدار السنين، وبذلك يضيع على الأوقاف الشيء الكثير، وسواء كان انتشار الايجار الطويل فى الأراضى الزراعية يرجع إلى ضعف خصوبة الأراضى أو مايترتب على ذلك من عدم وجود مستأجر لمدة عام، فإن الشيء البارز فى مثل هذه الحالات أن الطرف الآخر فى العقد كان من المتنفذين.

١٧ - الايجار من الباطن:

كما انتشر الايجار من الباطن فى الموقوفات الحضرية، انتشر أيضا فى الأراضى الزراعية للأوقاف، ولعل ذلك يعود إلى تأجير مساحات واسعة من الأراضى لشخص واحد، أو لعدة أشخاص معا، طالما توافر لديهم المال للوفاء بالتزامات الايجار للوقف، فلقد لاحظنا أن المستأجرين لمساحات كبيرة من أراضى الأوقاف ولاسيما الأمراء، يعيدون تأجير هذه الأراضى، أومساحات منها لآخرين، وربما لبعض أهالى تلك النواحى، ولكن الملاحظ أن قيمة الايجار تكاد تكون ثابتة فى كلا العقدين، ولذلك من الصعب تصور أن أميرا يستأجر أراضى وقف ثم يعيد تأجيرها بنفس القيمة. والأغلب أن هناك عائدا اقتصاديا يتم الاتفاق عليه بين المستأجر الأصلى والمستأجر الجديد، لايذكر فى العقد،ولاسيما أن بعض نظار الأوقاف كانوا يتواجدون عند ابرام عقود الايجار من الباطن على أراضى أوقافهم، ومما يؤيد أن هناك عائدا اقتصاديا من جراء الايجار من الباطن، أن المستأجر الثانى يقر فى بعض العقود أن عليه دينا- قرض- لابد أن يوفيه للمستأجر الأصلى وقد يصل هذا القرض إلى الآلاف من نصف الفضة، مما يزيد الشكوك فى أن هذا القرض هو فائض القيمة بين الايجار الأصلى وعقد الايجار الثانى.

١٨ - انعكاس الحالة السياسية على تحصيل الايجارات:

وكان لاضطراب الحالة السياسية فى البلاد، واختلال أوضاع الأمن، آثاره السيئة على مالية الأوقاف حيث تعجز الأوقاف عن تحصيل الايجارات من نواحى أوقافها، فضلا عن وضع المتنفذين والمغتصبين أيديهم على أراضى الأوقاف، مثلما حدث أثناء الفتح العثمانى، ولاسيما عندما سطا البعض على أوقاف السلطان الغورى، وعجز جباة الوقف عن تحصيل مستحقاته، ومن هنا كان فرمان السلطان سليم بالمحافظة على الأوقاف عامة وعلى وقف السلطان الغورى بصفة خاصة، واصداره الأوامر إلى عمال النواحى بتسهيل عمل جباة الوقف.

وفى القرن الحادى عشر الهجرى، السابع عشر الميلادى، يحدثنا الرحالة العثمانى التركى أولياء جلبى عن أثر حوادث فتن الجند على صعوبة تحصيل وجمع المال الميرى، وأموال أوقاف الحرمين وحتى فى حالات الفتن التى تحدث نتيجة سطوة الحكام فى ناحية من النواحى، فإن الوثائق اعترفت بأن ذلك يؤثر على المال الميرى ومال الوقف معا، ومن هنا ندرك وعى الدولة لدور مال الوقف الذى يقارب دور المال الميرى، فضلا عن إدراكنا الحقيقة الواضحة، إن الوقف كأى نشاط اقتصادى يتأثر بالحالة السياسية للبلاد، ويهتز باهتزاز الأمن والاستقرار.

١٩ - المزارعة:

المزارعة أسلوب من أساليب الانتفاع الاقتصادى بالأراضى الزراعية سواء فى أراضى الأوقاف أو فى غيرها من أنواع الأراضى، يقوم على الاتفاق بين طرفين على أن يقدم طرف الأرض، ويقوم الآخر بالعمل فى الأراضى، ويتم الاتفاق على توزيع ماتخرجه الأرض من محصول بنسب يتم الاتفاق عليها مسبقا، ففى بستان «كروم» جار فى أوقاف دير سانت كاترين، وجدنا مزارعا يقدم للوقف عمله على «الكرم» على أن يأكل نصف ثمرته أى يكون له النصف من الانتاج، مع حفظ حق الدير فى سحب الكرم من تحت يده فى أى وقت. وشبيه بذلك أن احدى النساء كانت لها رزقة زراعية فأجرت منها $\frac{٢}{٣}$ ١١ فدان بايجار نقدى، ثم تضمن عقد الايجار أن على المستأجرين أن يقوموا بزراعة فدان آخر من أراضى رزقة لحساب هذه المرأة، على أن يخصموا قيمة التقاوى والمصاريف من جملة الايجار المسدد عن $\frac{٢}{٣}$ ١١ فدان ولكن يلاحظ بصفة عامة عدم انتشار المزارعة فى أراضى الأوقاف فى العصر العثمانى.

٢٠ - المساقاة:

المساقاة تقترب من المزارعة، وهى شائعة فى الحدائق والبساتين إذ يتم الاتفاق بين الوقف وبين طرف آخر على أن يتكفل برعاية وتقليم ورى وجنى ثمار الأشجار ويصرف فى ذلك مايصرف، ويستعين بمن يستعين من الزراع، دون أن يتكلف الوقف شيئا من ذلك، على أن يقسم الناتج إلى ألف جزء، يأخذ الوقف جزءا واحد، ويأخذ المساقى أى الطرف الآخر ٩٩٩جزءا، أى أن نصيب الوقف ١:١٠٠٠ من الناتج الزراعى وثبات هذه النسبة فى عقود المساقاة يجعلنا نؤكد التعارف عليها مع ملاحظة ثبات هذه النسبة أيضا فى المساقاة فى حدائق الأملاك ،ويرتبط بعقود المساقاة فى الحدائق والبساتين عقود ايجار للأراضى غير المزروعة المتخللة الأشجار والمنتشرة حولها فى البساتين والحدائق، وهو ماكان يسمى«بياض» ولم تكن هناك مدة ايجار محددة لهذه الأراضى بل كانت تختلف بحسب حالة الأراضى والاتفاق والتراضى بين الطرفين، ولايختلف ايجار الأراضى الزراعية الأخرى كثيرا عن ايجار بياض أراضى الحدائق والبساتين.

٢١ - المغارسة:

المغارسة أن يأذن ناظر الوقف للمستأجر بغرس أشجار فى أراضى الوقف الزراعية على أن مايغرسه المستأجر من أشجار يصبح ملكا له، وله الحق فى بيعه ووقفه، وليس للوقف عليه أية حقوق، سوى ايجار الأراضى فحسب، وللمستأجر الحق فى أن يغرسها أى نوع شاء من الأشجار.

وفى مثل هذه الحالات فإن ايجار الأراضى يكون بأجر سنوى ولكن عقد الايجار يكون لمدد طويلة، تمنح المستأجر المغارس الاستقرار النفسى لرعاية مزروعاته، ويلاحظ انتشار هذا النوع فى بياض أراضى حدائق وبساتين الأوقاف.

٢٢- اسقاط الحق فى الرزق:

أراضى الرزق هى الأراضى المرصدة أصلا من قبل الدولة على بعض الأفراد والمؤسسات الدينية

ولأن أراضى الرزق لايجوز فيها البيع واعتبرها الفقهاء من الأوقاف، حيث التطابق بين الرصد والامساك عن البيع فى الأوقاف، لذلك تحايل البعض على منع البيع فى الرزق الزراعية عن طريق«الفراغ»و«اسقاط الحقوق» للآخرين وخاصة الرزق المرصدة على أفراد، فيتم الفراغ عنها- التنازل عنها- دون ذكر لمال فى محاولة لتجنيب انفسهم الوقوع فى صدام مع الفقه، وهكذا كان الفراغ واسقاط الحق فى الرزق أسلوبا من أساليب الانتفاع، إلا أنه كان يعنى انتقال الرزقة لآخر، ولعل ذلك كان سببا فى ظهور عبارات شراء الرزق فى حجج الأوقاف، «على أن يشترى من فائض الريع للأوقاف رزقا».

٣ ٢ - الاستبدال فى الأطيان الزراعية للأوقاف:

كما انتشر الاستبدال فى العقارات والحوانيت وأدوات الانتاج، انتشر كذلك فى الأطيان الزراعية للأوقاف، وإذا كان الاستبدال امرا مكروها بصفة عامة، فإن حدوث استبدال فى الأراضى الزراعية يعنى ان الاراضى الزراعية قد فقدت خصوبتها وبالتالى أصبح أجدى للوقف استبدالها، وفى الغالب فإن أراضى الأوقاف كانت تستبدل نظير مال وليس فى مقابل أراض زراعية أخرى، كما كان يغطى الاستبدال بأن ذلك يحمل فى طياته منفعةللوقف، وهو باب أكبر للفساد.

ولقد رجح البعض أن أراضى الأوقاف لم تعان من اغتيال الاستبدال لها مثلما عانت العقارات وغيرها من الموقوفات الحضرية، ولكن النتائج التى خرجنا بها تؤكد الاستفادة من مبدأ الاستبدال فى الاستيلاء على أطيان الوقف، فمنذ مطلع العصر العثمانى، لم تنقطع سلسلة الاستبدال فى الأراضى الزراعية، رغم محاولة قانون نامة فى مصر الحد من انتشار الاستبدال، والمثال الأكثر وضوحا على ذلك استغلال باشوات مصر للاستبدال، فى الاستيلاء على أطيان من أوقاف العصر المملوكى السابق، واذا حاولنا تتبع هذه الظاهرة، فسنجد اسكندر باشا الذى نص فى حجة وقفه على عدم جواز الاستبدال، يستبدل هو لنفسه أطيانا زراعية من وقف الصارمى ابراهيم بن برديك الاينالى، ومحمود باشا يستبدل فى عام ٩٧٤هـ/١٥٦٦-١٥٦٧ لنفسه من وقف الأشرف أينال السيفى، وكذلك يستبدل من وقف بيبرس المؤيدى، وحسن باشا يستبدل لنفسه فى عام ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠-١٥٨١م من وقف يشبك بن مصطفي، وكذلك الحال مع محمد سلحدار باشا الذى يستبدل لنفسه فى عام ١٠٦٥هـ/ ١٦٥٤-١٦٥٥م من وقف السيفى أق بردى بن عبدالله.

وإذا أخذنا فى الاعتبار أن هذه الأطيان المستبدلة قد ضمها هؤلاء الباشاوات إلى أوقافهم، فإن ذلك يعنى جودة الأراضى وخصوبتها، ويؤكد مدى الغبن الذى وقع على الأوقاف السابقة باسم الاستبدال، ومع استمرار باقى الفئات المتنفذة والمتميزة فى التصرف فى الأطيان عن طريق الاستبدال، فإن ذلك يؤكد- من ناحية أخرى- أن الاستبدال قد ساعد على دوران الأطيان فى عجلة الحياة الاقتصادية، وينفى عن الموقوفات صفة

الجمود من الناحية الفعلية، بل يؤكد حركتها من دوائر الأوقاف إلى دوائر الأملاك وبالعكس.

وجدير بالذكر أنه قد تم استبدال بستان نخيل موقوف على مسجد ببستان نخيل آخر مملوك لرهبان دير سانت كاترين، مما يؤكد مرونة المعاملات الأقتصادية بعيدا عن النعرات الطائفية.

٢٤ - عمارة الأوقاف الزراعية:

أولت الأوقاف اهتماما كبيرا بالمحافظة على خصوبة الأراضى الزراعية، عن طريق الاهتمام بشئون الرى والجسور، ولاسيما أن أراضى الأوقاف كانت خاضعة لايجار الغير، ومن هنا كان النص على استقطاع المستأجر لجزء من الايجار السنوى فى سبيل جرافة الجسور. فضلا عن اشراف الدولة على الجسور وشئون الرى بصفة عامة نظرا لتأثير شئون الرى على خصوبة الأراضى وانتاجها وبالتالى على قيم الايجار، وبالنسبة للأراضى الزراعية التى تبعد عن مجرى النيل، فإنه كان يتم الاتفاق مع أصحاب الأراضى الزراعية المجاورة للنيل على شق ترع ومصارف من النيل إلى أراضى الوقف على أن يتم تعويض ذلك بزراعة قطعة أرض زراعية من أراضى الوقف لصالح الطرف الآخر مما يوضح مدى الحرص على شئون الرى، وبالإضافة إلى ذلك كانت بعض الأوقاف توفر الثروة الحيوانية لخدمة الأراضى الزراعية، ولاسيما الثيران التى كانت تستخدم فى ادارة السواقى، فضلا عن أعمال الحراثة وغيرها، وقد أولت الأوقاف اهتماما واضحا بحالة الثيران لأهميتها للزراعة، وفى حالة عجز ثور عن العمل كان الوقف يفضل بيعه، ويضاف إلى ثمنه جزء من مال الوقف لشراء آخر، وكذلك فى حالة موت أى ثور كان الوقف يشترى بدلا منه.

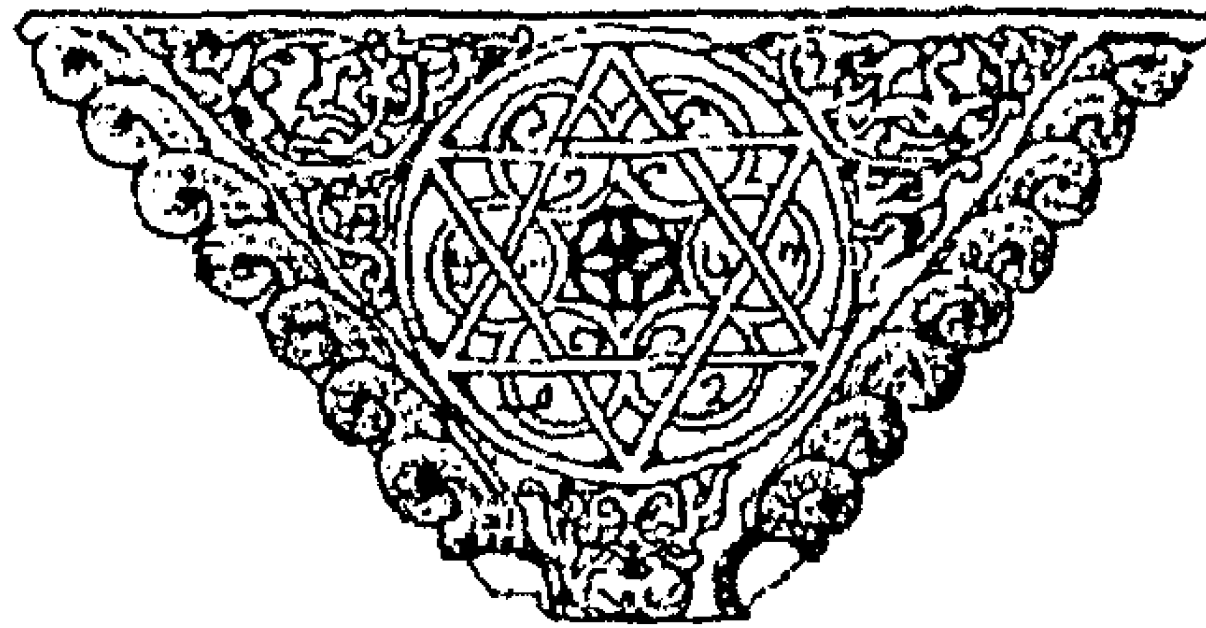
٢٥ - او ضاع الفلاحين فى أرا ضى الأوقاف:

يختلف وضع الفلاحين فى أراضى الأوقاف من وقف لآخر ومن حالة لأخرى فليس هناك اتفاق عام على حالة الفلاحين، بل هناك اختلاف حسب طبيعة كل وقف، ومع ذلك فإنه من المقرر وجود علاقة بين الوقف وفلاحى أراضيه، حيث حصلت بعض أوقاف السلاطين وذويهم والعلماء على فرمانات ومراسيم من السلاطين والباشاوات بالمحافظة على فلاحيهم ورفع الأذى عنهم بل ووصلت فى بعض الحالات إلى عدم فرض ضرائب اضافية على الفلاحين«المغارم والمظالم» ومن ناحية أخرى استطاعت بعض الأوقاف الحصول على اعفاء لفلاحيها من السخرة والكلفة الواقعة على الفلاحين مع بقاء تلك الأعباء واقعة على عاتق الفلاحين فى الأوقاف الأخرى.

وفى مجال الخدمات الانسانية كانت بعض الأوقاف تقدم«خلع» ملابس لفلاحيها سنويا مع أن هذه الأراضى بالذات كانت تؤجر للغير، ومع ذلك فالأمر الجدير بالملاحظة هنا أنه فى كثير من حالات النزاع على الأراضى كان الفلاحون المقيمون يزعمون أن الأراضى ليست تابعة للوقف، وانما هى أراض «سلطانية» أى أراضى الدولة، مع أن الكثير من هذه الحالات يثبت فيها أحقية الوقف فى الأراضى، وهذا الأمر يوضح لنا أهمية اثبات الفلاحين تبعية الأراضى للدولة، ولعل ذلك يعود إلى أن نجاح الفلاحين فى اثبات تبعية الأراضى

للدولة، كان يترتب عليه استقرار الأراضى بأيديهم فى مقابل دفع الخراج للدولة، على عكس الحال لو آلت الأراضى للوقف، حيث يثبت للوقف حقوقه على هذه الأراضى وينزعها من يد الفلاحين، أو أن يخضع الفلاحون ليد الوقف مباشرة، وكان يد الدولة أخف على الفلاحين من يد الوقف، وربما تفسير ذلك يرجع إلى حالات الاضطهاد التى رآها الفلاحون على يد بعض نظار الأوقاف، فابن اياس يحدثنا- فى مطلع العصر العثماني- عن مباشر وقف يقبض على فلاح فى الوقف ويسجنه، وصيغة النص توحى أن السجن هو سجن خاص، إذ ليس لأحد من أهل الدولة سلطة عليه فضلا عن ناظر يجور على فلاحيه، برغم حالة الشراقى التى عانت منها الأراضى ولايجد الفلاحون بدا من رفع الشكوى لأمير الأمراء خاير بك، فيرد الناظر على خاير بك قائلا«وايش كان ملك الأمراء يدخل بينى وبين فلاحينى فى شىء لافيه شغل» ويعتبر رد ناظر الوقف فى غاية الأهمية لأنه يحدد وضع الفلاحين فى الوقف ومدى سلطة بعض النظار على فلاحيهم، وضعف سطوة الدولة أحيانا.

وعلى أية حالة فهناك مايثبت تبعية الفلاحين للأرض، بالنسبة للفلاحين المقيمين بقرى تابعة لأوقاف، ففى طهطا بالصعيد كان لوقف الأمير على بك الثلثان، ولوقف حسن باشا الثلث فى أراضى المنطقة، وعندما تم تقسيم الأراضى والقرى بين الوقفين، تم أيضا توزيع الفلاحين وتقسيمهم بالمساواة على الوقفين، على حسب نسبة كل وقف، حتى أن وقفا احتاج لبعض الفلاحين لكي تعدل القسمة، فتم اضافة فلاحين مقمين فى أراضى قرية واقعة فى الوقف الآخر، وأصبحوا مربوطين على قرية أخري فى الوقف الأول، لتكتمل القسمة بين الوقفين على أساس الثلث والثلثين بالنسبة لمساحة الأراضى ولأعداد الفلاحين اللازمين للزراعة من أجل استمرار العمل فى الأراضى.



وثيقة المعاهدة التجارية المعقودة بين تروجيه ـ و مراد بك عام ١٧٨٥ = ١١٩٩هـ

الحمد لله وحده..

إن سبب هذه الكتابة هو أنه بين امجد القادة والرؤساء مراد بك امير القافلة حفظه الله وعزز ايمانه وقواه ـ وامجد اشباهه المحترم بك زاده (ابن) تروغيه الموجود الآن فى مدينة القاهرة المحمية قادما من القسطنطينية ومرسلان من قبل أمجد وأشرف النصارى الكونت دى شوازول حفظه الله وأيده.

قد تم الاتفاق بملء الرضى على الامتيازات التى سيأتى ذكرها للسفن الفرنسية والتجار الفرنسيين الذين سيقدمون من الهند إلى السويس حاملين من الهند المذكورة البضائع المختلفة الأنواع، وهى امتيازات ستبقى محترمة تامة وينفذ مفعولها حال وصول الخط الشريف الخاص بها من لدن الباب العالى حرسه الله وحماه. واذا قضت الظروف بأن تصل السفن الفرنسية إلى السويس قبل وصول الخط الشريف فانها ستقابل بكل ما يضمن سلامتها وفاقا لروح المعاهدة ونصها:

المادة الأولي: للسفن الفرنسية وللتجار الفرنسيين حق المجئ إلى كل المرافىء الخاضعة للسلطة المصرية بدون أن يستوفى من هذه السفن الا الرسوم التى تدفعها السفن التركية. ولا يحق لأحد أن يقترب من التجار والملاحين الفرنسيين بحجة تفتيش بضائعهم الموجودة على سفنهم ويحرم على أى كان أن يجبرهم على انزال بضائعهم فى المرفأ الذى يدخلون إليه. ويكون هؤلاء الفرنسيون احرارا بأن يتصرفوا ببضائعهم على الوجه الذى يختارونه. وكذلك حال وصولهم إلى السويس لا يدفعون من الرسوم الا ما تدفعه السفن التركية.

واذا وصلت احدى هذه السفن، حربية أو تجارية، إلى مرفأ السويس مصابة بعطب أو أى ضرر آخر مهما يكن نوعه فعلى قائدالسويس التابع لحكومة القاهرة أن يقدم لها كل المساعدات اللازمة وكل ما تكون بحاجة اليه بالسعر الأكثر اعتدالا بدون أقل زيادة.

المادة الثانية: اذا لا سمح الله، غرقت احدى السفن الفرنسية فى احد الموانئ التابعة لحكومة القاهرة فعلى قائد مدينة القاهرة أن يحميها بكل سرعة واخلاص ويساعد ركابها وملاحيها على جمع بضائعهم واستعادتها ممن يكون استولى على بعضها. على أن يدفع التجار الفرنسيون أصحاب البضائع أجرة الرجال الذين يقومون بجمع البضائع وانقاذها، كما على هؤلاء الرجال أن يعيدوا لهم كل ما يعثرون عليه. وبعد أن يتم بيع هذه البضائع تستوفى الرسوم الجمركية على الوجه الذى سيذكر فيما بعد.

المادة الثالثة: للسفن الحربية الفرنسية التى ترافق وتحمى باسم ملكها السفن التجارية أن ترفأ إلى كل ميناء على السواحل المصرية بدون أن تدفع أى رسم واذا شاء قادتها وضباطها أو ملاحوها أن ينزلوا إلى اليابسة فيحرم على أى كان أن يعترضهم أو يلقى عليهم أى سؤال أو يلحق

بهم أى اذى. ويكون لهم حق شراء المواد الغذائية وتموين السفن بالماء وغير ذلك، سواء فى السويس أو فى غيرها من الموانى والمدن. ويكونون كسفنهم موضع الاحترام والحماية. واذا وقع عليهم أو على أحدهم اعتداء ما توجب على قادة القاهرة أن ينزلوا العقاب بالمعتدى أو المعتدين.

وتقدم لقادة السفن وضباطها التحية المناسبة لرتبهم ويحاطون بمظاهر الاحترام أكثر من زملائهم التابعين لدولة أخرى.

المادة الرابعة: اذا تعذر على السفن التجارية الفرنسية الوصول للسويس فاضطرات إلى القاء مراسيها فى مرفأ مصر آخر أو فى غير المرافئ التابعة لمصر فان على قادة القاهرة واجب ارسال بعض رجالهم للقيام بحمايتها ووضع بضائعها فى أماكن أمينة ولمواكبة رجالها والسهر على سلامتهم حتى الوصول إلى القاهرة.

المادة الخامسة: اذا وقع خلاف بين المسلمين وأحد الفرنسيين وأصيب هذا الأخير بأذى فى جسمه أو فى كرامته تقدم شكوى بالحادث إلى قائد القاهرة. وعلى هذا القائد أن ينزل بالشخص المعتدى العقاب الذى يستحقه عمله. أما اذا كان المعتدى فرنسيا فيرسل إلى قائد سفينته أو إلى القنصل الفرنسى ليحاسب على ما ارتكب.

المادة السادسة: للتجار الفرنسيين الذين يقومون من بلادهم إلى الهند عن طريق الاسكندرية والذين يعودون من الهند إلى بلادهم عن هذه الطريق حق الانتقال فى مصر بدون حائل أو صعوبة. وليس لأحد أن يحد من هذا الحق أو أن يقوم بتفتيش ملاحى السفن وثيابهم والرسائل التى يحملونها بل يجب أن يقابلوا ويعاملوا بكل تقدير وأن تقدم لهم كل التسهيلات. ولهم أن يبتاعوا المؤن ويأخذوا الماء كما يشاؤون ومن حيث يريدون بالكمية التى يحتاجون اليها.

المادة السابعة: اذا جاء إلى القاهرة قنصل مرسل من ملك فرنسا للاقامة فيها فعلى قادة القاهرة أن يستقبلوه وضباطه والرجال التابعين له بكل حفاوة وأن يكلفوا العساكر بحماية داره وبابه ويؤمنوا سلامته ويسهروا على ألا يصابه بأقل أذى ويحيطوه بمظاهر التقدير والاحترام بأكثر مما يحاط به قناصل الدول الأخرى.

المادة الثامنة: عند وصول السفن الفرنسية إلى ميناء السويس يقوم «حامى» الفرنسيين المقيم فى السويس بزيارتها ليتفقد بنفسه حمولتها ويرسل كشفا بكميـاتها إلى القنصل أو نائبه. ويكون للفرنسيين وحدهم حق توجيه هذه السفن وارسالها حيث يريدون. وليس لأحد أن يصعد إلى هذه السفن بدون اذن من قادتها. ولهؤلاء القادة أن يفرغوا حمولة سفنهم فلا يسمح لأى بحار غريب عنهم بالاشتراك فى عملية التفريغ. ولهم أن يختاروا مرشديهم وينتقوا الأشخاص الذين يجوز لهم الاقتراب من قواربهم.

المادة التاسعة: ليس لقائد السويس أو لأى موظف آخر حق تفتيش البضائع. وحق التفتيش محصور بالموظفين الذين يرسلهم (باشا القاهرة) أو قادة القاهرة لهذا الغرض. ولهؤلاء أن يحصوا الطرود ويختموها بخاتمهم الخاص ويضعوا كشفا

بها يرسلونه إلى القاهرة. وحال وصول الطرود إلى القاهرة ودخولها إلى مخازن التجار الفرنسيين تفض أختامها بحضور من يمثلنا ويمثل الباشا وتفتح وتستوفى عنها الرسوم الجمركية المحددة فيما بعد.

المادة العاشرة: يدفع التجار عن كل البضائع الآتية من الهند أو من أى بلد سواها ٤٪ للباشا و٢٪ لأمير اللواء قائد القطر المصرى (المقصود هو مراد بك). أما رسوم المنسوجات فتدفع عينا. وأما رسوم العقاقير والفلافل وغيرها فتدفع نقدا. وحال استيفاء هذه الرسوم يصبح التجار الفرنسيون أحرارا بأن يبيعوا البضائع فى القطر المصرى أو أن يرسلوهاإلى حيث يشاؤون فى الخارج بدون أى مانع أو دفع أى رسم.

المادة الحادية عشرة: فى ما يتعلق بالعقاقير والفلافل يتم تحديد الرسم الجمركى على أساس العينة (المسطرة) المقدمة عنها. واذا ظهر أن البضاعة من صنف يفوق صنف العينة قام الدليل على أن التجار يحاولون الغش واذ ذاك يجبرون على بيع البضاعة بالسعر الذى كان محددا للعينة، ويعطى لهم من قبل التعويض من النفقات التى تكبدونها والرسوم التى دفعوها للجمرك وتأمينا للربح المعقول ٥٠٪ زيادة عن سعر العينة.

المادة الثانية عشرة: اذا كانت السفن تحمل من البن كمية معقولة لاستهلاك التجار الخاص ولتقديم الهدايا لأصدقائهم فلا تدفع الا الرسوم الجمركية العادية.

المادة الثالثة عشرة: اذا كانت السفن تحمل بضائع للاستهلاك الفرنسى فى فرنسا فيستوفى رسم الجمرك على البيان الخاص بها أى ٣٪، ولكن تعطى لأصحاب البضائع تسهيلات تنشطهم على استعمال الطرق المصرية لنقلها. واذا وقع شك فى صحة البيان أو عدمها. فان ظهرت الصحة فيكتفى بالطرودالتى فضت ولا يفض سواها. أما اذا ظهر العكس فتفض الطرود كلها ويستوفى عنها ٦٪ كرسم جمركى.

المادة الرابعة عشرة: ليس على التجار وقادة السفن الفرنسيين أن يقدموا هدايا إلى أى كان، سواء أكان قائدا أو غير قائد، واذا قدم أحدهم هدية بملء اختياره وارادته فلا يعنى هذا أن على غيره أن يحذو حذوه. ولا تعتبر هذه الهدية كواجب يجب أن يؤدى. ويكون التجار وقادة السفن الفرنسيون أحرارا فى أن يعطوا اولا يعطوا هدايا.

المادة الخامسة عشرة: حال وصول السفن التجارية إلى السويس ترسل الحكومة من يلزم من رجالها لمرافقة البضائع إلى القاهرة بكل دقة وانتباه وحرص. وعلى هؤلاء الرجال أن يحتاطوا لمفاجآت البدو. وبمعونة الله بتعهد الفريق المصرى بألا يقع شئ ضد سلامة البضائع من جانب البدو والحؤول دون أى شر يمكن أن يصيب هذه التجارة.

المادة السادسة عشرة: اذا شاء قادة القاهرة أن يطردوا التجار الفرنسيين المتعاملين مع الهند أو أن يرفضوا دخولهم إلى القطر المصرى فيجب أن يعطوهم مهلة يكونون خلالها متمتعين بالسلامة والحماية فى بيوتهم وبحرية تصفية أعمالهم وبيع بضائعهم كما يريدون بدون أن يتعرضوا لأى

خسارة أو أذى أو اهانة. وعند انقضاء المهلة يغادرون القطر المصرى مع شركائهم بكل سلامة وأمان.

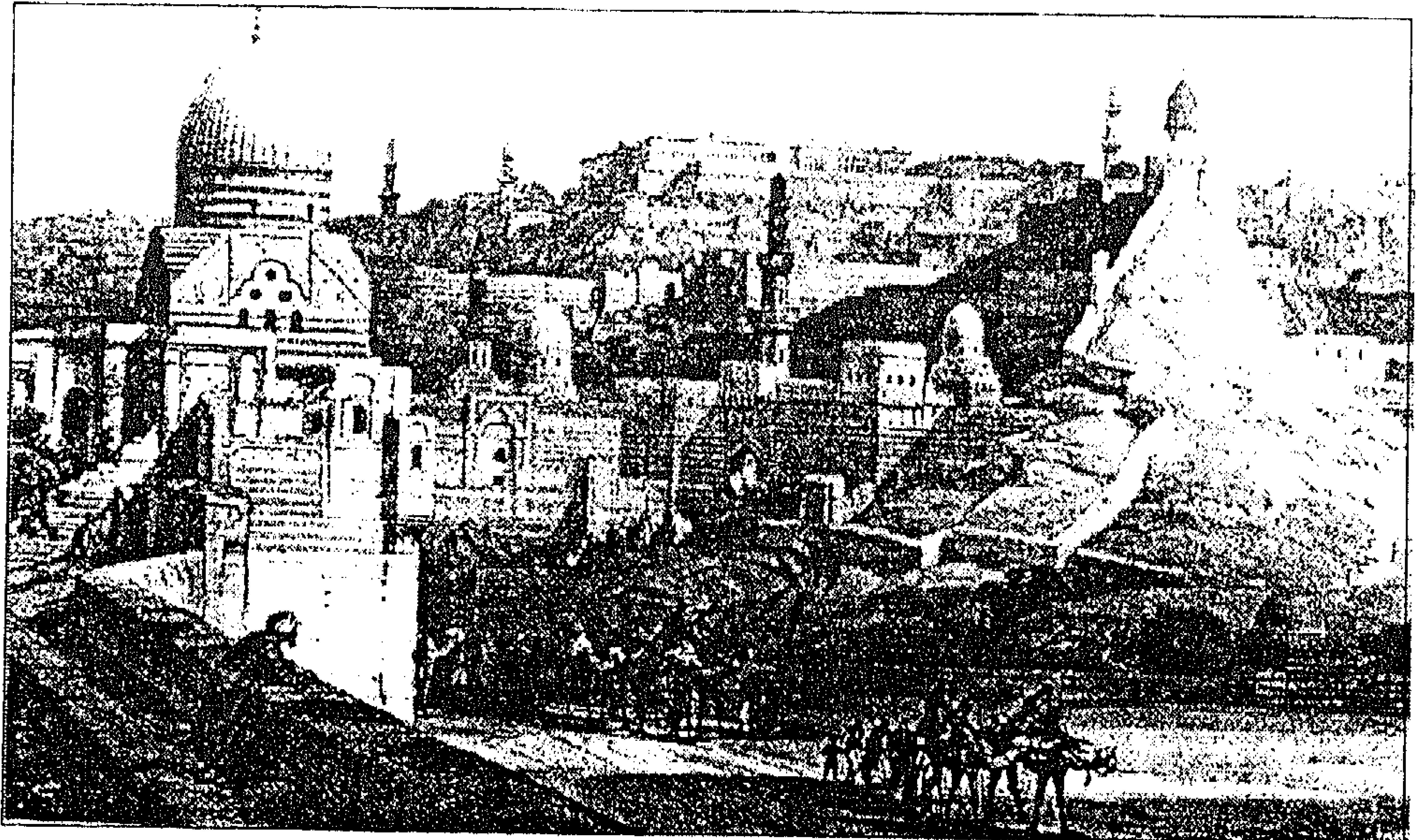
المادة السابعة عشرة: اذا طلبت دولة أخرى امتيازات لتجارتها مع الهند أوسع مما هو معترف به فى هذه المعاهدة للتجارة الفرنسية. فان الأمة الفرنسية تكون دائما اكثر رعاية وأوسع امتيازات من كل دولة.

وقد تم وضع هذه الكتابة بشروطها وتم الاتفاق عليها بين الفريقين المتعاقدين بملء الرضى والارتياح ولتبقى نافذة المفعول فى المستقبل عند الدولتين سواءمن جانب السفراء والقناصل الفرنسيين فى الحاضر أو الذين سيخلفونهم فى المستقبل.

شروط صريحة، ومواقف ثابتة أبدية مقبولة فى كل أمر وكل مكان كما هى بنصها فى ٢٧ صفر ١١٩٩و٩ كانون الثانى ١٧٨٥

الإمضاء: دي تروجيه

الإمضاء: مراد بك أمير اللواء أمير القافلة سابقا



الجبرتى/ ملحق ٧

وثيقة الاتفاق المعقود بين الشيفالييه دي تروجيه ورئيس جمارك مصر يوسف كساب في ١٢ ربيع أول ١١٩٩ (١٧٨٥)

هذاالاتفاق معقود بضمان الله بين سعادة الكونت دى شوازول سفير ملك فرنسا فى القسطنطينية وبيننا نحن يوسف كساب المتعهد العام، بعد الاتفاقات الموضوعة والموقع عليها من الشفالييه دى تروجيه والأمير مراد بك أمير القافلة وبحضور ورضى وتوقيع الأمير سليمان مصطفى خان والأمير عثمان كيايا.

المادة الأولي: أن السيد يوسف كساب يقسم بالله وضميره وايمانه أنه سيرعى ويساعد ويحمى الأمة الفرنسية والتجار الذين سيأتون من الهند إلى السويس بكل مافى طاقته وصلاحياته لجعل اتصالاتهم بقادة القاهرة سهلة ومثمرة مقابل الامتيازات التى ستعطى له والوارد ذكرها فيما بعد.

المادة الثانية: اذا وقع حدث ما ونتج عنه ضرر للتجار الفرنسيين أو اجحاف بحقهم ايا كان نوع الضرر أو الاجحاف، فان السيد يوسف يكون ملزما بضميره أن يخبر قنصل فرنسا والتجار الفرنسيين الذين يهمهم الأمر وأن يعطيهم النصائح التى يراها أضمن لمصلحتهم وأن لا يفضل مصالح دولة أخرى على مصالح الأمةالفرنسية.

المادة الثالثة: يقوم السيد يوسف باستمرار بدور الوسيط بين التجار الفرنسيين وحكام القطر المصرى ويبعد عنهم بكل ما فى استطاعته كل محاولات الارهاق والتآمر وأن يجعلهم معتبرين ومحترمين لدى الحكام.

المادة الرابعة: اذا اكتشف السيد يوسف أن أحد التجار الفرنسيين قد قام بشيء من الغش فى تجارتة فعلية أن يطلع على الأمر القنصل الذى له حق تأديب التاجر وأن يمتنع عن أى شكوى لحكام القاهرة ضد هذا التاجر. وعلى القنصل أن ينفذ العدالة ويحكم على المخالف.

المادة الخامسة: يستوفى السيد يوسف رسما قدره $1\frac{1}{2}$ ٪ عن جميع بضائع التجار الفرنسيين، ويستوفى هذا الرسم عينا عن الانسجة ونقدا عن العقاقير والفلافل، والمواد الأخرى على أساس التخمين.

المادة السادسة: يكون للسيد يوسف ٣٪ من ثمن البضائع القادمة من الهند والتى يرسلها التجار الفرنسيون إلى تركيا على أن يكون الأمر مكتوما عن حكام القاهرة.

المادة السابعة: يستوفى السيد يوسف رسما قدره $\frac{1}{2}$ ٪ عن البضائع التى يرسلها التجار الفرنسيون إلى بلادهم عن طريق الاسكندرية أو دمياط، وفاقا لما اتفق عليه مع قادة الميناءين.

المادة الثامنة: يدفع على البضائع القادمة من فرنسا والمعدة للارسال من السويس إلى الهند ٣٪ فقط كرسم جمركى فى القاهرة أو الاسكندرية.

وفى السويس تكون هذه البضائع معفاة من كل رسم.

المادة التاسعة: اذا ترك السيد يوسف مركزه فى الجمارك فيعتمد عليه بأن يفعل كل ما فى طاقته لحمل خلفه على قبول أحكام هذا الاتفاق والتقيد بها.

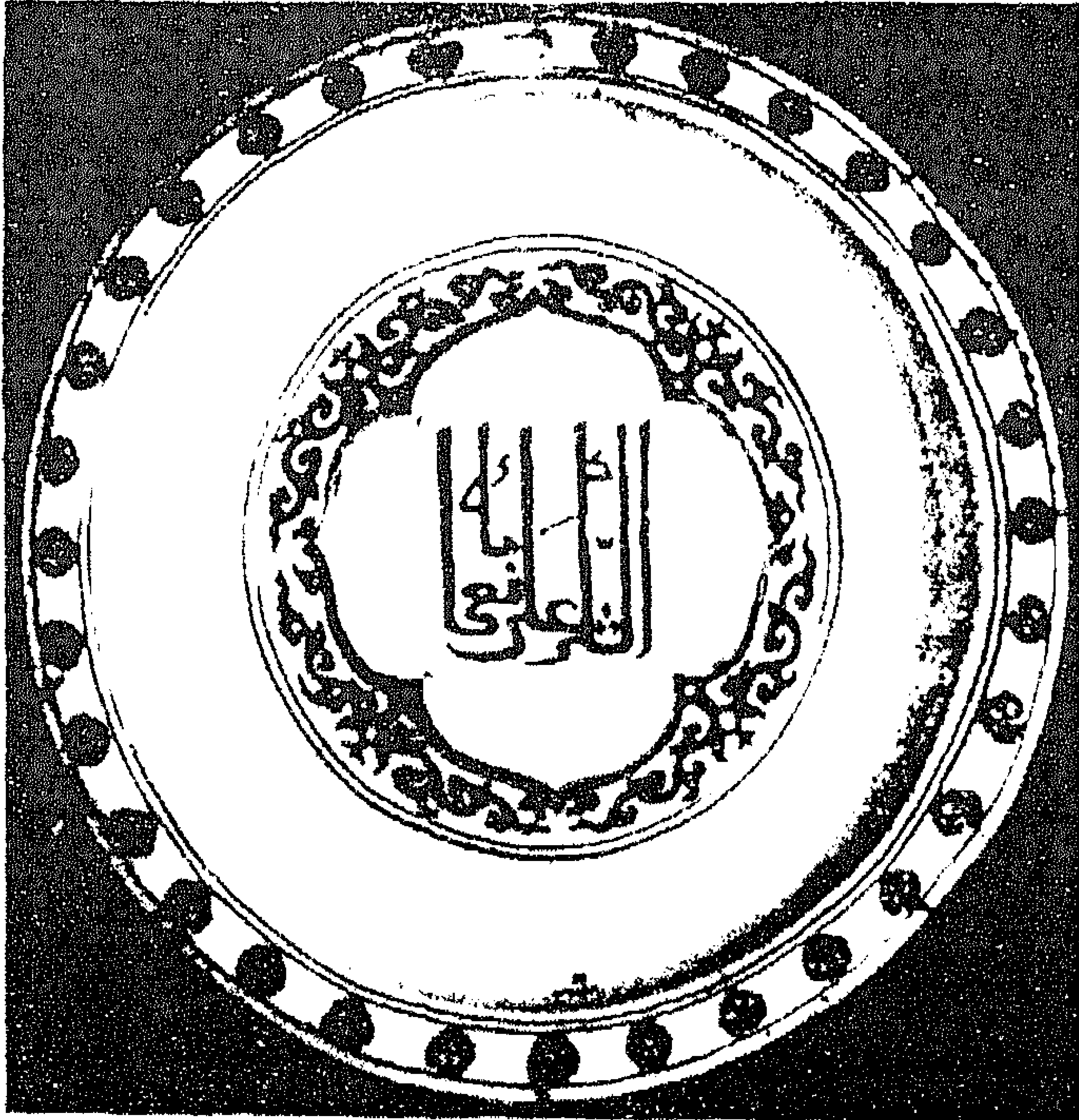
والفريقان الموقعان متفقان على أن لا يضاف شئ على رسوم الجمرك أو غيرها وأن لا ينقص منها شئ، وعلى أن يكون السيد يوسف كساب حاميا ومرشدا للتجار الفرنسيين القادمين بطريق السويس وساهرا على جميع البضائع الآتية من مرسيليا إلى السويس أو للاستهلاك المحلى فى القاهرة أو للتصدير إلى تركيا، وذلك على اتم وأحسن ما يوحى به ضميره، وما تم الاتفاق عليه فى ما تقدم. والله مسئول أن يتم الأمر على هذا الوجه.

وعلى جميع التجار الفرنسيين فى نقل بضائعهم ودفع الرسوم الجمركية أن يكونوا صادقين بريئين من كل غش واحتيال فى تنفيذ كل ما سبق ذكره.

كتب ووقع وطبع بالخاتم فى ١٢ ربيع الأول ١١٩٩ ـ ١٧٨٥م.

الإمضاء: دي تروجيه

الإمضاء يوسف كساب



قائمة بسلاطين آل عثمان فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ـ والأحداث الهامة في عهودهم

١ـ السلطان محمود الأول (١٧٣٠ـ ١٧٥٤م):

ـ ١٧٣٠ ظهور طائفة الفقارية المملوكية في [illegible] تعاظم نفوذها.

ـ ١٧٤٨ ـ ١٧٥٤ الحكومة الثنائية لابراهيم كيخيا القازدغلى ورضوان كخيا الجلفى فى مصر.

٢ـ السلطان عثمان الثالث (١٧٥٤ـ ١٧٥٧):

٣ـ السلطان مصطفي الثالث (١٧٥٧ـ ١٧٧٣):

ـ ١٧٦٠ ظهور على بك (بلوط قبان) الكبير فى مصر.

ـ ١٧٦٨ ـ ١٧٧٤ الحرب العثمانية الروسية.

ـ ١٧٧٠ حملة (على بك الكبير) على الحجاز.

ـ ١٧٧١ حملة (على بك الكبير) على الشام.

ـ ١٧٧٢ هروب على بك الكبير إلى الشيخ ظاهر العمر فى الشام.

ـ ١٧٧٣ موت على بك الكبير.

ـ ١٧٧٢ ـ ١٧٧٥ حكم محمد بك ابو الذهب فى مصر.

٤ـ السلطان عبد المجيد الأول (١٧٧٣ـ ١٧٨٩):

ـ ١٧٧٤ معاهدة كوجك قينارجى مع روسيا.

ـ ١٧٧٥ حملة محمد بك أبو الذهب على الشام.

ـ ١٧٧٥ موت الشيخ ظاهر العمر فى الشام.

ـ ١٧٧٥ أحمد باشا الجزار حاكما لصيدا.

ـ ١٧٧٥ موت محمد بك أبو الذهب فى مصر.

ـ ١٧٧٥ ـ ١٨٩٨ الحكومة الثانية لابراهيم بك ومراد بك فى مصر.

ـ ١٧٨٦ ـ ١٧٨٧ حملة قبودان دريا جزايرلى غازى حسن باشا على مصر.

٥ـ السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ـ ١٨٠٧):

ـ ١٧٩٨ الحملة الفرنسية على مصر.

ـ ١٧٩٩ حملة بونابرت على الشام.

خلاصة ما يراد من أخبار الأمير مراد *
لاسماعيل بن سعد الخشاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم المنان، الباقي وكل من عليها فان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، وبعد فهذه نبذة لطيفة فى أخبار الأمير مراد بيك عامله الله باحسانه. أبتدى فيها من قدومه إلى مصر وأخبار ولايته وإمارته وما تم له من بعض حوداث الدهور إلى حين وفاته إلى رحمة الله تعالى. فأقول مستمدا المعونة من الله تعالى أنه ولى التوفيق.

ورد الأمير مراد بيك إلى مصر سنة ١١٨٣هـ ثلاث وثمانين ومائة وألف فاشتراه سيده المرحوم محمد بيك ابو الدهب، هو والأمير مصطفى بيك الأسكندرانى، وسليمان بيك فى يوم واحد، فحظى عنده وقدمه على مماليكه وولاه خازن داره ثم أعتقه وولاه الصنجقيةعندما أراد التوجه لمحاربة الظاهر عمر بمدينة عكه. وبسط ذلك على سبيل الإجمال أن محمدبيك أبو الدهب لما انفرد بالكلمة بمصر بعد موت سيده على بيك تحركت همته إلى التوجه لقتال الظاهر عمر بمدينة عكه، فجيش الجيوش وجهز العساكر، واستناب بمصر مملوكه الأمير ابراهيم بيك. وتوجه بجيوشه فحاصر عكة، وملكها وقتل الظاهر عمر، واستولى على تلك البلاد وساعدته يد الأقدار على ما أراد، واعتل بتلك النواحى علته التى مات بها، ومرض ثلاثة أيام ومات، وكان من جملة امرايه الذين استصحبهم معه فى تلك السفرة الأمير مراد بيك المذكور، فضبط العسكر بعد موت سيده، واستولى على أمواله وخزاينه. وحمل سيده المذكور فى تخت وقدم به إلى مصر، وبنى له تربة بمسجده الذى أنشاه تجاه الجامع الأزهر، ودفن بها وذلك فى مبدأ سنة تسع وثمانين ومائة وألف، واستقر الأمر بعد لمماليكه وتقدم عليهم الأمير إبراهيم بيك والأمير مراد بيك، وولوا من إخوتهم امرا، وولوا سليمان بيك أغاه الأنكشارية وابراهيم بيك أخاه واليا.

وتمكن لهم الأمر وكان معهم فى البلد اسماعيل بيك الكبير، وكان معهم أيضا أمير يقال له ابراهيم بيك طنان فتوافق كل من ابراهيم بيك ومراد بيك على نفى ابراهيم بيك طنان المذكور فنفوه إلى المحلة، ووضعوا أيديهم على تعلقاته وأرادوا مصادرة اسماعيل بيك فى قرية تتعلق به يقال لها السرو وراس الخليج ونازعهم فى ذلك اسماعيل بيك، ولم يسلم فى رفع يده عن القرية المذكورة، ثم اصطلحوا بعد ذلك وفى النفوس شئ ودبت العداوة بين ابراهيم بيك ومراد بيك واسماعيل بيك سرا، فكان ابراهيم بيك ومراد بيك يضمران قتل اسماعيل بيك أو إخراجه، واسماعيل بيك يريد اخراجهما، واتفق أنه فى رابع عشرين جماد الثانى سنة واحد وتسعين ومائة والف بعث الوزير كافل الديار المصرية إلى الأمرا ليحضروا عنده فى الديوان بقلعة الجبل، لقراءة فرمان ورد من الدولة بأوامر بسبب السفر الذى كان مفتوحا فى العجم، وبعث حضرة مولانا السلطان يطلب

* نشره محققا د.حمزه عبدالعزيز بدر، دانيال كريسيليوس. القاهرة ١٩٩٢.

جماعة من غز مصر إلى السفرالمذكور، وكانوا أرسلوا أحضروا ابراهيم بيك طنان المتقدم ذكره من المحلة، وولوه صارى عسكر على السفر، فلما دعاهم الوزيرالمذكور لقراءة الفرمان المذكور توافق مراد بيك مع جماعة من أخوته على أنهم اذا طلعوا إلى الديوان لقراءة الفرمان يقتلون اسماعيل بيك فى الديوان. واتفق أن نقل بعض الناس هذا الخبر إلى اسماعيل بيك فجمع أتباعه ليلا وخرج إلى جهة العادلية وانضم له يوسف بيك مملوك محمد بيك وحسن بيك الجداوى مملوك على بيك وجماعةأخرون وصعد ابراهيم بيك ومراد بيك ومن انحاز لهم من اخوتهم وانضم لهم من حزبهم إلى القلعة واعتصموا بها.

واستمر الأمر من رابع عشر جماد إلى تاسع عشره والبلد مغلقة والأسباب معطلة، وفى أثناء هذه المدة لحق جماعة باسماعيل بيك وهو فى العادلية وانضموا اليه فمنهم، ابراهيم بيك طنان المذكور، وبعث جماعة محمد بيك المذكور حرسا وعساكر على أبواب المدينة، فدهمهم طايفة من عساكر اسماعيل بيك وقاتلوهم، وقتل من دنا أجله، وملكوا منهم أبواب البلد وانحاز جماعةمحمد بيك إلى داخلها. وبعثوا طايفة منهم إلى بولاق ومصر العتيقة ليأخذوا غلالا كانت هناك لاسماعيل بيك فبعث لهم اسماعيل بيك طايفة من عساكره فشردوهم وأحاط اسماعيل بيك ومن معه بأطراف المدينة، وسعى الباشا فى الصلح بينهم فأرسل ولده سعيد بيك إلى الأمير اسماعيل بيك يدعوه إلى الصلح فلم يجب إلى ذلك. ودخل عبد الرحمن أغا أغاة الأنكشارية إلى مصر ولم يزل حتى وصل إلى باب زويلة وخلف هناك جماعة من العسكر، ثم رجع فغاب قليلا وعاد ومعه ابراهيم بيك طنان، ولم يزل يقاتل جماعة محمد بيك حتى وصل إلى سوق السلاح والمحجر وجلس هناك، ونزل عليهم من القلعة جماعة فتقاتلوا معهم.

ثم دخل الليل فكفوا عن القتال ولما انتصف الليل نزل عليهم من القلعة عساكر مغاربة من الذين كانوا مع مراد بيك فى القلعة فاستأمنوهم، فأمنهم عبد الرحمن أغا، وبعث اسماعيل بيك جماعة ينقبون القلعة ليلا ليتوصل إلى أخصامه، فلما علموا بذلك جماعة محمد بيك نزلوا من القلعة وقصدوا صعيد مصر. وخرج مراد بيك وابراهيم بيك ومعهم ساير اخوتهم ومماليكهم ووضع اسماعيل بيك يده على ساير تعلقاتهم، وكان خروجهم يوم الخميس تاسع عشر جماد الثانى سنة أحد وتسعين ودخل الأمير اسماعيل بيك مصر يوم الجمعة عشرين جماد الثانى ونادى بالأمان وفتحت البلد. واستقر الأمر لاسماعيل بيك وفى يوم الخميس ثالث شهر رجب استدعى الباشا جماعة من مماليك اسماعيل بيك وولاهم الصنجقية.

وفى يوم الثلاثا ثامن شهر رجب من السنة المذكورة خلع الباشا خلعة الصنجقية على اسماعيل بيك الصغير وولاه صارى عسكر على التجريدة المتوجهة من مصر إلى الصعيد لقتال ابراهيم بيك ومراد بيك ومن معهم، وتوجهوا إلى البساتين فى رابع عشر شهر رجب المذكور وتوجهوا فى ثامن عشره برا وبحرا. وفى سادس عشرين رجب المذكور وردت الأخبار بانكسار عسكر اسماعيل بيك وكانوا نحو عشرة آلاف وكانت

الواقعة بقرية يقال لها بياضة ولما ورد الخبر بذلك خاف اسماعيل بيك على نفسه، وكان قد قتل بهذه الواقعة خلق كثير وجرح مرادبيك من يد على أغا المعمار، ومات على أغا المعمار فى هذه الوقعة ورجع اسماعيل بيك الصغير صارى عسكر التجريدة وابراهيم بيك طنان منهزمين بمن معهم، وأحاطوا جماعة محمد بيك بخيامهم وذخايرهم وكان اسماعيل بيك الكبير مذ خرجت العساكر مقيما خارج مصر العتيقة وتوجه إليه الباشا ونصب خيامه هناك. ونادى من أطاع السلطان فاليأت الينا فخرج به جماعة من المغاربة والجند وبعث اسماعيل بيك فأحضر المشايخ وأرباب السجاجيد وطلب منهم الدعاء، وأمرهم بالانصراف، وبعث إلى مصر بالأمان وأمر العامة بالاشتعال بأسبابهم.

وكان جماعة محمد بيك لما بلغهم خروج الباشا قدموا إلى حلوان فبعث لهم اسماعيل بيك والباشا عسكرا، فالتقى الجمعان ين حلوان والتبين فانهزم جماعة محمد بيك، وانتهبت خيامهم ومراكبهم، وكانت هذه الوقعة فى غرة شعبان من سنة احدى وتسعين المذكورة، ورجع اسماعيل بيك إلى مصر وفر مراد بيك ومن معه إلى الصعيد وفى غاية شعبان المذكور وجه اسماعيل بيك حسن بيك واليا على جرجه ولما توجه مراد بيك ومن معه إلى صعيد مصر استولوا على البلاد فجهز لهم اسماعيل بيك عساكر وبعث بها إليهم فى يوم الأثنين ثامن شهر القعدة سنة احدى وتسعين المذكورة وأمر عليهم رضوان بيك وبعث معه ابراهيم بيك طنان وسليم بيك مملوكه.

وفى ثانى عشرين شهر القعدة المذكور خرج اسماعيل بيك الكبير وبصحبته الباشا إلى القصر العينى ثم عاد جماعة من الأمرا المتوجهين فى التجريدة متفرقين، واختلف فى سبب رجوعهم فمن قايل أن الجماعة الذين كانوا معنا توجهوا إلى مراد بيك وأن رضوان صارى عسكر التجريدة وحسن بيك الجداوى فروا إلى مراد بيك، ومن قايل غير ذلك وقصارى الأمر أن اسماعيل بيك رجع إلى مصر فى تاسع محرم سنة اثنين وتسعين وصعد فى اليوم الثانى من رجوعه أو الثالث إلى القلعة، وأحضر أرباب السجاجيد والعلما وتشاور معهم فى شأن ذلك، ولم يتفقوا على شئ وقالوا له هذا شئ لا دخل لنا فيه ونزل فشرع فى توزيع أمتعة بيته وكذا أمراه وأضطربت أحوالهم. وورد الخبر بأن إبراهيم بيك ومراد بيك قد وصل أوايل عسكرهم إلى البساتين وبعضهم إلى الجيزة، فخرج اسماعيل مع صناجقه ليلا إلى العادلية ليلة الثلاث رابع عشر المحرم سنة اثنين وتسعين وماية والف وخرج معه إبراهيم بيك طنان وخرج من أمراه ابراهيم بيك قشطة وسليم بيك واسماعيل كتخدا العزب وجماعة كثيرون وتوجهوا معه إلى العادلية، ومزقوا كل ممزق وتوجهوا إلى الأقطار الشامية.

فكانت مدة انفراد اسماعيل بيك بالكلمةستة أشهر وأيام، ودخل ابراهيم بيك ومراد بيك إلى مصر يوم الخميس ثامن عشر المحرم سنة اثنين وتسعين وماية وألف. ودخل معهم حسن بيك الجداوى، ثم انبعثت العداوة بين مراد بيك وحسن بيك الجداوى، وجمع مراد بيك اخوته واتفقوا على قتل جماعة على بيك وحسن بيك الجداوى ومن معه، وكذلك توافق جماعة على بيك مع بعضهم على قتل جماعة محمد بيك، وانضم لهم وحسن بيك رضوان وعلى بيك الحبشى وجماعة آخرون

واجتمعوا بمنزل حسن بيك الجداوى وأمروه عليهم، واشتعلت نيران الحرب والقتال، وتحاربوا فى شوارع المدينة وملك القلعة وزحف جماعة محمد بيك إلى منزل حسن بيك الجداوى فحاصروه، وفر جماعة على بيك إلى ناحية العادلية خارج باب النصر فأدركوهم هناك وتحاربوا، فقتل فى هذه الوقعةحسن بيك رضوان وجماعة كثيرون وفر حسن بيك الجداوى ووقعت أمور يطول شرحها، وقصارى الأمر أنهم ظفروا بحسن بيك الجداوى وبعثوا به إلى السويس لينفوه إلى جده فلما صار فى البحر توجه إلى صعيد مصر، ثم كاتبهم اسماعيل بيك وهو بالأقطار الشامية والتمس منهم أن يجلسوه بالسرو ورأس الخليج قرية من قرى مصر، فلم يجب ابراهيم بيك ومراد بيك إلى ذلك بل قالوا يتوجه إلى جده ونقوم له بنفقته.

ووقعت أمور خلاصتها أن اسماعيل بيك المذكور رجع من غزة وفر إلى صعيد مصر فعندما بلغ مراد بيك ذلك خرج خلفه فلم يدركه وأدرك ممن كان معه عبد الرحمن أغا عند حلوان فجاء برأسه ولم يزل اسماعيل بيك مقيما بصعيد مصر هو وحسن بيك الجداوى حتى قدما فى وقت حسن باشا وفى أواخر شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف تجهز مراد بيك لقتال اسماعيل بيك وحسن بيك، وكان قد انضم لهم طايفة من المنفيين وجمعوا جموعا من العرب وغيرهم، فتوجه لهم مراد بيك فى جيش عظيم، فلما دنا منهم شردوا متوجهين إلى أقصى الصعيد ولم يظفر بهم مراد بيك وكر راجعا إلى ناحية المنية ثم فى سادس شهر جماد الأول سنة أربع وتسعين وصل إلى مصر ومعه ابراهيم قشطة صهر اسماعيل بيك، وسليم بيك أحد صناجق اسماعيل بيك أيضا، وقد انعقد بينه وبين اسماعيل بيك صلح على أن يأخذ اسماعيل بيك إخميم وحسن بيك قنه وقوص، وجاءوا بهذين الأميرين المذكورين رهاين.

ثم فى ثامن عشر شهر القعدة من السنة المذكورة هرب سليم بيك وابراهيم بيك قشطة المذكوران ومعهم طايفة من أتباعهم الذين كانوا بمصر، وفى هذه السنة التى هى سنة أربع وتسعين حج مراد بيك أمير الحاج، وتحارب مع العرب حرابة عظيمة ولم ير الحاج فى تلك السنة مشقة سوى ما وقع من الحرب مع العرب. ودخل مراد بيك مصر منصرفا من الحج فى اثناء شهر صفر سنة خمس وتسعين ومائة والف ثم استعد لقتال اسماعيل بيك ومن معه، فجهز عساكره وتوجه بها إلى الصعيد لقتال الفارين، وبعد وصوله وردت الأخبار إلى مصر بأن بعض الفارين قد انضم إليه ممن كان مع إسماعيل بيك وحسن بيك، وأن اسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى هربوا إلى أقصى الصعيد، ثم حضر مراد بيك فى منتصف رجب من سنة خمس وتسعين المذكورة، ثم توافق ابراهيم بيك مع مراد بيك على نفى جماعة من إخوته فنفوهم إلى صعيد مصر وغيره.

وكان ذلك فى أثناء سنة سبع وتسعين والجماعة الذين أرادوا نفيهم هم ابراهيم بيك الوالى، وسليمان بيك أغاة الأنكشارية، وايوب بيك الصغير فأما أيوب بيك فنفى إلى المنصورة وأما ابراهيم بيك الوالى فنفى إلى السرو ورأس الخليج وأما سليمان بيك فانه كان مقيما بالغربية والمنوفية لجباية الخراج وكان عثمان بيك الشرقاوى مقيما

بطنطا وبعثوا له خلعة الصنجقية وهو هناك، وكان مصطفى بيك الصغير مقيما بتلك النواحى فبعث مراد بيك لمصطفى بيك الصغير وعثمان بيك الشرقاوى ليحضرهما إلى مصر فأبيا، وقالا لا نحضر إلا اذا حضر اخواتنا المنفيون، ورد لهم ما أخذ من متاعهم فلم يجب ابراهيم بيك ولامراد بيك إلى ذلك. فتوافق الخمس صناجق المنفيون المذكورون على التوجة إلى صعيد مصر وذلك بعد صدور أمور وقعت لهم ومنهم لا نطيل بذكرها حيث لا طايل فيه، فاجتمعوا وساروا من خلف الجبل وساروا إلى صعيد مصر فاستقروا به، وعزموا على المقاتلة مع أخوتهم من جماعة محمد بيك فبعث لهم ابراهيم بيك ليصلحهم على أن يجلس كل منهم فى قرية مخصوصة وأن يجرى على كل واحد منهم من النفقة ما يحتاج إليه، فأبوا وصمموا على الحرب فشرع ابراهيم بيك فى تجهيز عساكر ليتوجه بها اليهم، ثم لما تم استعداده سافر ثم ورد الخبر بعد ذلك بأنه قد انعقد بينه وبينهم صلح، ثم حضر ابراهيم بيك من سفره وحضروا بعد ذلك على أثره وحضر معهم على بيك وحسين بيك مملوكا اسماعيل بيك، فغضب لذلك مراد بيك وأسره فى نفسه ولم يبده، ثم شرع مراد بيك فى نقل حوايجه من منزل وكذا صنع أتباعه واستعد للخروج وكان ذلك فى سنة سبع وتسعين وماية وألف، ولما علم ابراهيم بيك بذلك بعث خلفه إلى الجيزة سليمان بيك المعروف بأبى نبوت ولاشين بيك ليردانه ويصطحبانه فأبى مراد بيك الصلح ونهرهم وركب من ليلته متوجها إلى صعيد مصر.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وماية والف، وكان ابتداؤها يوم الأربع وفيه حل مراد بيك بمنية ابن خصيب ثم بعد مدة بعث ابراهيم خلف مراد بيك طايفة من العلماء منهم الشيخ شهاب الدين أحمد العروسى شيخ الجامع الأزهر والسيد محمد أفندى البكرى نقيب الأشراف رحمهم الله تعالى، وجماعة آخرين فتلقاهم مراد بيك وأكرمهم وتوافق معهم على أن يتوجهوا إلى مصر وأن يجئ خلفهم، ثم حضر بعد ذلك إلى اقليم الجيزة بجيوش كثيرة فيها أخلاط من العرب وغيرهم، فوجه له ابراهيم بيك جماعة من الأمرا فلما قربوا ضرب عليهم مدافع، وكان الجماعة المتوجهون من قبل ابراهيم بيك انما وجههم للسعى فى الصلح، فلما ضرب عليهم مراد بيك ببر الجيزة بمن معه وأخذوا يضربون على بعضهم المدافع واستمر هذا الأمر ثمانية عشر يوما، ولم يمت فى هذه الواقعة سوى فرس وخادم، واشتد الخوف بأهل مصر والجيزة وتعدت العرب فى الطرق وأفسدوا فيها على جارى عادتهم. ثم أرسل ابراهيم جماعة من أتباعه فعدوا فى المراكب وخرجوا على بولاق الذكرور بالمدافع وآلات الحروب وقعدوا قدام مراد بيك وضربوا عليه مدفعين، وبات الفريقان على غاية الخوف ولما أسفر الصباح لم يجد جماعة ابراهيم بيك مراد بيك ولا أحدا من جماعته وكان قد فر مراد بيك ليلا وترك أثقاله وتوجه إلى الصعيد وفى آخر جماد من السنة المذكورة وجه الأمير ابراهيم بيك على كتخدا الجاويشية، ولاشين بيك إلى مراد بيك لإجراءالصلح فانعقد الصلح بينهم على أن يعود مراد بيك إلى مصر، وأن يوجه له ابراهيم بيك ولده مرزوق بيك اليه، فأجاب إلى ذلك وأرسل ولده مزوق بيك فاستصحبه مراد بيك معه إلى مصر.

ووصل إلى غمازة يوم الجمعة سادس عشر رجب من سنة ثمانية وتسعين المذكورة، وتوافق مع ابراهيم بيك على ألسنة الرسل المترددة بينهما على إخراج خمسة من اخواته، وهم عثمان بيك الشرقاوى، وأيوب بيك، وسليمان بيك، وابرهيم بيك الصغير، ومصطفى بيك الأسكندرانى الصغير، فلما شعروا بذلك خرجوا من مصر ولم يكن مراد بيك دخلها، ودخل مراد بيك يوم خروجهم وبلغه خروجهم فلحقهم، وأدركهم عند قليوب وتحارب معهم ووقع فرسه من تحته وجاؤا له بفرس غيره فركبه ورجع إلى مصر، وخرج الجماعة الفارون عن طريق الجسر الأسود وأرادوا التوجه إلى الصعيد من خلف الأهرام، وبلغ ذلك ابراهيم بيك فبعث إليهم جماعة عاقوهم عند الأهرام وجاؤا بهم على هجن وقبضوا عليهم ونفوهم فى جهات، فنفوا مصطفى بيك إلى فارسكوا، وأيوب بيك وإبراهيم بيك الصغير إلى المنصورة، وبقيهم إلى قرى هناك. وكان ذلك فى مبدء شعبان من سنة ثمانية وتسعين المذكورة، وجرت أمور يطول شرحها.

وغاية الأمر استردوا جماعة منهم إلى مصر ثانيا فى مبدء شوال من السنة المذكورة، ونقل مصطفى بيك الصغير من فارسكور إلى برج سكندرية فبقى به إلى أن استردوه فى أواسط شهر الحجة سنة ثمان وتسعين المذكورة. ثم دخلت سنة تسع وتسعين وماية وألف وقع فيها غلا عظيم ومات معظم الناس، وكان مبدؤه قصور النيل. وعموم الظلم، وقصور يد الفلاحين بسبب ذلك، ووقع فى أثناء هذه السنة موت بالطاعون. ثم انقضت سنة تسع وتسعين المذكورة، ودخلت سنة مايتين واستهلت بيوم الجمعة. وفى منتصف ربيع الأول من هذه السنة شرع مراديبك فى السفر إلى جهة الأقليم البحرى، وأشاع أنه يريد القبض على قطاع الطريق ثم بعث مندوبا من طرفه إلى سكندرية وهوخارج مصر، وفرض على أهلها مبلغا لايستطيعون الوفاء به وأمر بهدم مابها من الكنايس فهرب تجارها ومعظمهم من النصارى الذين بها وبلغ قنصل الموسكوا الذى سكندرية فبعث يقول لمراديبك أنا أقوم بجميع ماتطلبه من عندى عن أهل سكندرية بشرط أن يكون بفرمان من الباشا، وأنا أعرضه على السلطان العثمنلى، فرجع ذلك المعين عن الطلب، وصولح على مبلغ حق طريق قدره خمسة آلاف ريال اعطيت له وعاد إلى سيده مراد بيك.

ثم رجع مراد بيك إلى مصر بعد أن نزل على جميجمون قرية من قرى مصر فهدم معظمها ونهب سعيها، وعسف أتباعه وتسلطوا على أهل القرى سلبا ومصادرة وفى أثناء هذه السنة هرب مصطفى بيك الصغير الذى كان منفيا بسكندرية وأحمد بيك الكلارجى، ولاشين بيك، وعثمان بيك الشرقاوى، وجماعة إلى صعيد مصر. ثم أرسل مراد بيك فى جماد الأول من السنة المذكورة إليهم أخاهم أيوب بيك الصغير ليصالحهم، فتوجه وعاد فى منتصف جماد الثانى ومعه عثمان بيك الشرقاوى، ثم حضر بعد ذلك اخوته المذكورون بمدة يسيرة واستقروا جميعا بمصر. ثم استفاض على ألسنة الناس بوصول مركب البيليك إلى سكندرية ثم وصل على أثره غليون فيه سبعون الف أردب غلة فأخرجوها وشرعوا يعملوا بقصماط وكثر اللغط فى ذلك.

ثم ورد على أثر ذلك مندوب من طرف الدولة

وبيده خط شريف قرئ بالديوان وملخصه طلب الخزاين المنكسرة وتشهيل غلال الحرمين ثم اشيع أن حسن باشا القبطان قادم إلى سكندرية وصحبته عدة مراكب وعساكر. وفى ثانى شعبان من السنة المذكورة نادى سليم أغا أغاة مستحفظان فى سوق السلاح بشيل ما يخافون عليه من حوانيتهم، فكثر اللغط وركب ابراهيم بيك وتوجه إلى مراد بيك وتحدث معه سرا، ثم ركب مراد بيك وصعد إلى قلعة الجبل وأخذ يقبل يد محمد باشا كافل الديار المصرية ويخضع له ويقول نحن نقوم بدفع جميع ما علينا ونرتب القوانين كما كانت وقد تبنا إلى الله تعالى.

وفى مبادئ رمضان تحدث الناس بوصول حسن باشا إلى سكندرية، فزاد اضطراب الأمراء ثم توافقوا على أن يبعثوا إلى حسن باشا القبطان جماعة من العلماء والوجاقلية فعينوا لذلك العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد العروسى، والعلامة الشيخ محمد الحريرى والعلامة الشيخ محمد الأمير المالكى، وبعثوا معهم سليمان بيك الشابورى ومن الوجاقلية ابراهيم أغا الوردانى واسماعيل أفندى الخلوتى فسافروا فى يوم الجمعة ثانى عشر رمضان متوجهين إلى حسن باشا فلما قربوا من ثغر رشيد رآهم حسن باشا، فبعث اليهم مركبا صغيرا ونقلهم من مركبهم إليها ثم أنزلهم فى مكان على انفرادهم وبعث لهم ما يحتاجون اليه، ثم بعث اليهم فاحضرهم وسألهم عن سبب قدومهم، فقال له العلامةالشيخ العروسى جيناك نكلمك فى شان مصر فإن أهلها قوم ضعاف فجينا للسلام عليك، ولنوصيك بالرعايا خيرا فان العسكر لا ينضبطوا، وعدل الشيخ عن ذكر امراء مصر لعلمه بأن ذلك لا ينفع، فقال له حسن باشا أما أهل مصر ورعاياها فلا بأس عليهم، وأما مماليك محمد بيك فلابد من قتلهم وتشريدهم، وكان عدم ذكر الأمرا على لسان الشيخ أحمد العروسى من اللطف به فان ابراهيم بيك ومراد بيك وبقية اخوتهم انعقد رأيهم بعد أرسال المشايخ المذكورين على محاربة حسن باشا، وتجهزوا لذلك وشرعوا فى تعزيل بيوتهم، وخرج مراد بيك ومعه من أخوته نحو أحد عشر أميرا وذلك فى رابع عشرين رمضان من السنة المذكورة وفى ثامن عشرينه لحقه مصطفى بيك الكبير بجماعة كثيرين.

ورجع العلما الذين كانوا برشيد فى ذلك اليوم وبيدهم مكاتبات إلى مشايخ السجاجيد وأهل مصر بالأمان وفى ثالث شوال التقى جماعة من عسكر الروم مع مصطفى بيك ومعهم أربع مراكب وبصحبتهم هدية قدموها له، وذكروا له أنهم جاءوا هاربين من عند حسن باشا ليكونوا مع المصريين ثم استأذنوه فى العودة إلى مراكبهم ورجعوا إليها ووقفوا بها أمام خيامه، وأطلقوا عليه مدافع وخرج منها جماعة بأيديهم السيوف واقتتلوا قتالا شديدا، هكذا نقل الخبر بعض من كان معم وفى ذلك اليوم ركب ابراهيم بيك وطاف على مشايخ السجاجيد والعلماء ليستعطفهم عندما بلغه قدوم المكاتبة من حسن باشا. ثم شاع أن مراد بيك قد انهزم، ثم وردت مراكب فيها خلق كثيرون جرحا، ثماغلقت حوانيت البلد فى ذلك اليوم، وفى ذلك اليوم نودى على القالينجية بخروجهم من مصر وفيه نزل الباشا إلى باب العزب وجلس فيه.

وفيه بعث ابراهيم بيك قوما من طوفه إلى القلعة فمنعهم الباشا من الصعود وردهم، ثم طلع

جماعة من الأمرا واستاذنوا على الباشا فإذا لهم بعد أن تجردوا من أسلحتهم فقبلوا إتكه وأستأمنوه فوعدهم أن يؤمنهم وهم إبراهيم بيك الصغير، وايوب بيك الكبير، وعلى كتخدا الجاويشية، وسليمان بى الشابورى، وأحمد جاويش المجنون، وجماعة أخرون وبعث الباشا خلف أعيان العلما وأرباب السجاجيد فأحضرهم وتواضع لهم كثيرا، والتمس منهم أن يبيتوا معه ليستأنس بهم وليأمن على نفسه من قيام جماعة محمد بيك الذين بمصر عليه. وفروض لهم مجالس يجلسون بها وعين لهم مايحتاجون إليه فأجابوه إلى ذلك. ورجع مراد بيك منهزما إلى برانبابه ثم ذهب مراد بيك إلى قصره الذى بجزيرة الدهب.

وركب ابراهيم بيك إلى مصر العتيقة وبعث الباشا قوما من طرفه ينادون فى الأسواق على الوجاقات وأهل خان الخليلى أن يصعدوا إلى القلعة، فصعد خلق كثير وكان الجماعة الأمرا الذى أمنهم الباشا مقيمن بالقلعة فتوافقوا على قتل الباشا،وأخذوا يطوفون حول مجلسه ففطن لهم وأمرهم عند ذلك بالنزول، فنزلوا وتوجه جماعة منهم إلى بولاق، وأخذوا غلالا فبعث لهم فرمانا ينهاهم عن ذلك، فمزقوه وانتظروا من بقى من جماعتهم وتوجهوا خلف اخوتهم ثم بعث ابراهيم بيك ومراد بيك وهو ببر الجيزة مكاتبة للعلما مضمونها أنهم يشفعون لهم عند الباشا وأنهم تابوا، فعرضها العلما على الباشا فلما قرأها قال ياسبحان الله كم يتوبون ويرتدون. ثم بعث الباشا طايفة من العسكر المغاربة فأمرهم بالجلوس بالرملية وجامع السلطان حسن للمحافظة واشتد الأمر وورد الخبر بقدوم حسن باشا إلى شلقان ثم بعد ذلك إلى بولاق فلم يبق عند ذلك مكان لجماعة محمد بيك بمصر، وخرجوا على وجوههم يطلبون صعيد مصر، وعدا مراد بيك من البر الغربى إلى بر مصر العتيقة ونزل بالمكان المعروف بأثر النبى واجتمع بأخيه إبراهيم بيك وبقية جماعتهم وسأروا متوجهين إلى الصعيد فسبحان الفعال لما يريد.

وكان خروجهم من مصر ودخول حسن باشا إليها فى سابع شوال سنة مايتين وألف. ثم لما دخل حسن باشا مصر وضع يده على تعلقاتهم ماعدا مايتعلق بنسائهم فإنهن صالحن عليه، فأبقاه لهن يتعيشن به، وذلك بعد صدور أمور يطول شرحها خلاصتها ماذكرته، وأخذ يبيع جواريهن فعارضة العلما فى ذلك ومنعوه منه ثم أشار عليه رجل يقال له بشناق أفندى إلى أن يكتب الوكالة حتى يحاسبهم على الأموال المنكسرة عندهم للدولة. ثم حضر فى تاسع عشرين شوال عبدى باشا بعساكر من البر وصحبته درويش باشا شابان أوغلى، ومعهم عساكر مختلفة الأشكال عجيبة الصور على خيول وأكاديش فتلقاهم حسن باشا.

وفى ثانى القعدة توجه عبدى باشا ودرويش باشا إلى البساتين، ثم توجهوا بعد ذلك بعساكرهم إلى الصعيد وفى يوم السبت ثامن عشرين القعدة ورد الخبر بأن الباشوات محاصرين لجماعة محمد بيك، وأن اسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى قد سدوا على جماعة محمد بيك طريق الذهاب، فهم محصورون بين عبدى باشا ودرويش باشا وبين اسماعيل بيك وحسن بيك. وفى غاية القعدة حضر إبراهيم بيك قشطة مملوك اسماعيل بيك

وبصحبته زوجته بنت اسماعيل بيك، وفي غاية شهر الحجة ختام سنة مايتين ورد من عبدى باشا كتاب أرسل إليه من جماعة محمد بيك مضمونه أنكم نهبتم بيوتنا، وبعتم جوارنا واستأصلتم أموالنا، وهل هذا من فعل المسلمين ومولانا السلطان لايرضى بذلك وذكر عبدى باشا أنه أجابهم عن هذا الكتاب ونقض جميع مااحتجوا به.

وفي ثالث المحرم سنة أحد ومايتين وألف وقعت مقتله عظيمة بين جماعة محمدبيك وعبدى باشا وشابان أوغلى واسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى، وحارب ابراهيم بيك ومراد بيك في ذلك اليوم وجماعتهم حربا شديدا، وأصيب اسماعيل بيك في ذلك اليوم برصاصة في فمه، ومات من عسكر شابان أوغلى في ذلك اليوم خلق كثير جدا، ولم يبق منهم إلا القليل وورد اسماعيل بيك إلى مصر في سابع المحرم سنة أحدى ومايتين والف، ومات من جماعة محمد حسن بيك ومحمد بيك المبدول ويحيى بيك للمحافظة، وأن يحضر عبدى باشا ثم حضر عبدى باشا في حادى عشر رجب وصحبته اسماعيل بيك وكان بعد أن حضر إلى مصر في التاريخ المتقدم وجهه حسن باشا ثانيا لمعاونة عبدى باشا فلمارجع عبدى باشا، رجع معه اسماعيل بيك ثم استقر الأمر على أن يكون اسماعيل بيك ريس مصر.

ثم في غرة شوال سنة تاريخه بعث ابراهيم بيك ومراد بيك يطلبون بلادا يتعيشون فيها من إقليم الصعيد، فأجيبوا إلى ذلك وأمنوا، ثم في هذا الشهر المذكور عمل حسن باشا ديوان وأحضر عبدى باشا والعلما وذكر أنه يريد السفر لغزو الموسكو، وأنه قد صفح عن جماعة محمد بيك بشرط أن يجلسوا في الصعيد، وأن لايدخلوا مصر إذا خرج منها. ثم سافر حسن باشا في يوم السبت ثاني عشرين شهر الحجة فكانت مدة إقامته في مصر سنة واحدة وشهرين ونصف. ثم استقر الأمر لاسماعيل بيك ومعه حسن بيك الجداوى. ولم يزل يتكلم على مصر إلى أن مات بالطاعون في أثناء شهر شعبان سنة خمس ومائتين وألف. وكان الطاعون قد عم عموما شموليا بحيث كان يموت في كل يوم نحو الألفين تقريبا، حتى قفل بيوتا كثيرة ومات به نحو أربعة عشر صنجقا وخلت مصر من الأمرا والغز ولم يبق بمصر إلا حسن بيك الجداوى وعثمان بيك طبل وعثمان بيك حسن في نفر قليل.

فلما بلغ ذلك جماعة محمد بيك فدخلوا إلى مصر في سادس عشرين شهر القعدة سنة خمس ومايتين وألف وأستقر لهم الأمر، ووقع بعد دخولهم غلا عظيم سببه أستيلاهم على سائر الغلال، وقصور النيل وضعف الناس.

ووقع في هذه المدة في مصر فتنة مبدؤها أن أمير من من أمرا مراد بيك مال على بلد في الشرقية متعلقة بالشيخ عبدالله الشرقاوى فامتنعت من اداء ماقرره عليها، فركب عليها فضربها فشكى أهلها إلى العلامة الشيخ عبدالله الشرقاوى، فأنهى ذلك إلى مراد بيك فلم يصغ إلى شكايتها فتحزب العلما وقالوا لانرضى بالظلم، وخاف الناس من قيام الفتنة فاغلقت البلد وبعث إلى إبراهيم بيك يقول له أما أن ترسل خلف مملوكك فتجيء به من الشرقية وتكفه عن الظلم وأما أنى اترك لك الأمارة، واقيم مع العلما بالأزهر، فانحلت لذلك عرى مرادبيك وخاف من انضمام إبراهيم بيك، إلى الرعية واجتماع كلمتهم عليه فخفض من نفسه قليلا ولين جانبه ، وبعث يستعطف العلما ويقول اجيبكم إلى كل ماسألتموه. وجرت أمور يطول ذكرها خلاصتها أنهم اجتمعوا بمنزل

إبراهيم بيك واجتمع العلما هناك،وأرباب السجاجيد وحضر الباشا والقاضى وكتب على الأمرا حجة على ماانعقد الصلح عليه وكان الذى وقع عليه عقد الصلح أن يدفعوا سبعماية كيس وخمسين كيسا موزعة على ثلاثة مرات جامكية الفقرا وعلى أن يدفعوا غلال الحرمين وأموال الرزق، ويبطلوا رفع المظالم وساير المكوس إلا ديوان بولاق، وأن يقوموا بعوايد الحج، ومال الحرمين ويسيرون فى الناس سيرة حسنة، وعلى أن ترد منهوبات القرية التى ترتب على نهبها اثارة هذه الفتنة، وختم القاضى والباشا وابراهيم بيك على تلك الحجة، وبعث بها إلى مراد بيك فرضى بذلك، وانجلت هذه الفتنة فى اليوم الرابع وافتتحت الأسواق، ولم يلبثوا الا نحو ثلاثين يوما ثم عادوا إلى نحو ماكانوا عليه.

وفى سنة اثنى عشر ومايتين وألف فى شعبان من السنة المذكورة نزل مراد بيك إلى دمياط وجعل عليها قدرا من المال لا يحتمله أهلها والزمهم بدفعه ومن امتنع عوقب فباع الناس امتعتهم بثمن بخس ليوفوا ماجعله عليهم اتقاء شره، وكان يقول أن ما اخذته منكم لايعدل الأموال التى انفقتها فى سد ترعة الفرعونية، ومنفعة سدها عايدة عليكم، وكان الذى يباشر سد الفرعونية من قبل مراد بيك عثمان بيك الشرقاوى، فإنه كان هو الذى اختاره مراديبك لينوب عنه فى مباشرة ذلك، وكان ربما كلف الناس العمل بدون اجرة وانهار مرة الجسر على جماعة يحفرون فردمه عليهم ولم يغسلهم ولم يكفنهم ولم يصلى عليهم.

ورجع مراديبك من دمياط فى أثناء رمضان من السنة المذكورة وفرق معظم ماجاء به من الأموال على مماليكه وأتباعه وخدمه، ومما نقله عنه بعض خواصه الذى كانوا يترددون إليه فى خلواته أنه كان فيما قبل تاريخه قد مد يده إلى بعض أموال الفرنساوية، والله أعلم بحقيقة الحال فأخذ منها جانبا، وبلغهم ذلك فبعثوا يطالبونه برد ماأخذه من اموالهم فوعدهم وماطلهم، ثم شكوه إلى الدولة العثمانية فبعثوا إليه مندوبا من قبلها بفرمان يتضمن امره بدفع ماأخذه من أموال الفرنساوية، فأبى واستضعفهم بالنسبة له فى زعمه، فحرك ذلك من نفوسهم ما اقتضى أن يتجهزوا إلى مصر لإستخلاص أموالهم، حيث ابى أن يدفعها راضيا فتجهزوا وقدموا و وردوا اسكندرية ثالث عشر محرم سنة ثلاثة عشر ومايتين وألف فملكوها.

ووصل الخبر إلى مصر يوم الأربع خامس عشر المحرم من السنة المذكورة، فبعث ابراهيم بيك من طرفه مملوكا إلى بعض إخوته فكان ذلك المملوك يقول وهو راكب على فرسه قد هلكت سكندرية باعلا صوته، ففزع الناس فزعا شديدا ونزل الباشا وابراهيم بيك إلى قصر العينى، وحضر هناك مراد بيك وارسل خلف المشايخ فجمعهم بأجمعهم، والتمس منهم أن يكتبوا كتباً إلى الأرياف ليجمعوا الناس فقالوا لسنا أمراء فيمتثل أهل الأرياف امرنا، فبعث ابراهيم بيك ومراد بيك كتبا من عندهما إلى أهل القرى ليجمعوا خلقا ويعطوهم نفقة ويرسلوها إليهم، فلم يبعث احدا من أهل القرى رجل ولاغيره، وذلك لما اسلفوه معهم فلما اشتد الأمر وورد الخبر بأن بونابارته قد قدم إلى دمنهور خرج مراديبك وبعض امراء بصحبته إلى الرحمانية لمقاتلة الفرنساوية، وبقى إبراهيم بيك بشاطى النيل ببولاق واخذ يعزل متاعه وكذا بقية اتباعه واستعدوا للفرار.

والتقى مراديبك مع الفرنساوية فلم يثبت ورجع منهزما،ونصب خيامه بالبر الغربى واخذ

يعزل متاعه ايضا ثم ورد الفرنساوية إلى انبابة يوم السبت سابع صفر سنة ثلاثة عشر ومايتين والف، وكان قدومهم وقت الظهر فتقاتلوا مع مراد بيك فى البر الغربى فانهزم، وقتل فى ذلك اليوم إبراهيم بيك الوالى، وايوب بيك الصغرى، وخلق كثير. وأدبر مراد بيك بعد اذان العصر من ذلك اليوم، واخذ اتباعه يرمون أنفسهم إلى البحر، وكان ابراهيم بيك والباشا فى البر الشرقى فلما ولى مراد بيك ركب إبراهيم بيك والباشا وتوجهوا إلى العادلية ومكثوا إلى نصف الليل وساروا إلى بلبيس ثم إلى غزة بعد أن وقعت بينهم وبين الفرنساوية معركة بلبيس، وأما مراد بيك فإنه توجه إلى الصعيد، ولما حل ركاب الفرنساوية بمصر جهزوا خلفه طايفة من العسكر الفرنساوى، فالتقى معهم ومات منه كثير،ثم عدا إلى البر الغربى والتقى مع ايضا جماعة من الفرنساوية فحاربوه وقتلوا منه خلق كثيرا، ولم تزل الفرنساوية تحاربه وتتبعه العساكر حتى اخرجوه إلى بلاد البربر [النوبه]، ثم عاد بعد مده واراد الوصول إلى غزه من خلف الجبل فعارضه عساكر الفرنساوية فحاربوه وشردوه ولم يبق معه من اتباعه إلا ثمانية عشر نفسا، هكذا حدثنيه رجل ممن كان معه وامنه الفرنساوية وقدم إلى مصر.

وشرد مراد بيك فى الجبل على هجين وكان اعظم اتباعه يخدم فرسه بنفسه، وتفرق اتباعه فى البلاد ولبسوا الصوف والذل وساءت احوالهم، ثم لما وقع الصلح بين سر العسكر كلهبر وحضرة يوسف باشا الوزير فى ثانى عشرين شعبان سنة اربعة عشر ومايتين والف، بعث حضرة الوزير إلى مراد بيك ليستدعيه، فامتنع من الحضور ثم اجاب بعد ذلك وحضر فى العشر الأول من شوال إلى الخانكة، وكان حضرة الوزير قد حضر إلى هناك، فلما لم يتم الصلح وحارب عساكر الفرنساوية عساكر الوزير، وكر حضرة الوزير راجعا بعساكره، استأمن مراد بيك سر العسكر كلهبر فامنه على أن يدخل تحت طاعة الفرنساوية ويقيم بصعيد مصر، ويعطى له من البلاد مايتعيش به هو ومن معه بشرط أن يدفع الخراج إلى الفرنساوية فأجاب إلى ذلك.

وانعقد الصلح بينهم وبين سر العسكر كلبهر فتوجه إليه وأكل معه، ووقع بينهما التوافق على ماتقدم ذكره، وكتب له سر العسكر كلهبر امانا شافيا، واقام عنه بمصر وكيلا حسين كاشف وتوجه، مراد بيك إلى الصعيد ومعه صناجقه واتباعه، ولم يزل مقيما هناك حتى ادركه اجله، ومات بالطاعون فى ثامن عشرين شهر القعدة(سنة١٢١٥/١٢ابريل سنة١٨٠١). ودفن إلى جانب قبر الشيخ العارف بناحية ثقة فى سوهاج رحمه الله تعالى واحسن إليه، فقد كان اميرا رحب الصدر فيه كرم، ولكن الإمارة لاتخلو عن العسف، والله تعالى يعامله بعفوه واحسانه أنه العفو الغفور الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمدلله رب العالمين.

وكان الفرغ... موافق ثامن عشر ١٨ شهر محرم سنة١٢١٦

ستة عشر ومائتين وألف

نظامنامه مصر
لأحمد باشا الجزار

مقدمة عن: أحمد باشا الجزار

تمثل حياة أحمد باشا الجزار، سلسلة من المؤامرات والدسائس، التى كانت تبرز السمة الاساسية للحياة السياسية فى ظل السلطنة العثمانية. ولقد كان نبوغ الجزار فى تنظيم المؤامرات وتدبير الدسائس، عائدا فى الاساس إلى طبيعة هذه السلطنة التى كانت تعتنق منذ بداياتها، على يد سلاطينها الأول، مقولة: أن القوة هى الوسيلة الوحيدة لبسط نفوذها، وأن مالا يؤخذ بالقوة يؤخذ بالخديعة والتآمر، والغدر والرشوة. بل أحياناً باسم الدين والتمسح به. وماكان من الممكن لمثل هذه المبادىء إلا أن تفرز زعامات تجعل الحياة السياسية والاجتماعية للسلطنة ميدانا لها وملعباً تزهق فيه كل المبادىء الشريفة لحساب مبادئها، وتعلى من شأن عديمي الذمة والأفاقين، وفاقدى الضمائر، ومحبى سفك الدماء ومبتزى الأموال والثروات. فكانت خدمات مثل الاغتيال، ودس السم، وحرق القرى والمنازل، والايقاع بين الناس بالفتن العصبية والدينية، ترتفع بكل من يتقنها إلى زمرة الطبقة الحاكمة والمستفيدين منها. ولقد كان الجزار من هذا الصنف من الزعامات التى افرزتها السلطنة العثمانية لتخدم بها مصالحها وأهدافها، وأن كان سقوطها النهائى تم بسبب هذه الزعامات.

ولد أحمد حوالى عام ١٧٣٤م=١١٤٧هـ فى بلاد البوسنة (ومن هنا لحق اسمه لقب «البوشناقى») فى اسرة مسيحية، ولما بلغ السادسة عشرة من عمره هرب من البوسنة إلى القسطنطينية. ويذكر آحد المؤرخين، أن السبب فى هربه كان محاولته الاعتداء على امرأة أخيه، بينما يذكر آخر أن السبب هو اغتصابه لخطيبته، ويذكر ثالث أن هروبه ربما كان بسبب جريمه قتل.

وفى القسطنطينية باع نفسه لتاجر رقيق كان يجمع الفتيان من مختلف بلدان شرق أوربا ثم يوردهم كعبيد (حسب نظام الدوشرمه) للباب العالى حيث اعتنق الدين الاسلامى لاعن قسر وهذا حقيقى بل لعدم استطاعته الحصول على أى مركز ذى نفوذ يحقق طموحه. وقد انتهى الأمر بأحمد البوشناقى إلى العمل فى سلك البحرية العثمانية، حيث هرب منها بسبب سوء سلوكه، ثم عمل فى خدمة على باشا حكيم أوغلى الذى اخذه معه إلى مصر عندما عيّن للمرة الثانية نائباً على مصر عام ١٧٥٧=١١٧١هـ، حيث عمل عنده «شفاسياً»، وعندماعزل على باشا حكيم وعاد إلى استنبول كان الجزار فى الحجاز مع قافلة الحج المصرية التى كان أميرها صالح بك القاسمى والذى ارتبط معه بصداقة ومودة، فعاد إلى القاهرة وخدم فى بيت أحمد كاشف أحد الأمراء المماليك، ولبس زى المماليك المصرية وتعلم الفروسية على طريقة الأجناد المصرية.، وبعد موت سيده أحمد الكاشف انضم إلى خدمة كاشف البحيرة عبدالله بيك، الذى قتله عرب البحيرة. وقد انتقم أحمد بوشناق لمقتله منهم بأن شن عليهم غارات انتقامية قتل فيها العديد من البدو، حتى أنه نجح فى أحد الأيام فى جر أكثر من سبعين بدوياً، بينهم عدة شيوخ، إلى كمين وذبحهم عن بكرة أبيهم. هذه المآثر جلبت لأحمد بوشناق شهرة كبيرة وكانت سبباً فى

تلقيبه بالجزار. ثم عمل عند على بيك الكبير، الذى كان فى ذلك الوقت قد استولى على السلطة العليا فى مصر عام ١٧٦٣-١٧٧٣م= ١١٧٧-١١٨٧هـ، فبدأ الجزار خدماته بأن قدم له رؤوس أربعة من شيوخ البدو الذين يمقتهم.. وهكذا استخدمه على بيك ليتخلص من منافسيه ومعارضيه، فقتل له العديد من البكوات المماليك، ومكافأة له على هذه الخدمات منحه لقب بيك، وولاه الصنجقية، فأصبح اسمه من ذلك الوقت أحمد بيك الجزار، واتسع نفوذ الجزار بين مماليك على بيك وتآخى مع البعض منهم، وخاصة الزعيم المملوكى صالح بيك القاسمى الذى كان قد خرج معه للحج كما سبق وذكرنا، وحليف على بيك الكبير فى ذات الوقت. ولكن على بيك فى سعيه للإنفراد بزعامة مصر طلب من الجزار أن يسير مع محمد بيك أبوالدهب ويقتل صالح بيك، فامتنع الجزار عن ذلك بحجة تآخيه مع صالح بيك، فاغتاظ منه على بيك وطلب من أبوالدهب ان يقتل صالح بيك والجزار. وعندما نجح أبوالدهب فى قتل صالح بيك هرب الجزار فى زى المغاربة إلى ميناء بولاق ومنه إلى الاسكندرية حيث ركب غليون إلى القسطنطينية. وهناك عمل فى خدمة السلطنة العثمانية كجندي مغمور، ويذكر الجبرتى أن الجزار عاد متخفياً إلى مصر، وعاش ين عرب الهنادى بالبحيرة وتزوج منهم، وعندما أرسل على بيك الكبير حملة لتأديب عرب الهنادى حارب الجزار فى صفوفهم حتى اضطر للهرب إلى دمشق حيث كانت النزاعات القبلية والعصبية تسمح لأمثاله أن يعملوا فى سلك الجندية ويرتزقوا منها. فأحتمي بالأمير يوسف الشهابى زعيم الدروز(الذى كانت سطوته تمتد على تخوم لبنان الغربى والشرقى وحتى قرب صيدا وعكا وحمص وحلب) الذى استضافه فى دير القمر مقر الشهابيين، ثم ساعده على أن يلتحق بخدمة والى دمشق حيث اثبت قدراته العسكرية فى معارك قرب صيدا ضد ظاهر العمر حاكم صيدا وعكا. كما تمكن من تحصين قلعة بيروت بعد هجوم الاسطول الروسى عليها عام ١٧٧٢م=١١٨٦هـ. وكانت فى هذا الوقت تحت نفوذ الأمير يوسف الشهابى صديق الجزار، ولكن هذه الصداقة لم تمنع الجزار من أن يطلب من والى دمشق أن يجعل بيروت تابعة له مباشرة، فرحب والى دمشق بذلك واعطاها للجزار الذى كان يطمع فى ذلك، حتى تصبح له سلطة ونفوذ، وينتقل من مجرد قائد جند من البدو المرتزقة إلى والى على بيروت. وقد دفع هذا السلوك المشين من الجزار الأمير يوسف إلى التحالف مع ظاهر العمر عام١٧٧٣م=١١٨٧هـ. وطلبا من الاسطول الروسى فى البحر المتوسط تحرير بيروت من يد الجزار، فتقدم القبطان «كوجو خوف» بأسطوله نحو بيروت واطلق عليها مدافع اسطوله وحاصرها بحراً فى الوقت الذى حاصرها من البر قوات الأمير يوسف وظاهر العمر. وبعد عدة مناوشات استسلم الجزار للشيخ ظاهر العمر وطلب حمايته. وهكذا ظل عند ظاهر العمر الذى عامله معاملة حسنة، حتى أنه أرسله لجمع بعض الأموال الميرية من بعض القرى. ولما فرغ الجزار من جمعها طمع فيها وهرب بها عام ١٧٧٣م=١١٨٧هـ إلى والى دمشق فى ذلك الحين، وهو عثمان باشا المصرى الوكيل، وكان بينه وبين ظاهر العمر وحشة ونفور، فتلقاه الوالى

بالقبول وأقام عنده. وعندما أحس الجزار ان طموحاته قد باتت محاصرة بسبب نفوذ الامير يوسف وظاهر العمر فى بلاد الشام. نهض إلى القسطنطينية فى عهد السلطان مصطفى، فأقام فيها يتقرب إلى الأبواب العالية، حتى دخل فى خدمة السلطان، فأرسله والياً على «قرى حصار». ولما تربع على سرير السلطنة السلطان عبدالحميد منحه رتبة باشا وفوضه على ولاية صيدا، وهكذا صار الأمير يوسف الشهابى زعيم الدروز من ضمن الواقعين تحت إمرته. ولقد انتاب الأمير يوسف القلق من الجزار، بسبب المواقعات القديمة التى كانت بينهما، ولكن ذلك لم يمنعه من تقديم الهدايا وفروض الطاعة إليه، فثبته الجزار على ولاية الجبل بعد أن سلخ منها بيروت، مقابل أن يسرع فى دفع الأموال الأميرية، فسارع الأمير يوسف بفرض الأموال الباهظة على الأمراء الشهابيين الذين ثاروا عليه وأبغضوه، لكنه فى النهاية تمكن من توريد الأموال التى طلبها الجزار بعد جهود مضنية ومناوشات عديدة مع بقية الأمراء الشهابيين، وعلى الأخص أخواه الأمير أحمد والأمير أفندى. وهكذا نجح الجزار فى الحصول على الأموال التى احتاجها، وتمكن فى نفس الوقت من بذر بذور الشقاق بين الأمراء الشهابيين وزعزعة سلطانهم على البلاد.

ثم توجهت أنظار الجزار إلى ولاية عكا التى كان يحكمها الظاهر العمر غريمة القديم، فألب عليه السلطنة العثمانية وأطمعها فى أمواله الوفيرة، وعرض مساندتها فى القضاء عليه، فأرسلت السلطنة فى عام ١٧٧٥م=١١٨٩هـ أسطولها تحت قيادة حسن باشا قبودان، الذى هاجم عكا وأصلاها بنيران مدافعه، فى الوقت الذى كانت فيه قوات الجزار تحاصرها من البر، ولقد قاوم ظاهر العمر مقاومة شديدة قوات الجزار والأسطول العثمانى، ولم يتمكنوا منه إلا بعد خيانة جنده المغاربة وانضمامهم إلى القوات المحاصرة. وفى الحال قبض على ظاهر العمر وقتله، ولكن أولاده تمكنوا من الفرار.

فى أعقاب ذلك استقر الجزار فى عكا وحصنها تحصيناً قوياً، وأنشأ اسطولاً بحرياً صغيراً، وجند العديد من المرتزقة«الدلاة» وحوالى الف رجل من المغاربة (بدو شمال أفريقيا) ، وثمانى مابة رجل من الألبان والبوشناق «البوسنيين» كما جند أعداداً كبيرة من فرق«اللاوندية» التى كان السلطان عبدالحميد قد أمر بالقضاء عليهم وتشتيتهم، بسبب تمرداتهم العديدة، فحاز الجزار بذلك قوة عسكرية لايستهان بها. ومن هذا الموقع(موقع عكا الحصين) ، بدأ فى محاولة تحقيق حلمه بأن يؤسس إمارة قوية تحت يده تشمل فلسطين وجنوب سوريا ولبنان.

وسعياً إلى استكمال تحقيق هذا المطمح، سوف يعمل الجزار أولاً على السيطرة على القوى المحلية الإقطاعية والعشائرية بحيوية وقسوة، سوف تسمحان له بأن يؤكد اللقب الذى حمله معه من مصر«الجزار».

فالقضاء على نفوذ عائلة الزيدانية(عائلة ظاهر العمر) ، الذين كانوا مايزالون أقوياء فى الجليل مع أبناء ظاهر العمر وبالأخص ابنه«على»، سوف يتم إنجازه تقريباً فى عام ١٧٧٦م=١١٩٠هـ بعد القضاء على آخر اولاد الظاهر عمر«على». وسوف

يجتهد الجزار في كسر استقلال المتاوله، السكان الشيعة الذين كانوا يسيطرون على المناطق المحيطة بمدن صور وصيدا. ففي عام ١٧٨١م=١١٩٦هـ ينجح في هزيمتهم والسيطرة عليهم عسكرياً واقتصاديا، كما نجح الجزار في مسعاه الهادف إلى الحد نهائياً من سلطة الأمراء الشهابيين في جبل الدروز، وبذر الشقاق بين الشهابيين والجنبلاطيين واليزبكيين في جنوب لبنان. وسوف يكون من شأن السيطرة التي سيتمتع بها على سواحل الشام(بفضل سيطرته على بيروت وصيدا وعكا)، سوف يسمح له كل ذلك بعزل الجبل وأقاليمه الدرزية في الشوف.

واقتناعا من الجزار بأنه لن يتمكن من إحكام سيطرته على كل هذه البلاد أن لم يسيطر على ولاية دمشق، فإنه نجح في فرض وجهات نظره على السلطنة العثمانية التي كانت مترددة، على مايبدو، تجاه تركيز مثل هذه السلطات بين يديه؛ ففي عام ١٧٨٥م=١٢٠٠هـ يُعين أمر سلطاني الجزار والياً على دمشق، بينما جرى تعيين مساعديه سالم وسليمان في صيدا وفي طرابلس، كماتمكن من القضاء نهائياً على الأمير يوسف الشهابي في موقعه «قب الياس» والقبض عليه واعدامه شنقاً في سجن عكا. وهكذا سيطر الجزار على مجمل الشام وفلسطين ولبنان. وسوف يحافظ على هذه السيطرة لمدة عشرين عاماً قادمة.

ومما لاشك فيه إن السلطنة العثمانية كانت تراقب توسعات الجزار وازدياد نفوذه بعين القلق والخوف، فحاولت أكثر من مرة تنحيته أو نقله إلى ولاية بعيدة، ولكنها فشلت في ذلك، وظل هو متشبثاً بمكانه. فعندما فكرت السلطنة في نقله والياً على البوسنة سنة ١٧٨٣م=١١٩٨هـ، رفض ذلك، وفي عام ١٧٨٤م=١١٩٩هـ حاولت إرساله إلى مصرلمحاربة المماليك(ابراهيم بيك ومراد بيك بسبب تأخرهم في أرسال الخزانة السلطانية)وأن يكتب لها تقريراً عن الاوضاع في مصر، لكنه تجنب هذا الفخ، بالرغم من أنه كتب تقريره(ناظمنامه مصر) وأرسله إلى استنبول في يوليو ١٧٨٥م=١٢٠٠هـ. وفي عام ١٧٨٨م=١٢٠٣هـ. جرى تعيينه والياً على الرقة بشمال العراق، ولكنه رفض مغادرة عكا. وعلى العكس من ذلك صارالجزار في اتجاه تدعيم نفوذه. فطلب من السلطنة السماح له بالحج فعينته أميراً للحج الشامي. وهكذا سيطر على أحدأهم رموز السلطنة الدينية.

وأياً كانت رغبة السلطنة في تقييد سلطة الجزار، فقد كان عليها أن تأخذ في الحسبان قوته المحلية التي بناها بصبر وإناة خلال سنين عديدة.

وهكذا تمثلت مرتكزات قوة الجزار بالدرجة الأولى في قدرته على إنشاء إدارة تتميز بالكفاءة نسبياً. وقادرة على جمع الميرى، ووقف انحدار الولاية، وهو مايفسر استسلام استنبول لتركه في منصبه على مدار ثلاثين عاماً. وكان لهذه الكفاءة بطبيعة الحال وجهها الآخر: فالضغط الضريبي غير المحدد القواعد والذى أخذ يتزايد إحتداداً إلى درجة إلزام الفلاحين بدفع ثلثي دخولهم، أدى إلى إفقار شديد يرصده شهود العصر. لكن سياسة الجزار التجارية تشهد أيضا على قدرة واضحة على فهم سير عمل اقتصاد البلاد، وعلى الاستفادة منه. فقد عمل الجزار على أن ينشىء لحسابه احتكاراً لتجارة ولايته، وهي سياسة تنبىء إلى حد معين بالسياسة

التى سوف يتبناها محمد على فى مصر بعد ذلك بعدة عقود. فمنذ عام ١٧٨٥م=١٢٠٠هـ اتخذ الجزار تدابير لاحتكار القطن والحبوب. وبفضل مد سلطته إلى دمشق سوف يكون بوسعه التفكير فى مد هذا الاحتكار إلى جنوب حوران. وفى عام ١٧٩٠م=١٢٠٥هـ سوف يأمر بعدم بيع الأنتاج إلا لوكلائه فى عكا، وسوف يفرض رقابة صارمة فى الأرياف والموانىء على التجارة والجمارك. وفى أواخر العام نفسه سوف يمضى إلى حد طرد التجار الفرنسيين من عكا وصيدا. وسوف يكون من شأن نمو الاحتكارات وتزايد الرسوم الجمركية واستغلال الريف، تزويد الجزار بالإمكانيات المالية لتقوية جيشه وتقوية حصون ولايته بشكل مستمر مما مكنه بعد ذلك من أن يحقق صيتاً وشهرة بفضل صموده أمام جيوش نابليون.

ومنذ هزيمة نابليون أمام عكا وعودته من الشام عام ١٧٩٩م=١٢١٤هـ، وحتى عام ١٨٠٤م=١٢١٩هـ عام وفاة الجزار، كانت كل ديار الشام ولبنان وفلسطين تحت حكم الجزار دون منازع أومنافس. وتم تحطيم معظم العصبيات المحلية بل وتحويل امراء الدروز إلى ادوات للظلم الاقتصادى لحساب الجزار والاقطاع الدرزى بشكل مباشر، إن المثل الذى ضربه(عمليات الاحتكار بالذات) قد أغرى الأخرين بتقليده. إذ أن خلفاءه فى صيدا وعكا لم يقتصروا على استبقاء نظمه فى هذه الايالة، بل أن كثيراً من باشوات دمشق فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى اتبعوا سياسته فى الاحتكار. ولكن قيد لمحمد على باشا فيما بعد أن ينفذ هذه السياسة إلى أقصى حد لها فى كل من سوريا ومصر.

أسباب كتابة المخطوط

لمدة قرنين من الزمان بعد غزوة سليم الأول وهزيمة السلطنة المملوكية، عام ٩٢٣هـ = ١٥١٧م، كانت مصر تمثل أهم ولايات السلطنة العثمانية من ناحية تزويد المدن الرئيسية فى السلطنة بالغلال والارز.

فعلى عكس الولايات الأخرى التى كانت تطبق نظام«التيمار» الاقطاعى وتستنفد انتاجها محلياً، كانت مصر وحدها تطبق نظام الالتزام الذى كان يسمح للسلطان بنصيب كبير فى أموال مصر يشكل أهم الموارد الخارجية لخزانته فى استنبول.

أن سلعاً مثل السكر والارز والكتان وغير ذلك، كانت تأتى براً وبحراً بكميات كبيرة ومتزايدة من مصر لكى تمون احتياجات استنبول والمدن الاناضولية الكبرى، كذلك نجد أن جزءاً كبيراً من الذهب الذى تستخدمه دارسك النقود السلطانية كان يأتى عن طريق مصر سواء من النهب المستمر لذهب المقابر الفرعونية المنتشرة على طوال الضفة الغربية والشرقية للنيل، أو من السودان وأفريقيا الوسطى.

كذلك كانت مصر تزود الجيش العثمانى بعدد كبير من الجنود المماليك ليحاربوا عن السلطنة ضد روسيا وفى أوربا الشرقية والبلقان وشبه الجزيرة العربية وشمال افريقيا والسودان، وجزر البحر المتوسط. وفى موانى مصر المطلة على البحر الأحمر وبأموالها تم اعداد السفن الحربية التى خرجت للمحيط الهندى والخليج الفارسى لصد هجمات البرتغاليين عن سواحل الهند وجنوب الجزيرة العربية واليمن.

وكذلك كانت اموال مصر هى التى أمدت المدن المقدسة والحجاز باحتياجاتها من الطعام والمال والملبس، مما ساعد السلطان العثمانى على بسط نفوذه عليها واكتسابه لقب«حامى الحرمين الشريفين» ومايتبع ذلك من سيادة نفوذه الروحى على المسلمين فى كل مكان.

ولكن خلال القرن الثامن عشر وبسبب تخلف السلطنة ادرايا وسياسيا واقتصادياً، تراجعت اهمية مصر بالنسبة لدخل الخزانه السلطانية وضعف دورها فى تزويد المدن الكبري فى الاناضول باحتياجاتها الغذائية،وقام الامراء المماليك بالاستحواذ على العوايد المالية لمصر وعدم إرسالها للسلطنة وتمكنت البيوت المملوكية من السيطرة التامة على أمور مصر خاصة تحت يد«شيخ البلد» أو زعيم الامراء المماليك، الذى أصبح الحاكم الحقيقى لمصر وتحول موظفى السلطنة العثمانية فى مصر وبخاصة الباشا إلى شبه سفراء لدولة اجنبية لدى السلطة المملوكية.

وأصبحت العسكر التى ترسل لمساندة الجيش العثمانى من مصر لمساندته فى حروبه، تجمع من شوارع القاهرة وطرقاتها دون أى تدريب. كما ضاعت اليمن والحبشة، وفسدت المراكب الحربية فى موانى البحر الاحمر، وتعرضت قوافل الحج فى الاراضى الحجازية للسلب والنهب والقتل سواء فى ذهابها أو إيابها على يد العرب البدو.

كما تدهورت الاحوال الاقتصادية فى مصر بسبب ازدياد المظالم على الحرفيين والتجار والفلاحين الذين هجروا أراضيهم.

وحتى «مال الحلوان» الذى مثل دخلاً هاماً للخزانة السلطانية وبديلاً عن الخزانة الأميرية توقف الامراء المماليك عن إرساله للسلطنة.

من هنا ارتفعت الصيحات فى استنبول تطالبها بارسال وزير يمكنه اصلاح الامور فى مصر لتدر على السلطنة الاموال المرجوة والتى كانت تصلها فى السابق.

ولقد تعددت المحاولات الإصلاحية بإرسال مندوبين عن السلطان فى سنوات ١٦٦٠، ١٦٧٠، ١٦٩٥، ١٧٤٢، ١٧٦١، ١٧٦٧م. ولكنها جميعًا لم تحقق سوي نجاحات جزئية سرعان ماآلت إلى الزوال. وعاد الامراء المماليك إلى السيطرة على مجمل الحياة السياسية والاقتصادية لمصر.

وبوجه عام كان السلطان العثمانى يقبل السيطرة المملوكية على مصر طالما كانت عوائده المالية (الخزانة ومال الحلوان) تصله بشكل مستمر. ولكن منذ القرن الثامن عشر وخاصة بعد عام ١٧٧٩م نجد أن مصر التى صارت واقعة تحت نفوذ مراد بك وابراهيم بك، اصبحت لاترسل الاموال السلطانية.

هنا فقط أصبح على السلطان أن يلجأ إلى عمل سريع ومباشر. فأمر باجتماع فى ديوان الصدر الاعظم شاهين على باشا بتاريخ السادس من شعبان ١١٩٩هـ=١٥ يونيو ١٧٨٥م عرض فيه تقرير مسئول مالية الباب العالى فيظى افندى، الذى كان زار مصر عام ١٧٨٠م، والذى انتهى فيه إلى أن الاسلوب الوحيد لاجبار البكوات المماليك على الطاعة والقيام بالتزاماتهم تجاه السلطنة، هو ارسال حملة عسكرية برية وبحرية.

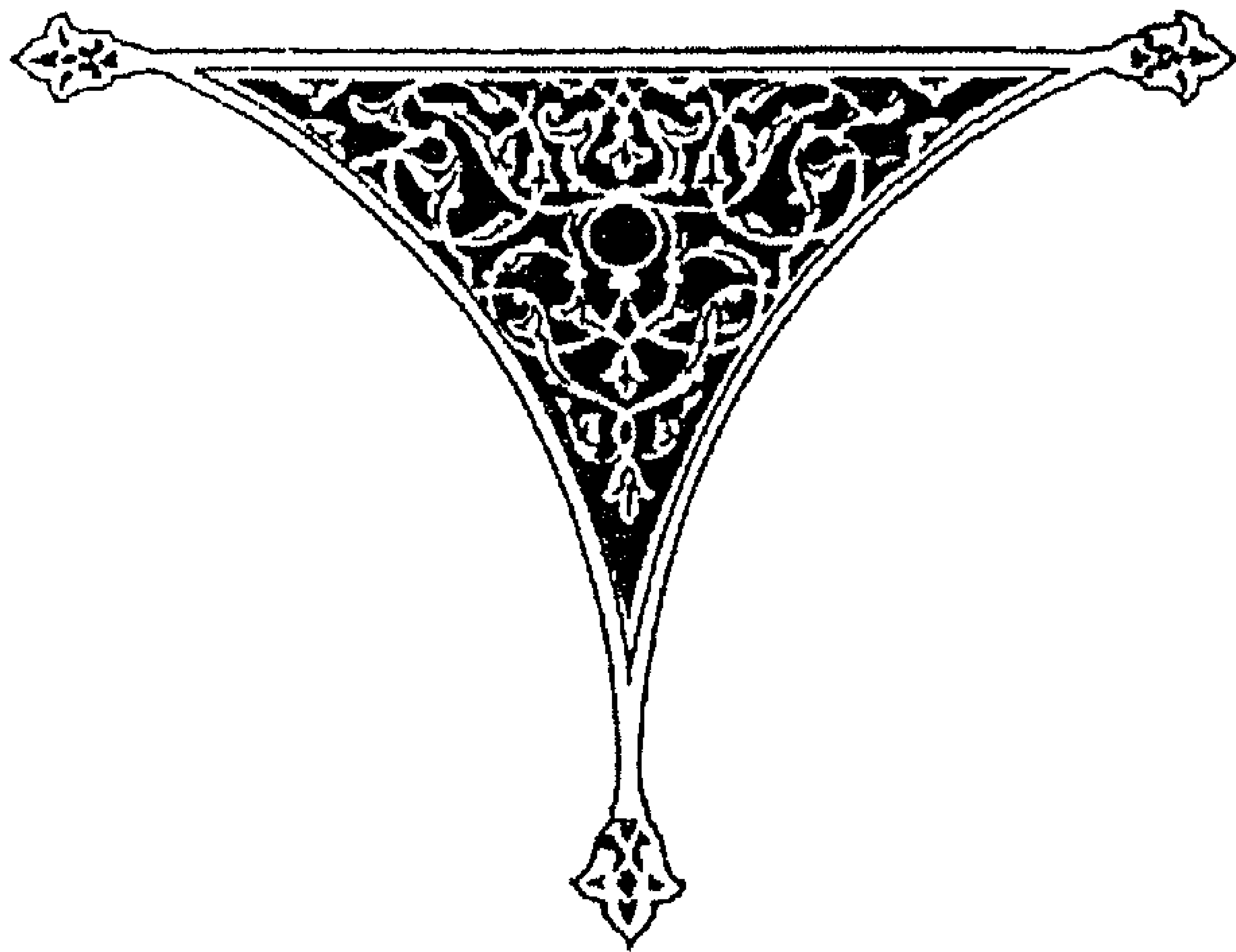
وبالفعل وافق السلطان فى حينه على إرسال الحملة فى العام التالى. ولكن فى نفس الوقت تم ارسال مبعوث خاص إلى مصر لاستكشاف الاوضاع واكتساب حلفاء للسلطان بمصرواعداد البلاد لاستقبال الحملة العثمانية وذلك تحت دعوى بذل محاولة أخيرة تستهدف اقناع مراد بك وابراهيم بك بالقيام بالتزاماتهم المالية تجاه السلطنة.

وفى نفس الوقت أرسل الديوان السلطانى إلى الحاكم العثمانى للشام احمد باشا الجزار يطلب منه أعداد تقرير كامل عن أوضاع مصر وابداء الرأى حول اعداد الحملة العسكرية على مصر خاصة فى جانبها البرى.

وبعد ذلك بشهر أى فى أواخر رمضان ١١١٩هـ= منتصف يوليو ١٧٨٥م وصل إلى ديوان السلطنة تقرير احمد باشا الجزار الذى رصدته هنا.

وهذا التقرير يعتبر من أهم المصادر التى تصف أحوال مصر الادارية فى ظل السلطنة العثمانية. فهو يحتوى الوصف الوحيد الذى يرصده احد المماليك الذين عاشوا سابقًا بمصر. كما أنه كان نبراسًا للحملات العثمانية التالية على مصر وخاصة تلك التى نزلت فى يوليو ١٧٨٦م تحت قياده الغازى حسن باشا قبطان، والتى طاردت ابراهيم بك ومراد بك حتى الوجه القبلى والصعيد، وحققت بعض النجاحات المحدودة. ولكن اندلاع الحرب الروسيه العثمانية اجبرت السلطان على سحب حسن باشا قبطان فى اكتوبر ١٧٨٧م، فعاد ابراهيم بك ومراد بك إستلام السلطة فى القاهرة واستقرا بها حتى نزلت الحملة الفرنسية على مصر.

والنسخة الوحيدة الموجودة لمخطوط أحمد باشا الجزار عُثر عليها فى مكتبة «توب قابى» باستنبول، وهى تتكون من ٢٥ ورقة تحمل عنوان «نظامنامه مصر»، وقد اعتمد عليها Stanford Shaw فى اعداد كتابه Otoman Egypt in The Eingheenth Century. 1962 الذى يعد تحقيقا للمخطوط فى ذات الوقت.



نظامنامه مصر لأحمد باشا الجزار

ومن الله اللطف والتوفيق
وهو نعم الرفيق

١ - المقدمة

لماشاءت الإرادة العلية والتوجيهات السنية لحضرة مولانا السلطان ظل الله، حامى العقيدة، بوضع الديارالمصرية تحت النظام المستحسن لساير الممالك العثمانية لتسجيل وتنظيم وتحرير إيراداتها ومصروفاتها، فسوف تتبع الطرق الآتية(والله تعالى أعلم).

ابتدأ: سيصدر بيور لدى من الاستانة سرمدى الرسوخ بتولية أحد عبيد السلطان حاكمًا على ولاية صدا بدرجة ثلاثة أطواخ(١)(وزير(٢)). وبعد عدة شهور سيمنح كذلك مدينة غزه، وحينئذ سيقوم هذا الوزير بإصدار أوامره بمهاجمة ومعاقبة العصاة من أولاد ظاهر العمر(٣) المسيطرين على مدينة عكا(التابعة لولاية صيدا) والذين يتحصنون بقلعة طبرية التابعة لها. ونظراً لأن هذه القلعة قوية كالصخر الصلد، وفى غاية المتانة، فيلزم صدور التعليمات بموجب أمر عال إلى الوزير المشار إليه سابقا بتحميل وإرسال عدد ١٢ مدفعا من نوع(باليهمز(٤))على سفينة حربية مصحوبة بسبعة أورط انكشارية(٥) بقيادة أغا(٦) متمرس إلى ميناء يافا لاحتلاله والتمركز فيه. وعقب ذلك، وحتى لايخرج، أى مجرم على التدابير اللازمة لتنظيم مصر، فإن الوزير نفسة سيكتب هذه التدابير ويرسلها فى سرية إلى الباب العالى لإصدارها فى صيغة خط همايون(٧) رسمى واجب النفاذ. وعندما يحين الوقت لذهاب هذا الوزير إلى مصر سيرسل إليه الخط الهمايونى مصحوبًا بالأوامر العلية الجليلة الشأن اللازمة(فى سرية تامة) بناءً على طلب الوزير الذى سيكون واليا على صنجق غزة. عند عودة كتخدا أمير الحج(الشامى(٨)) التابع لهذا الوزير من حراسة الحج، سينعم عليه بولاية مصر. وطبقا للتدابيرالتى ستتخذ لغزو مصر فلابد من أن يرسل للوزير ألف وخمسمائة كيسه(٩) نقداً بالإضافة إلى مايتى عسكرى لكل أورطة من الاورطات السبعة السابق ذكرها.

وبالرغم من أنه عادة يسهل تجنيد قوات جديدة هناك(بمصر) فإنه من الضرورى أن يكون معهم على الأقل ألف جندى انكشارى من الاناضول بقيادة أغا، وأثناء إعادة تنظيم هذه القوات فى مصر يعين هذا الاغا قائداً للإنكشارية فى مصر، ذلك أن هناك مالايقل عن ثلاثين موقعًا عسكريا موزعة مابين القاهرة وبولاق ومصر عتيقة، ومن الضرورى على وجه الخصوص تغيير القادة العسكريين فى كل المدن والقرى الأساسية بمختلف أقاليم مصر المعينين بواسطة الأمراء المماليك، وأن يعين الأغا المذكور قادة جدد فى أماكنهم وفى القلاع الهامة.

وهكذا سيكون ١٢,٠٠٠جندى كافيين لهذه الحملة المرسلة من غزة، وستكون أول استراحة لهذه الحملة فى تكية تبعد عن غزة ست ساعات. ومنها على مسافة سبع ساعات، فى اتجاه القاهرة، تصل إلى قلعة صغيرة هى خان يونس(١٠)،وبعد مسيرة سبع ساعات أخرى تصل إلى قلعة العريش(١١) الصغيرة، وهى على طريق القاهرة

كذلك. ثم يلى ذلك مسافة مسيرتها ٢٤ ساعة فى أماكن وعرة وصحراء موحشة. وهكذا يكون مجموع سير الحملة حتى الآن يومين.

وبالرغم من توفر مياه للشرب طوال هذه المسيرة للحيوانات، إلا أن المياه الصالحة للشرب نادرة بالنسبة للجنود، لذلك يلزم تحميل أربعة أوعية [قربه] منها على الجمال، وتسمى هذه الأوعية «حافظة»، حتى تصل الحملة بعد عشر ساعات إلى الصالحية(١٢) حيث يوجد مايه عسكرى وكاشف(١٣) معينين من القاهرة، وبعد ذلك باثنى عشر ساعة تصل الحملة إلى بلبيس(١٤)، وهى من الأقسام القضائية الأساسية الستة(١٥) بالديار المصرية، وبعدها بمسيرة تسع ساعات توجد قرية تسمى الخانكة(١٦) وهى على طريق القاهرة كذلك. ثم تصل إلى مكان يسمى بركة الحاج(١٧) على مسيرة أربع ساعات من القاهرة وطبقا لهذه الحسابات فإن الوقت اللازم لمسيرة هذه الحملة يكون ثمان وثلاثون ساعة.

٢ - و صف بركة الحاج

يتوقف بها كل عام أمير الحاج المصرى لمدة ثلاثة أيام قبل تجمع وتحرك قافلة الحجاج الحجازية.

ونظراً لأنه كان من عادة كتخدا الباشا والامرا واختيارية الفرق العسكرية مصاحبة قافلة الحاج حتى بركة الحاج فقد أقاموا لأنفسهم فيها عدداً من الدور والقصور والحدائق مما جعلها حلة مزدهرة كثيرة المبانى.

٣ - ترتيبات الوزير

خلال سير الحملة يجب على الوزير السابق ذكره والذى أنعم عليه بولاية مصر، أن يعطى خلال سير الحملة هدايا وهبات للجنود وذلك حتى يظل مكتسبًا لولائهم، ذلك أنه من المعروف عن المصريين منذ الأزمنة القديمة خبرتهم العالية فى خداع ومخاتلة الملوك والولاة والأمراء مما يجعل من الضرورى بسبب ذلك بذل المال والهبات بسخاء حتى يظلوا على ولائهم له ولاينقلبون ضده.

ونظراً لأنه من المعتاد أيضًا أن يذهب من القاهرة كل من جاويش كتخداسى(١٨) والمترجم العربى(١٩) وكاتب الحواله(٢٠) وباشجاويش فرقة الإنكشارية(٢١)، إلى قلعة العريش لاستقبال الوزير، فإن اليقظة والحرص على طول الطريق للقاهرة لازمة. ومن الضرورى الإحتفاظ بأقوى الدروع مخفية تحت الثياب من باب الاحتراز، خشية استخدام هؤلاء الرجال اى نوع من انواع الخدع والحيل عن سوء قصد مبيت.

ومن المهم كذلك على الوزير المذكور(الذى سيحكم مصر) أن يكون قد سبق له الإقامة فى مصر عدة سنوات مشاركا فى الأمور الهامة هناك، ويجب أن يكون خبيراً بطبيعة وتكوين كل فئة من فئات السكان فى مصر.(٢٢)

فمصر بسبب ضخامتها واختلافها عن بقية البلدان من حيث الإتجاهات والأهواء والخصائص والأوضاع، فإن الشخص الذى لايمتلك المعرفة التامة فى هذه الأمور من البداية لن يتمكن من فهم هذه الأحوال إلا بعد مضى سنين عديدة وبعد ذلك فإنه ليس من المناسب أبداً أن يعلم الوزير أى أحد حتى من اتباعه بالتدابير السرية للحملة منذ مغادرته الباب العالى وحتى دخوله إلى مصر.

هذه الأمور يجب أن تكون فى أحوط درجات السرية حتى انه يجب أن يؤجل علم الوزير المرشح لحكم مصر بالتدابير السرية للحملة إلاعند اقترابه من غزة، عند هذه اللحظة فقط سترسل له هذه التدابير من الباب العالى مباشرة بطريقة سرية. ويستحسن مادام ذلك ممكنا أن يكون إرسال هذه التدابير من خلال يد كاتب أمين قادر على كتم الاسرار وحفظها، فهذا من أهم الأمور، فكل سر جاوز اثنين شاع وانتشر، كما يجب مراعاة أن يكون فى خدمة الوزير المشار إليه عدد من الرجال الصادقين والقادرين على حفظ الاسرار ومتمرسين بالخبرة الكافية وحسن التدبير، هؤلاء يرسلون قبل سفره لمصر بعدة شهور على سفينة من أزمير(٢٣) متنكرين فى هيئة تجار، ليرسلوا له تقارير بشكل مستمر عن الأحوال فى مصر وتطوارتها. ولكن إذا كان هذا الأمر سوف يكشف عنه فيجب أن يجزلوا العطايا ويتخذوا التدابير اللازمة لذلك.

وبالإشارة إلى المدافع الواجب ارسالها سابقاً يجب أن يوفر لكل منها اثنى عشرة قنبلة يوميا،وعلى هذا يكون عدد القنابل اللازمة لها هى ٢٤٠٠ قنبلة تستهلك خلال عشرين يوما. هذا بالإضافة إلى التعيينات اللازمة من البارود والطوبجيه(٢٤) التى يجب إرسالها إلى مصر فور عودة كتخدا أمير الحاج المصرى(٢٥) إلى القاهرة قرب نهاية شهر ربيع الأول، ذلك أنه لو أرسلت قبل ذلك فمن المحتمل أن يعلم بها المفسدون فى مصر ويرسلون الهجانة(٢٦) من القبايل البدوية المقيمة على طوال طريق الحجاج لمهاجمتها وسلبها.

٤ - بيان احوال ولاية مصر

ديار مصر من البلاد الغربية يصلها حاكمها عادة عن طريق البحر مما لايُمكنه من اصطحاب أعداد كبيرة من الأفراد ودواب الحمل. وعند الإسكندرية يكون فى تشريفة كتخداسى وجاق الجاويشان ومن فى معيته، ثم يصحبونه وخاصة براً على الجمال وغيرها من الدواب إلى ميناء رشيد الواقع على مسيرة ١٤ساعة. أما سائر اتباعه فيرسلون بحراً إلى نفس الميناء فى قوارب تسميى«الجزيم»(٢٧) وبعدها يركبون جميعا الزوارق النيلية فى فرع رشيد متجهين نحو القاهرة وعلى طول سفرهم، الذى يستغرق مابين سبعة وتسعة أيام، تقام الاحتفالات والموائد حتى يصلوا إلى قصر البستان قرب بولاق(٢٨) حيث يستريحون على شاطىء النيل[فى خيام نصبت لهم) وبعد يومين أوثلاثة من الراحة يبدأون فى تحميل أقوى دوابهم بمتاعهم ويرسلونها إلى قصر يسمى«عزب قبيس» الذى يقع خارج قلعة مصر فى طريق بركة الحاج على بعد اكثر قليلاً من نصف ساعة من القاهرة. حيث يقيم كل الأمرا وقواد فرق الاوجاقات واتباعهم خيامهم فى الارض المحيطة بالقصر. وبعد ثلاثة أيام يصحبون الوزير واتباعه إلى القاهرة فى موكب كبير حتى يصعدوا إلى داخل القلعة حيث يقيم الوزير فى قصر معد له، ثم يتركونه ليستريح .

ونظراً لأن بقية اتباع الباشا يصلون للقلعة سيراً على الأقدام فإنهم لايتجولون فى المدينة بل يقصدون القلعة مباشرة.

ويتسلم الوزير عددا من الجياد كهدية من الأمرا المصرليه(٢٩)، ولكن حتى مئة منها لاتكفيه.

ويجب إلا يسمح ولو لمملوك واحد أن يأتى إلى قصر الوزير الحاكم ليقيم معه، أو أن يكون لأحد اتباع الوزير علاقة به، لأن مثل هذه العلاقات مع المماليك تكون مكروهة وخاسرة.

وفى أيام انعقاد الديوان(٣٠) يأتى الأمرا المماليك معًا للقلعة، فى الوقت الذى لايتمكن فيه إتباع الباشا الحاكم من التجول خلال المدينة بحريتهم كما يحدث فى البلدان الأخرى، فيما عدا أوقات قيامهم بمهامهم الرسمية، وحتى فى هذه الحالات فإن المماليك يتجنبونهم. ولهذا فمن غير المتاح أبدًا إقامة علاقات خاصة أو أن يتالفوا معهم. وكنتيجة لذلك فإنه من الصعوبة الشديدة للحاكم أن يفهم طبيعة أى جماعة منهم(أى المماليك)، وذلك أنهم جميعًا لهم عقلية واحدة فى نظرتهم وولائهم لطغاة مصر(المماليك).

ولهذه الاسباب فإنه من الضرورى على الوزير الذى سيرسل مع الحملة كحاكم لمصر، أن يأخذ طريق البر مع نخبة منتقاة من جنوده وعدد من فرسانه ليتمركزوا فى بركة الحاج أو أى مكان مناسب قريب منه، وحتى تستقر الأمور ويعاد ترتيب احوال مصر عليه عدم الدخول إلى القلعة التى ستكون بالنسبة له كسجن رهيب.

٥ - أوصاف النيل المبارك

الفهم الشايع أن منابعه عند جبل يدعى جبل القُمَّر(٣١) قرب الحدود الجنوبية لمصر العليا(الصعيد)وبعد مسيره يتفرع إلى فرعين، أحدهما يتجه إلى الغرب وينساب فى اقليم وعر متجهًا للبحر، والثانى يجرى خلال اقليم الشلال(٣٢) والنوبه حيث يعيش العديد من القبايل التى تعتبر من البدو والسود.

ويعتبر اول دخول له [أى النيل] إلى مصر عند قلعة تسمى«ابريم(٣٣)»، ويستمر المسافر فيه لمدة ٢٥ يومًا حتى يصل إلى جرجا، وبعدذلك يمر خلال أقاليم المنيا، منفلوط، البهنساوية(٣٤) فيصل القاهرة بعد حوالى ١٥أو٢٠يوما. وبعدها بيوم واحد يصل إلى مكان يدعى«شلقان (٣٥)» حيث ينقسم النيل مرة أخرى إلى فرعين، يجرى فرعه الأيمن حتى دمياط، وفرعه الأيسر حتى رشيد، فى مدة لكل منهما تعادل الاسبوع، ويصب كلاهما فى البحر المتوسط بعد تركهما لكلا المدينتين بمدة ساعة.

٦ - وصف الأقاليم والبلاد والقرى

يطلق تعبير أقليم الصعيد على كل القرى والبلاد التى تقع على جانبى النيل من ابريم جنوبًا إلى جرجا، وبعد ذلك توجد عدة اقاليم على جانبى النيل ترتيبها كما يلى (صعودا إلى القاهرة). المنيا، منفلوط، البهنساوية، الجيزة، المنوفية،يليها للشمال أقاليم الشرقية والغربية التى تمتد حتى سواحل البحر المتوسط.

وفى القرى القديمة الصغيرة داخل هذا الاقليم يوجد مابين جامع أو جامعين أو ثلاثة، بينما الكبرى منها كان يوجد بها مابين عشرين أو ثلاثين أوأربعين جامعًا، إلى جانب عدد من الأسواق والحمامات. من أمثلة ذلك المحلة الكبرى، دمياط، رشيد، دمنهور، الفيوم، بلبيس.

ومعظمها يقع على ضفتى النيل، وهى فى مواقعها هذه تشبه مواضع غالطة(٣٦) واسلامبول.

وتسمى المسافة بين كل قرية وأخرى فى التعبير المصرى«ملقا(٣٧)»، وهى تقطع فى حوالى ثلاثة

أرباع الساعة، وكلها مزروعة. بزراعات متنوعة، بحيث لاتجد أى أراض غير مزروعة. وبجوار القرى الأولى توجد قرى أصغر حديثه بدون جوامع يسميها أهل مصر «كفور» [مفردها كفر]، بنيت بعد التعداد(٣٨) تدفع ضرايبها عن طريق الملاك الكبار أصحاب الأراضى المجاوره لها، وتأخذ أسمها من ايسم القرى القديمة المجاورة لها، فمثلاً إذا كان الكفر مجاور لقرية «وردان» سمى «كفر وردان». (٣٩)

وصف أقاليم ومدن بعيدة عن النيل

٧ - أقليم الفيوم

أول هذه الأقاليم يقع قرب الضفة اليسرى من النيل فيما يلى اقليم الصعيد يسمى باقليم الفيوم على بعد مسافة عدة أيام من النيل المبارك، ومنذ العصور القديمة هناك فرع قديم من النيل أعرض من مجرى «كاغد خانه(٤٠)»، يصب فى هذا الأقليم، وكانت السفن الكبرية تستطيع المرور فيه، ويتفرع منه عدة ترع صغيرة تصل إلى قرى هذا الأقليم لتمدها بالمياه اللازمة للرى والشرب، ولكن السفن لاتستطيع الملاحة بها الآن. وفى مصر يطلقون كلمة «خليج» على الترع الكبيرة، أما الصغيرة فيطلقون عليها اسم «ترعة».

٨ - اقليم البحيرة

وهذا الاقليم يقع أيضًا على اليسار (الغرب) على بعد ١٨ ساعة من النيل، ولكن هناك خليج يخترقه، ولكن القوارب لاتستطيع المرور خلاله، وهناك ترع كالتى فى الفيوم توزع المياه على أطراف الأقليم وقراه.

٩ - اقليم اسكندرية

وهو على مسافة أربع عشرة ساعة سيراً من رشيد، وهو يقع على يسار النيل، ولها ميناء على البحر المتوسط، وعلى الساحل فيما بين الاسكندرية، ورشيد توجد قلعة صغيرة تسمي «أبوقير». وفي مكان يبعد عدة ساعات فى المنطقة الواقعة بين رشيد وهذه القلعة يوجد خزان مياه قديم يجرى ترميمه فى بعض الأوقات من مصاريف الخزينة. وفى المنطقة المحيطة بالاسكندرية لاتوجد أية قرى زراعية ولكن يوجد بداخلها خزانات تحت الأرض(٤١) باقية منذ أيام الاسكندر، ومازال ماية منها مهتم بها وتستخدم حتى الآن.

ونظراً لقرب اسكندرية من البحيرة، فإن من ينعم عليه بباكوية البحيرة يشترط عليه تزويد صهاريج اسكندرية بالماء الدايم، ويتم ذلك عن طريق قناة صغيرة تخرج من النيل قرب رشيد. ويُكلف أهالى قرى البحيره بتنظيفها قبل فيضان النيل، حيث تملأ عند تدفق مياه الفيضان من النيل، وهذا يستغرق مابين ثلاثين أو أربعين يومًا. وبعد اكمال هذا العمل يأتى الحاكم ويأخذ حجة تؤكد امتلاء الخزانات. وهكذا يستفيد أهالى المدينة وأصحاب القوارب من هذه المياه لمدة عام كامل.

١٠ - أقليم بندر السويس

وهو على بعد ٣٦ ساعة من الضفة اليمنى للنيل، وهوميناء يقع على البحر الأحمر. ويأتى إليه من «جده» كل عام خمس عشرة سفينة كبيرة محملة بالبن وبضائع الهند، ولايوجد حول بندر السويس أى مدن أخرى، ولكن هناك قلعة صغيرة

تسمى «عجرود(٤٢)» تقع على بعد أربع ساعات على الطريق المؤدى للقاهرة، يستريح عندها الحاج المصرى فى اليوم الثانى من مغادرته لبركة الحاج، ثم يغادرها بعد يوم.

وهنا لاتوجد أى زراعات أو نباتات أو ترع من النيل وبعد مسيرة خمسة أيام فى اتجاه جبل سيناء يوجد نبع مائى تتجمع فيه مياه الامطار المنحدرة من عدة تلال رملية صغيرة تحيط به، ويعد هذا النبع احد معجزات سيدنا موسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ويسمى نبع «طوى(٤٣)» يأخذ منه عربان سيناء الماء فى أوعية (قربه) - حافظة - جلدية يحملونها على الجمال إلى السويس حيث يبيعون الحافظة بخمسة بارات لسكان(٤٤) المدينة والحجاج القادمين عن طريق البحر.

١١ - اقليم الصالحية

وهو يبعد تسعة وعشرين ساعة عن الضفة اليمنى للنيل، ولهذا الاقليم ترع وخلجان كالتى فى اقليم البحيرة تصل إلى القرى الواقعة فى نطاقها.

١٢ - اقليم بحيرة المطرية

وهو قريب أيضا من الضفة اليمنى للنيل مقابلة دمياط حيث توجد بحيرة المطريه (المنزلة) الواسعة التى تقطع مسافتها فى عدة أيام، وهى امتداد للبحر المتوسط، بالقرب منها تقع عده قرى يأتى سكانها بالقوارب إلى النيل للحصول على المياه العذبة اللازمة للشرب. وبعض القرى يوجد بها ترع وخلجان. ومعظم تجارتهم وغذائهم واحتياجاتهم قائمة على التجارة فى الاسماك المتنوعة وصيد طيور البحيرة.

وصف مصر عتيقة وميناء بولاق ومصر الجديدة (القاهرة)

١٣ - مصر عتيقة

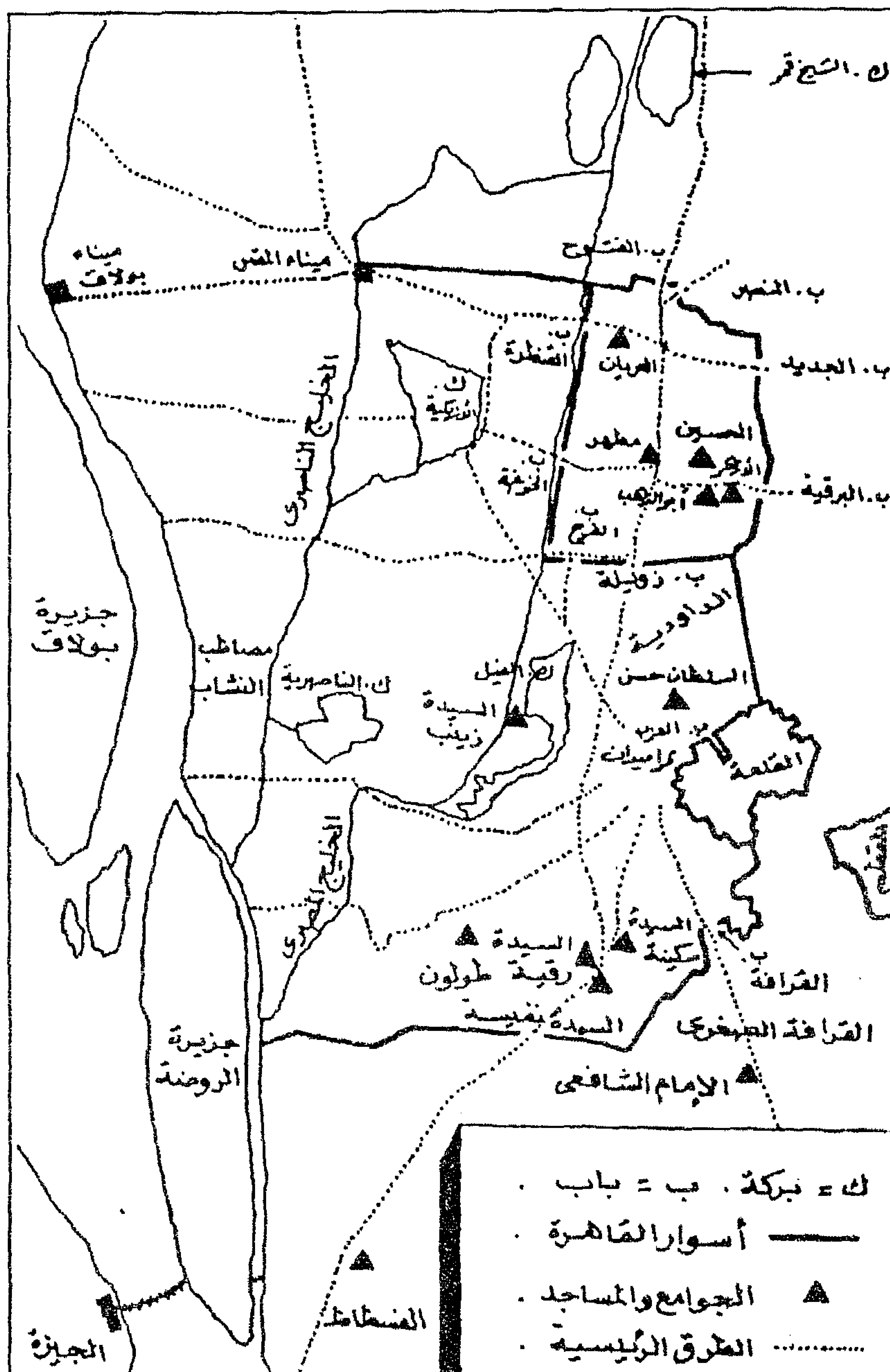
تتكون من عدة آلاف من المنازل والدكاكين وثلاثة حمامات وبعض المساجد. وعند الجانب الأعلى لجزيرة الروضة الواقعة وسط النيل فى مواجهة مصر عتيقة يوجد قصر رائع به بئر مبنى بالرخام والرصاص يسمى «المقياس(٤٥)» بنى فى العهود القديمة لقياس منسوب المياه يوميا فى وقت الفيضان.

١٤ - ميناء بولاق

مدينة تتكون من أكثر من عشرة آلاف منزل وعدة دكاكين ومبان تجارية ضخمة تسمى «الوكالات(٤٦)»، كما يوجد بها عدة مساجد كبيره وصغيره، وستة حمامات. وتقع هى ومصر عتيقه على الضفة الشرقية بينهما مسافة تقدر بحوالى ثلاثة الارباع ساعة، وارضها خصبة قابلة لزراعة الفاكهة والخضر وغيرهما من المحاصيل البستانية.

١٥ - مصر الجديدة - القاهرة

مصر الجديدة هى قاهرة مصر المحروسة، تقع بين بولاق ومصر عتيقة وعلى بعد حوالى ربع ساعة من الضفة الشرقية للنيل يحيط بها اسوار حصون قديمة خربة، طولها اكثر قليلاً من مسافة ساعة وعرضها حوالى ثلاثة أرباع الساعة ويذكر البعض أنها سميت باسم المرأة التى بنتها «القاهرة بأمر الله» التى كانت ملكة لمصر فى العصور القديمة.



خريطة لبعض معالم القاهرة التى ورد ذكرها فى المخطط

وتسمى الآن مصر القاهرة يوجد بها أربعة وتسعون حمامًا وعدد من الجوامع والمساجد وخارج اسوار القلعة فى اتجاه تركة الحاج،يوجد حى يسمى بالحسينيه به عدة آلاف من المنازل، وثلاثة حمامات، وعدة جوامع كبيرة، والعديد من الدكاكين.

ويوجد كذلك خارج سور القلعة فى اتجاه جبل الجيوشى(٤٧) محلة القواسيين(٤٨)، بها عدة آلاف من المنازل وحمامات وجامع كبير وعدد من الدكاكين.

١٦ - و صف بوابات سور القلعة

أولا: البوابات المطلة على حى الحسينية

١ - باب النصر ٢ - باب الفتوح

٣ - باب الخرق ٤ - باب ست زينب ٥ - باب الحديد ٦ - باب ست نفيسه ٧ - باب الشافعى ٨ - باب الحطابة ٩ - الباب البرانى

وهى فى مجملها تسعة أبواب. وقرب نهاية باب النصر يوجد ميدان يسمى«ميدان الرميلة»وهو يقع فى مواجهة باب العزب المؤدى لداخل القلعة.

١٧ - الو صف الداخلى للقلعة

هى قلعة متوسطة الحجم على هيئة دائرة، تقع على تل كبير مبنية بالحجارة وذات أرتفاع يقترب من ارتفاع منارتين. يوجد بها وجاقى الانكشارية والعزب وقصر الحاكم (الباشا)، كما أن لها أربع بوابات، واحدة منها هى بوابة العزب فى مواجهة ميدان الرميلة السابق ذكره. وأخرى هى بوابة الإنكشارية، وهى الواقعة فى الطرق الشمالى لباب العزب عند المحجر. وعلى الجانب الأيمن لباب العزب يوجد سقيفة حجرية مصقولة السقف تصل مابين الميدان السابق ذكره(ميدان الرميله) وبين ميدان آخر مربع الهيئة يسمى بميدان «قره ميدان» (الميدان الاسود). وهناك بوابة أخرى للقلعة قرب بستان الحاكم تقع على طول امتداد الجانب الشمالى لهذا الميدان تسمى باب قره ميدان. وفى قره ميدان هذا وعلى الجانب الأيمن لبوابته توجد سقيفة حجرية تسمى مصطبة الحاج حيث من المعتاد فى الصباح الباكر ليوم خروج أمير الحاج بالحجاج، أن يأتى الأمرا وقادة الفرق العسكرية إلى هذه المصطبة، ويقوم الوزير بصفته حاكم مصر بالهبوط من قصره بالقلعة ليسلم بيده المقود الفضى لهجين المحمل الشريف(٤٩) ليد الامرا والقواد بالتناوب حتى يصل إلى أمير الحاج، وفى ذات الوقت يسلم إليه كسوة الكعبة المشرفة(٥٠) ويقوم كتخذا الوزير بأخذ مكانه أيضًا فى هذا الاحتفال بمرافقة المحمل وتنظيمه حتى يأخذ طريقه إلى بركة الحاج.

والداخل إلى صحن القلعة من أى البوابات الثلاث السابقة يصعد مباشرة إلى التل، مارا خلال بوابات حجرية ذات ثلاثة أو أربعة عقود. وممرات البوابات الثلاث تتقاطع مع بعضها،وبجانبها توجد البوابة الرابعة المسماة ببوابة المطبخ، وهى ذات عقد واحد وبوابه جبل الجيوشى. وهى مغلقة فى الغالب إلا عندما يخرج منها الوزير لأحد الاحتفالات الهامة. ولذلك فهى لاتفتح إلا بمراسيم خاصة ومفاتيحها ومفاتيح بوابه قرة ميدان فى عُهدة كتخذا الوزير وتحت حماية اوجاق(٥١) الإنكشارية. لكن فى اوقات الازمات والمنازعات. مع العسكر المصرليه، فإن كوجك جاويش

الانكشارية والذى يسمى قره لامه(لانه يرتدى ملابس سوداء ذات حزام)كان يغلق هذه الابواب ويأخذ مفاتيحها وينصرف ولايعود إلى فتحها إلا بعد انتهاء المنازعات وفى داخل القلعة يوجد خمسمائة منزل وحمام ومسجدين كبيرين وماية دكان وبئر قديمة عميقة واسعه تدعى(بير يوسف كوشكى) لانه بجوار كوشك كبير يسمى كذلك كشك يوسف تعد فيه كسوة الكعبة سنويًا وتنقل تحت اشراف ناظر الكسوة.(٥٢)

ومؤسس القلعة والبير والكشك هو يوسف صلاح الدين(الأيوبى) الذى قدم من سوريا فى العصور القديمة وفتح مصر وحكمها لفترة(١١٧١-١١٩٣م).

وفى قصر الحاكم بالقلعة يوجد جامعان صغيران وحمام والضربخانه ووجاق جاويشان. ولم تكن اسوار هذه القلعة فى الأساس قوية ومتينة مما ادى إلى خراب معظمها.

ولكل من وجاقى العزب والإنكشارية برجين كبيرين مستديرين، ونصف مدافع(الشاهى(٥٣)) الموجودة بها مصوبة نحو قصر الباشا الوزير، والنصف الثانى موجه الى مدينة القاهرة. وعندما يقع المماليك فى خلاف مع الباشا يطلقون على قصره المدافع من هذه الأبراج، وكانوا أحيانًا لايكتفون بذلك، فيقوم أحد الأمرا بحمل بعض هذه المدافع إلى جبل الجيوشى حيث يطلقها على قصر الحاكم.

١٨- وصف فئات وطوايف اهالى مصر

اولهم شيخ السادة البكرية(٥٤)، وهم من نسل سيدنا أبوبكر الصديق رضى الله تعالى عنه، لهم أشياع وتابعون وعزوة عائلية كبيرة ومال وفير، وكل علماء الأزهر والأمرا وقواد الفرق العسكرية والتجار وغيرهم من الناس يبجلونه ويحترمونه ويقبلون يده.

يليه فى الأهمية والرتبة شيخ السادات الوفائية،(٥٥) وهم من نسل سيدنا على كرم الله وجهه. وهو على نفس درجة وأهمية شيخ السادة البكرية. وبالرغم من طغيان المستبدين من البكوات المماليك فى القرى والبلاد وسيطرتهم على أراضى الأوقاف واستبدادهم الذى لاحد له إلا أنهم فى العموم لايمتنعون عن أن يقبلوا أيدى هذين الشيخين.

وبالرغم من احترام المستبدين من الامرا المصرية لهذين الشيخين(البكرى والسادات)وتقبيلهم لايديهما، إلا أن طغيانهم فى القرى والبلاد وسيطرتهم على أراضى الاوقاف دفع هذين الشيخين إلى أن يكرها هؤلاء الطغاة ويتمنيان زوالهم وانقضاء سلطانهم بسبب سوء معاملتهم التى يلقونها منهم، ولو قدم إلى مصر حاكم مقتدر محنك ووثقوا فى أنه سوف يقضى على هؤلاء الطغاة ويوقع عليهم العقوبات ويحفظ للمشايخ اوقافهم واموالهم التى استقروا عليها منذ قديم الزمن، فإنهم سيتعاونون معه وسيبذلون كل جهدهم وقوتهم من أجل القضاء على هؤلاء الطغاة، وسيكون لجهودهم هذه فائدة كبيرة، لأن علماء الأزهر والأيمة والخطباء والحفاظ وفقراء المدينة والروم أو شاغى(٥٦) والتجار المغاربة(٥٧) يطيعونهم وينقادون لهم ولايخالفون أوامرهم.

خلاصة القول أن لهم المقدرة على تعبئة قوة

مسلحة من الرجال عددها لايقل عن سبعين أوتسعين الف رجل من المخلصين الأوفياء لهم، وبهذه الطريقة يمكنهم مساندة الباشا.

وهناك كذلك علماء الأزهر والذين يسمون فى مصر بمشايخ الازهر، إلى جانب أربعة يفتون على المذاهب الاربعة(٥٨)، ورجال الدين والمشايخ الآخرون يشتركون جميعاً فى كراهية الطغاة المستبدين من العسكر ؟ ويتمنون زوالهم.

وصف عساكر مصر من السراجين(٥٩) واليولداش(٦٠)

وهم فى غالبهم(٦١) روملى قادمين من الاناضول وجزر بحر ايجه، وهم يبدءون برتبة سراج.

١٩ - وصف عسكر السراجين بمصر

وهم على شاكلة البربر(٦٢) ذوى شوارب طويلة وعمائم تربط على طرابيش قصيرة كالذى يرتديها قباطين السفن الكبار. ويرتدون كذلك مايشبه القفاطين القطنية على ظهورهم مفتوحة من الأمام. وفوق ذلك يرتدون جبة من الجوخ، ويعلقون فى رقابهم خنجرا يتدلى كالتميمة على الصدر، وغدارتين وسكيناً فى وسطهم، ويكون فى معية كل أمير أو قائد عسكرى منهم مابين ٤٠ و٥٠ سراجاً تزيد وتقل بحسب رتبته. وهو الذى يعين رئيسهم(الأغا) من بينهم يلقب بسراج باشى. ويصرف لكل سراج كراتب شهرى قطعة ذهبية من فئة الألتون(يساوى حوالى ٢٥ باره)، بالإضافة إلى الكسوة السنوية، وهى عبارة عن قماش للعمامة وبعض الأقمشة القطنية، وأربعة أذرع من الجوخ.

وعندما يركب أغا السراجين جواده ذاهباً إلى الديوان أوأى مكان آخر فإن السراجين يتقدمونه فى الطريق. ولكن إذاكان هذا الاغا غاضباً لأى سبب من الأسباب، أو إذا اتهم أغا الانكشارية أحداً منهم اى السراجين بتهمة يقبض عليه ويجرد من ثيابه تماماً ثم يجلد على قدميه بألف أو ألف وخمسمائة جلده(؟)وقد تبلغ أحياناً ألفى جلده، بحيث يترك مفلوجاً، ثم يطرد أويقتل فى بعض الحالات. ولهذه العقوبات القاسية فإن السراجين غاضبين على أغواتهم والأمرا المصرية، ويتمنون أن يبطش بهم السلطان، وهذا يعنى أنهم على استعداد تام لإتباع أوامر الباشا الجديد لمصر لو سنحت لهم الفرصة.

٢٠ - وصف عسكر اليولداش بمصر

بعد أن يتم السراج عدة سنوات فى الخدمة عند سيده فإن قائده(الأغا) يرتب له«اسامه(٦٣)» اى راتب يساوى عدة «أقجات(٦٤)» فى سجل إحدى الفرق العسكرية، ويعطيه إذنًا بارخاء لحيته(٦٥)، ويشارك احد التجار الأغنياء من ميناء جدة فى تجارته وبهذه الطريقة يتم توظيفه،ويسمى عندئذ «يولداش» أى رفيق سفر. وعادة يمنح كسوة سنوية فى شهر رمضان المبارك، ويستلم سنويا من الشون الاميرية عدة ارادب من الحبوب تسمى«جرايه(٦٦)». هذا اليوالداش يسافر إلى جدة كل سنة مع السفن المبحرة من ميناء السويس ليتاجر فى البن وغيره من البضائع والسلع، وهكذا تدريجياً تتكون له ثروة خاصة.

ومن بين هؤلاء اليولداش تجار قدامى يمتلكون أكثر من خمسماية أو ألف كيسة(٦٧) إلى جانب العقارات والممتلكات العينية الأخرى.

وعندما كان الامرا المصرية تغضب على أى أحد من السراجين أو اليولداش كانوا يعاقبونهم ويؤدبونهم بل ويقتلونهم ويصادرون أموالهم وممتلكاتهم. ولذلك فهم اكثر مقتا من السراجين على الامراء المصرية الطغاة، وينتظرون الفرصة المواتية للانتقام.

وهكذا يكون هناك أكثر من ماية ألف رجل من السراجين واليولداش يمقتون طغاة مصر.

والى جانب هؤلاء يوجد حوالى الأربعين أوالخمسين ألف تاجر من أصول مغربية يجيدون اطلاق البنادق كالرجال الارناؤط(الألبان).

وعندما كانت تقع النزاعات بين الأمرا المصرلية يتجمع السراجين واليولداش التابعين لكل أمير فى قصره وتستكمل عدتهم فى حالة الحاجة إلى مزيد من العسكر من المرتزقة المغاربة. ويعطى لكل منهم قطعة ذهبية واحدة كهبة، ويطلق عليهم العسكر المغاربة. ولكنهم لم يعتبروا أبداً كاليولداش، كما أنهم لم يكونوا بعيدين عن إضطهاد الامرا المصرية ومصادرة أموالهم ولذلك فهم كالسراجين واليولداش ينتظرون اللحظة المناسبة لحظة ضعف دولة الطغاة المصرية للقضاء عليها بالتحالف مع الباشا(المرسل لحكم مصر)حتى النهاية.

٢١ - وصف طايفة العربان فى مختلف نواحى مصر

هناك عدة قبائل من العربان الذين يركبون الخيل ويستخدمون المزراق(الرماح)، ويعيشون فى الخيام.

وقبائلهم تنتشر على اطراف القرى وفى الصحارى المحيطة بالوادى. وتقوم بأعمال السلب والنهب. ومن هنا كان المكلف بحماية القرى منهم يسمى بالغفير، وفى مقابل هذه الحماية كان على كل قرية أن تدفع لهم سنويا قدراً معينا من الفردة يسمى«مال حمايه(٦٨)».

وكان المغفور له السلطان سليم خان، قد عين لكل اقليم من أقاليم مصرقبيلة لحراستها(بمعنى أصح لعدم التعدى على المحاصيل) وفى مقابل هذه الخدمة كان على قرى كل اقليم أن تدفع لهم سنويا فرده تسمى«قرايه». وكان فى اقليم الشرقية يوجد شيخ عرب يسمى«ابن حبيب(٦٩) القيت عليه مهمة حماية الاقليم.

أما اقليم الغربية فكان على خفارته الشيخ الخبيرى. وفى أقليم البحيرة أولاد خَنادم، والجيزة والصالحية والسويس والمناطق الأخرى كانت قبايل العبابده(٧٠) والحويطات(٧١) والطرابين(٧٢) والطوايله وغيرهم من قبايل العربان تعمل فى خفارتها.

وتعتبر قبيلة العبابده أكبر القبايل السابق ذكرها عدداً ولذلك تحسب لها بقية القبايل حسابها وتتحالف معها، وجميع هذه القبايل فى حركه دائمة ويرحل بعضها فى قوافل على جمالهم إلى غزة والسويس، ويؤجرون جمالهم، للقوافل التجارية ولقافلة الحاج،حتى أن أمير الحاج كان يأخذهم معه لحراسته، وفى بعض الأحيان عندما كان البك(٧٣) أمير الحاج يعلم بوجود اضطرابات وشغب على طريق الحج إلى الحجاز كان يجمع أهم مشايخ العبابده واتباعهم ويسألهم النصيحة،

فلو قبل هؤلاء المشايخ مسؤلية المحافظة على طريق الحاج فإن خمسة أوعشرة منهم يتركون فى ضيافة شيخ البلد حتى عودة الحاج، كما يتقدم القافلة خمسة أوعشرة منهم طوال طريقها للحجاز. فى مثل هذه الحالة فإنه بمشيئة الله تعالى لايهاجم عربان مصر أوالحجاز الحجاج. ولكن إذا رفض هؤلاء المشايخ التعهد بحماية قوافل الحاج ففى مثل هذه الحالة على أمير الحاج أن يدعم قواته بأكبر عدد ممكن من العسكر والمدافع والبنادق، ويدعم دوريات الاستكشاف على الطريق ذهابًا وايابا.

وقد جرت العادة منذ القدم أن يقوم كشاف(٧٤) الامرا بجمع «القرايه» الخاصة بالعربان من الاقاليم ودفعها لهم، ولكن فى بعض الاحيان يقوم الكشاف المعروفين بالجشع والطمع بجمعها من الفلاحين ولايدفعونها كاملة للعربان، وكنتيجة لذلك يرسل العربان عرضحال إلى حاكم مصر(الباشا)يحثونه على جمع«القراية» الخاصة بهم من أرباب المناصب السابق ذكرهم.فإذا لم يتم ذلك يبدءون فى السطو على القوافل ويغيرون على القرى وينهبون حواصلها ويدمرون مزارعها. وفى اعقاب ذلك يقوم بعض بكوات القاهرة بتجريد حملات لمطاردتهم، لكن العربان ينسحبون ويتفرقون فى الصحراء ليعاودوا السلب والنهب بعد عودة الحملات المملوكية. وفى النهاية يتدخل الوسطاء بينهم فتدفع «القراية» لهم كاملة وكذلك«ديّة» القتلى، ثم تكتب حجة بذلك ويتصالحون،وبعد ذلك يأمن المسافرون والفلاحون على أنفسهم واموالهم.

وبناء على ماتقدم فإنه لايمكن أن تقوم صداقه نابعة من صميم القلب بين طغاة مصر من أرباب المناصب وبين العربان لما بينهم من ثأر.. ومن ثم فإن العربان يتمنون أن تقوم السلطنه بقهر هؤلاء الطغاة المستبدين والقضاء عليهم، ولذلك فهم على استعداد للطاعة والانقياد وامداد حاكم مصر(الباشا) بكل المساعدات والخدمات اللازمة لذلك عندما يحتاجها.

بيان لمختلف رتب وفرق طغاة مصر الحاكمين والعادات والطرق الشريرة لكل منهم

يبلغ عدد الطغاة المتحكمين من الأمراء ومن قواد الفرق ومن كتخدا الوقت لوجاق العزب والانكشارية حوالى العشرين شخصا.

٢٢ - مراتب الأمرا البكوات

أولا: شيخ البلد.(بك)

ثانيا: أمير الحاج(بك).

ثالثا: الدفتردار (بك) (٧٥).

رابعا: حاكم جرجا(بك).

خامسا: حاكم الشرقيه(بك).

سادسا: حاكم الغربية(بك).

سابعا: حاكم البحيرة(بك).

ثامنا:أمين أنبار الغلال (بك)

تاسعا: بك الخزينة(٧٦).

ثمانية من هؤلاء البكوات التسعة شبه ثابتين في وظائفهم أو يجرى تغييرهم في نهاية العام، أماشيخ البلد فلابد من بقائه في منصبه، ولو اقتضت الأمور تغييره فيجب أن يتم ذلك باجتماع وتشاور كل البكوات وباشا مصر. وحتى عندما يتم الاتفاق على ذلك فإن عزل شيخ البلد لايتم إلا بعد حروب ومشاحنات دموية.

وعدا هؤلاء التسعة بكوات يوجد خمسة أوستة بكوات آخرين فيصبح مجموع عدد البكوات حوالى الخمسة عشر قابلين للزيادة والنقصان.

٢٣ - بيان (الباس) تقليد بك جديد

عندما يتفق أمرا المماليك على ترشيح أحد المماليك إلى رتبة البكوية فإنهم يأتون إلى الباشا ويطلبون منه أن يصدر للكاشف أو خازنداره بمنح «تقليد» للمملوك المرشح لرتبة البك، ويدفعون للباشا جائزة(٧٧) عباره عن خمسة وعشرين كيسًا. عند ذلك يسمح لأمراء المماليك بإقامة احتفال «طبلخانه»(٧٨) للبك الجديد، يدق خلاله على زوج من الطبل تصاحبه ستة جياد مطهمة بالذهب تتقدمه حتى منزله.

٢٤ - أحوال ونشأة كشاف الأقاليم

عندما يشترى أحد أمراء المماليك عبدًا صغيرًا فإنه يسميه «ايج أوغلان(٧٩)»، وعندما تنبت لحيته ويتقدم في السن يسمى«جندى»ومن بين هؤلاء يُختار عادة كشاف الاقاليم، كما يمكن لأى كتخدا من قواد الفرق العسكرية أن يختار كشافة من بين عبيده.

وبينما يبلغ عدد الكشاف في مصر الآن مابين الستين والسبعين: فإن عدد مناصبهم المسموح بها من السلطنة هو ستة وثلاثون منصبًا فقط. ولذلك فهم يتناوبون هذه المناصب فيما بينهم. وهذا المنصب يتميز بأن إيراده أقل من إيراد مناصب الامرا، فهو لايتعدى رُبعها أوثلثها.

وهذه الرتبة ليس لها«طبلخانه» تشريفه موسيقيه، ولكن يسمح لحائزها اثناء تأدية عمله بمصاحبة قارعى طبل، دون أن يكون له حق استخدامهم في دخوله أوخروجه من منزله.

٢٥ - بيان أحوال زعامات (اختيارية)فرق انكشارية مصر

بينما يطلق على هؤلاء الاختيارية لقب انكشارية فإن مبادئهم وطقوسهم بعيدة كل البعد وغير مطابقة مع فرقة الانكشارية في استنبول. فمثلاً يحق لأى أحد من الاختيارية أن يرقى مباشرة– عن طريق خازندار الامير المملوكى–إلى رتبة «كوجك جاويش(٨٠)» في فرقة الانكشارية، ثم يرقى اعتباطاً بعد ذلك إلى رتبة«أورطه جاويش(٨١)» ثم للرتبة الأعلى «باشجاويش (٨٢)» وذلك خلال ثلاث سنوات فقط(يمكنه بعد ذلك أن يطلب احالته للاستيداع من وظيفته ويستقر بمنزله مع صرف راتب سنوى يتراوح قدره مابين الخمسة والثمانية أكياس). وبعد حوالى خمس أوعشر سنوات من هذه التصرفات الفاسدة يصبح الباشجاويش في رتبة «وقت كتخداسى»(٨٣). ولمدة عام فقط يمكنه أن

يطلب بعده إحالته للإستيداع فيصرف له مابين الاربعين والخمسين كيسًا في السنة ويستقر بمنزله. وعندما يكبر في السن فإن راتبه يصبح اكبر ويسمى في الفرقه «باش اختيارى» وهو منصب وحيد في كل الفرقة. ومن مجموعهم يتكون زعماء الفرق أو «باش اختيارية» الفرق الإنكشارية بالرغم من أن أعمارهم لاتكون قد جاوزت الثلاثين عامًا فقط.

٢٦ - أغا إنكشارية(٨٤) مصر

أغوات فرقة الإنكشارية في مصر لايتم اختيارهم من بين أعضاء الفرقة ذاتها، ذلك أنه عندما تحتاج الفرقة إلى أغا فإن الأمرا يختارون أحد الكشاف ويعينونه أغا، ومدة شغله لهذا المنصب غير محددة، وقد تمتد لعدة سنوات. والأغا طوال شغله لهذا المنصب يحصل على رتبه «بك» ويكون له الحق في القيام بأعماله ممتطيًا جواده، كماأن سلطاته الإدارية والقانونية تشمل القبض على المخالفين وحبسهم ونفيهم واعدامهم. ومتابعة أحوال الأمن. ولكنه بعد إحالته للاستيداع لايحصل على إيراده أورتبته في الفرقة، ولكنه يتعيش في منزله معتمداً فقط على إيراداته الخاصة. وأحيانًا قد لايحصل الأغا على رتبة البكوية حتى إحالته للاستيداع ولكن هذا نادر جداً.

٢٧ - وصف احوال فرق(٨٥) العزب

تشبه أحوالهم أحوال فرقة الانكشارية فيما عدا أن عوايدهم أقل.

٢٨ - وصف احوال فرق الجاويشيان(٨٦)

المنتسب لهذه الفرق يلتحق في البداية بوظيفة(جوربجى)وبعد مضى بعض الوقت يمكنه أن يحصل على رتبة(وقت كتخداسى) وبعد إحالتهم إلى الاستيداع يصبحون (اختيارية أوجاقات) ويسمى رؤساء وأغوات هذه الفرق (جلو يشلر كتخداسى) وعوايدهم أقل بكثير من أصحاب الرتب السابقة.

٢٩ - وصف احوال فرق المتفرقة(٨٧)

وتشبه أحوال هذه الفرقه أحوال فرق الجاويشيان من كل الوجوه، ويسمى أغواتها(متفرقه اجاسى).

٣٠ - وصف احوال فرق التفكجيان(٨٨) وفرق كوكلويان(٨٩) وجراكسه

هذه الفرق تتشابه في جميع الأوجه مع فرق الجاويشيان والمتفرقة، وكل منهم لها أغا. وفي مصر يطلق على الخمس فرق سالفة البيان(الجاويشيان، المتفرقة، والتفكجيان، كوكليان والجراكسه)«آتلواوجاقى» أو السباهية. واكثريتهم كرجى(جورجى)الأصل مع قلة من الاباظه(٩٠) والجركس، ولايوجد بينهم من هو حرّ في أصله بل كلهم عبيد، ذلك أنه لايسمح للأحرار بالإنضمام إلى هذه الفرق.

٣١ - أحوال عسكر مصر

إن جملة الكشاف وعسكر الاوجاقات واليولداش من التجار أوالسراجين السابق ذكرهم لايستفيدون من عوايد القرى ويكتفون بالعلوفات والجرايات التي خصصها المغفور له السلطان سليم(٩١)(الأول) لكل أوجاق، ومعلوم لهم أن

هذه الرواتب مجرد كرم واحسان من صاحب العظمة السلطان زينة الدنيا. ولذلك فإنهم جميعًا سيطيعون الأوامروالترتيبات السلطانية الخاصة بإعادة تنظيم مصر، والتى سيكلفهم بها الباشا الحاكم، وسيبذلون قصارى جهدهم لهزيمة المصرلية طغاة مصر.

٣٢ - عدد طغاة مصر (المصرلية) ومقدار عوايد القرى الواقعة تحت يدهم الفاسدة

يبلغ الدخل الخاص بكل واحد من الأمراء الخمسة عشر السابق ذكرهم حوالى ثمانون كيسه(٩٢)، فيكون مجموع مايحصلون عليه حوالى ١,٢٠٠ كيسه، بالإضافة إلى أربعين«اختيارة» فى فرق الانكشارية يتلق كل واحد منهم سبعون كيسه فيكون مجموع مايحصلون عليه الفان وثمانماية كيسه، أما الجاويشية السابق ذكرهم فى فرق الانكشارية، ويسمون كذلك «اختياريه» والبالغ عددهم سبعون شخصًا فيتلقى كل واحد منهم أثني عشرة كيسه فيكون مجموع مايحصلون عليه ثمانماية واربعون كيسه.

والى جانب هؤلاء فإن هناك اختياريه بفرق الانكشارية يدفعون للباشا مائتى واربعون كيسة كل عام تحت اسم أموال كشوفيه(٩٣)،وذلك مقابل ادارتهم لجمارك بولاق ورشيد والاسكندرية ودمياط،بمعنى انهم يلتزمون بجمع كل جماركهم (ماعدا السويس)وذلك فى مقابل حصولهم على عائد سنوى قدره ألف كيسه من هذه الجمارك على الأقل.

أما كتخداوات فرق العزب السابق ذكرهم والبالغ عددهم أربعون فردًا فيتسلم كل واحد منهم ثلاثون كيسه، فيكون مجموع مايحصلون عليه الف ومائتى كيسه.

كما أن جاويشية فرق العزب والبالغ عددهم سبعون فردًا فيحصل كل واحد منهم على سبعة أكياس، فيكون مجموع مايحصلون عليه أربعمائة وتسعون كيسه.

أمااختيارية الفرق الخمس الباقية والبالغ عددهم مائة فرد فإن كل واحد منهم يحصل على خمسة أكياس، فيكون مجموع مايحصلون عليه خمسماية كيسه، هذا بالإضافة إلى سبعون كاشفًا وعدد من الخازندارات وغيرهم من اتباع الأمرا والاختيارية يبلغ عددهم سبعون فردا فيكون مجموعهم ماية وأربعون فردًا يحصل الواحد منهم فى المتوسط على حوالى خمسة أكياس فيكون مجموع مايحصلون عليه سبعماية كيسه.

وإذا افترضنا أن عدد الروزنا مجيه(٩٤) والكتبة والمساعدين حوالى الخمسين شخصًا يحصل كل واحد منهم فى المتوسط ستة أكياس، فإن مجموع مايحصلون عليه يبلغ الثلاثماية كيسه.

وعلى هذا فإذا قام«المتسلمون»(٩٥) بتولى أعمال الكشاف والأمرا وجمعت ايراداتهم السابقة بعناية فائقة، فإنه يمكن تحقيق فائض أميرى سيصل إلى ألف كيسه سنويا.

كما أنه عندما يعاد تنظيم مصر، فإن الأموال الاميرية التى سوف تحصل من الضربخانة(٩٦) (دارسك النقود) ستصل إلى حوالى ماية وخمسون كيسه سنويا وربما أكثر من ذلك لو اديرت بعناية أدق.

وكل هذه الأموال محسوبة على أساس أن الكيسه المصرية تساوى ستماية وخمسة وعشرين قرشا. وعلى هذا كان الإجمالى السنوى للحسابات السابقة (حسابات عوايد الأمرا) يصل إلى عشرة آلاف ومايه وثمانون كيسه(٩٧) وان شاء الله الكريم الفتاح سوف تزداد هذه الأموال.

أما مجمل الأفراد السابق سردهم وشرحم فيقترب من حوالى خمسماية وخمسة وعشرين فرداً.

٣٣ - ذكر الحلول المقترحة لمعاقبة وقهر ومحو طغاة مصر (الامرا المصرلية)

كما شرحنا فيما سبق، عندما يصل الوزير الجديد إلى بركة الحاج يجب عليه أن يرسل المدافع السابق ذكرها مع الفين من الجنود لوضعها فوق جبل الجيوشى بحيث تكون طوابى وأبراج الانكشارية وفرق العزب وكل بقاع القاهرة على مرمى نيران هذه المدافع (ولكن بمشيئه الله تعالى لن تطلق أى دانه إلا فى حالات الضرورة القصوى)، وذلك من أجل خلق الوضع المناسب للمحافظة على مهابة السلطنة العلية. وعلى الحاكم بداية أن يصدر أمراً سلطانيا يكون محتواه مايلى:

حيث أنه بعد مسح القرى والأراضى المصرية الذى أجُرى بأمر حضرة السلطان سليم خان (الأول) عليه الرحمة والغفران، فاتح مصر، قد اندثرت بعض القرى واستحدث غيرها، كما نشأت عدة قرى صغيرة جديدة تسمى الواحدة «كفر»، وحيث أنه بينما كان السلطان قد أمر بتحصيل أربع بارات سنويا عن كل فدان، فإن مايُحصّل الآن أربعة جنيهات ذهبية عن كل فدان ويستولى طغاة مصر على الفرق لأنفسهم مخالفين بذلك الأمر السلطانى والشرع النبوى الشريف لأن هذا غش وأكل للمال الحرام وسرقه بيت مال المسلمين (؟) وخيانة عظمى للدولة العلية.

فلهذا قد تقرر أن يصدر أمراً من الباب العالى بتعيين مساحين ذا خبرة ومخلصين بمعرفة باشا مصر لعمل مسح شامل تحت إشرافه واشراف قاضى مصر، يحدد على اساسه مقدار مايحصل من المال على كل حيازة بحسب مساحتها حتى لايحدث ظلم لفقراء الرعية بدفعهم مالاً أكثر أو أقل، وحتى يصان بيت المال من الخسائر غير الشرعية. وهذا الأمر سوف ينفذ فوراً، ثم يرسل فرمان عالى مفصل ينص على الآتى:

إذا حدثت أى معارضة لعملية مسح الأراضى والقرى كما جاء فى الفرمان السابق فعلى الجميع التعاون مع الحاكم (الوزير) من أجل معاقبة الطغاة المصرلية وتطبيق الشريعة والقانون، أما من يتصدى أو يتعدى على ذلك بالقوة القهرية فسوف يقمع بشدة وحزم ويقتل، وفى حال هروبه تصادر أمواله وتضبط ممتلكاته مع باقى الأموال والممتلكات الخاصة بالذين يقتلون ويجب أن تراقب وتسجل هذه الأملاك والأموال بدقة تحت إشراف الحاكم (الباشا) وقاضى مصر، ويرفع بها تقرير إلى الباب العالى، حتى يُعلن ان التزامات قراهم وأملاكهم قد صارت محلولة خاليه(٩٨). وفى حالة القبض على أحد منهم سوف يعاقب بعنف وقوة ويتم نفيه.

وهكذا فإنه فى حالة الابتداء فى هذا المسح يستحسن أن يتم إصدار أمر جليل بمعاقبة قاسية

لفرد أوفردين من المقبوض عليهم بسبب اعتراضهم لعلمية المسح وذلك حسبما يقتضى الوقت والحاله.

وعندما تعلن هذه الفرمانات والأوامر عاليه، يجب أن يكون فى معية المسحاين عند ذهابهم للقرى عدد كاف من العسكر وبالنسبة للطغاة المصرلية الذين لايرحبون بذلك فتتخذ بشأنهم التدابير اللازمة لإرسال عدد من العسكر للقبض عليهم بالطريقة التالية:

بداية ترسل عدة اعلانات مكتوبة باللغة العربية والتركية مع عدد من الرسل يقرؤنها فى مواضع دروس العلماء بالازهر، وكذلك أماكن تجمع التجار بخان الخليلى(٩٩)، ومختلف أماكن التجمعات السكانية الأخرى يكون نصها:

بناءً على الشرع الشريف، هذا قانون منيف(خسروانى) من سطاننا المعظم المهاب، ظل الله فى الأرض، وسلطان العرب والعجم، يأمر بمسح وتحرير القرى، وتزال أى تعديات على الأراضى، وأى جور على الفقراء.

وسيعطى للمشايخ والعلماء والعسكر وطوايف الوظائف الأخرى علوفاتهم وجراياتهم سنويا بحسب القانون القديم.

وحيث أنه عند ابتداء تنفيذ الفرمانات العظيمة الشأن الخاصة بمسح الأراضى والتى أرسلت للباشا الحاكم، بدا واضحًا قلة طاعة الطغاة المستبدين لهذه الفرمانات الشرعية الواجبة النفاذ وخروجهم على طاعة ولى الأمر، فقد صدر فرمان سلطانى يأمر بأخذهم وسجنهم،وفى حال مقاومتهم تهدم منازلهم ويعاقبون ويقتلون.

وبمقتضى هذه السلطات التى يمنحها هذا الفرمان لنا (أى للباشا) سوف نرسل العسكر بهذه الاعلانات لكل واحد منهم.

وفى اليوم الذى تقرأ فيه هذه الإعلانات فى كل الأسواق وكل الأماكن فإنه بعناية الله سينضم المشايخ السادات والعلما إلى صفوف المائة ألف عسكرى من اليولداش والسراجين وطايفة التجار المغاربة المذكورين سابقا(المعادين للأمراء المصرلية).

بعد ذلك سوف يعطى الباشا لكل واحد منهم قطعة ذهبية واحده«بخشيش» كما هى العادة فى هذا البلد.

ثم يشكل الباشا عددًا كافيًا من هؤلاء العسكر تحت قيادة أغا انكشارى ضمن فرقه خاصة تسعى وراء المصرلية الفارين والذين لم يقتلوا، ويجب فى هذه الحالة أن يصدر الباشا عددا من الفرمانات بصيغة «أمر واحضار» لايذكر فيها اسم المقبوض عليه إلا بواسطه الأغا المذكور وذلك من باب السرعة فى اتخاذ إجراءات القبض على الطغاة، وبعد القبض عليهم يمكن نفيهم إلى قبرص أو أى بلد آخر.

وعلى هذا الاساس فإن الأمر يحتاج إلى أن يكون فى حوزة الباشا عدة فرمانات جاهزة ومرتبه بشأن إدارة شئون مصر وتنظميها، وذلك لتعلن وتقرأ واحدة بعد الأخرى لتنفيذها بحسب الظروف والأحوال ومدى الاحتياج إليها.

وبمجرد تصفية طغاة مصر(الامراء المصرلية) البالغ عددهم حوالى العشرين أوالخمسة والعشرين، فإنه سيصدر فرمان سلطانى بتعيين الضابط الانكشارى السابق ذكره قائدًا للانكشارية

ويصبح أغا لهم فى مصر، وذلك بحسب الترتيبات المرعية.

وبواسطة العشرين ألف عسكرى من اليولداش السابق ذكرهم سوف يعاد تأسيس فرق الإنكشارية فى مصر، وستقام لهم ثكنات عسكرية فى الاماكن التى تستدعى تواجدهم فيها، وسيعين ويرسل سرداراتهم إلى كل المدن، وبهذه الطريقة سيكون عسكر مصر مسرورين بتسميتهم«أغاانكشارية»، وسيتبع كل منهم قائده، فهذا ماكانوا يأملونه دائماً.

عندما تصل الترتيبات إلى هذه المرحلة فإنه يمكن بمنة اللهتعالى ولطفه معاقبة مابين خمسة وعشرة من الطغاة يوميًا بحسب ماتقتضى الحاله، وهكذا فإنه بعون الله سيقضى عليهم جميعاً خلال عشرين أوثلاثين يوما.

وفى هذه الحالة سوف يهرب الكشاف ومعظم كتابهم بسبب الخوف، أما الذين لديهم جراءة ويبقون فسوف يعاقبون، ولكنه من الممكن أن يعاد أكثريتهم إلى وظايفهم فيما بعد.

وسوف يعلن على الملأ فرمان عالى تفصيلى يامر بضبط ووضع كل قرى وأموال وممتلكات المعاقبين من المصرلية تحت المراقبة والرصد فى دفاتر تقيد الإيرادات السنوية لهذه القرى والممتلكات وترسل إلى الباب العالى. ومن اللازم أن يشغل رجال ذوو خبره وظايف الجمارك والعوايد و«المتسلمية»، وأن يرسل عدد منتخب من الجنود ليتسلموا وظائف امرا الجند والكشاف ويجب الانتباه بدقة إلى ضرورة عدم الاخلال بالتنظيم الإدارى للقرية ومايحيط بها من أراض، ذلك أن بعض الامرا والكشاف الذين سيظلون محتلين أماكنهم ومراكزهم،وكذلك الفارين منهم، قد يحاولون التكاتف وجمع بعض المتمردين لمهاجمة القرى، فإذا حدث ذلك يجب أن ترسل الأوامر إلى القبايل البدويه القريبة من هذه القرى لمرافقة المتسلمين المرسلين إلى الأقاليم كما يجب أن تبذل كل الجهود الممكنة لجمع ايرادات العوايد والجمارك وحصرها فى كل عام وترسل إلى الباب العالى صورة من دفاتر قيد العوايد بعد خصم المصروفات.

٣٤ - مهام وأحوال أميرحاج مصر

هو بداية يحصل على راتبه نقداً من ايرادات القرى وهو ستماية وسبعون كيسه، وكذلك يحصل على جنيه بندقى ذهب عن كل فرق(١٠٠) بن يرد إلى جمرك السويس(١٠١) من جده. هذا بالإضافة إلى الجمارك المعتادة التى يفرضها الباشا، ولماكان الوارد من فروق البن سنوياً لايقل عن ٣٠,٠٠٠ فرق بن، فإن اميرالحاج يحصل على حوالى ١٨٧ كيسه.

وعلى أمير الحاج الالتزام بتدبير ستماية جمل وكمية محددة من المؤن الكافية للحجاج وذلك قبل ثلاثة أوخمسة أشهر من مغادرة قوافل الحجاج حيث ترسل عن طريق العربان إلى القلاع والمحطات السابقة الذكر على طريق الحاج، بحيث تكون كل هذه الامدادات جاهزة قبل شهر من رحيل القوافل. بالإضافة إلى كل هذه الامدادات فإن شيخ العرب همام فى الصعيد يرسل كهدية منه إلى قافلة الحجاج ثلاثماية جمل ومقدار من المؤن يتسلمها أمير الحاج.

٣٥ - أحوال أمير الحاج وعسكره وبيان مصاريفهم

يتحكم أمير الحاج فى قوة مدفعية تتراوح مابين أربعين وخمسين مدفعًا كبيرًا، وخمسة عشر مدفعًا صغيرًا ومائتين من خاصته، وكذلك عدد من السرداريه يطلق عليهم لقب «قطار سردار(١٠٢)» يعينون من الفرق السبع تحت قيادتهم عدد من الجنود يبلغ عددهم المايتين ينضمون لقافلة الحاج. وهم يتحملون مصاريفهم.

هذا بالإضافة إلى مايتنين فردًا من خارج الفرق«غربانلك(١٠٣) توآنا» يحضرون إلى مصر سنويًا من الاناضول والروملى مدفوعين برغبتهم فى خدمة قافلةالحاج، ويضمون إلى قافلة الحاج كرماة بنادق، وذلك فى مقابل جنيه ذهب شهريا، وعلى مدى ذهاب القافلة وعودتها التى تستغرق حوالى الماية يوم، يُعطى أمير الحاج لكل رجلين منهم بغله أمانه يركبانها بالتناوب،كما يحصل كل واحد على نصف أقة(١٠٤) من البقسماط، وكمية كافية من الماء العذب يوميا.

أما فقراء الحجاج المغاربة القادمين من كل شمال أفريقيا والذين لايركبون السفن للحاج(بسبب تعاليم بعض فقهاء المذهب المالكى(١٠٥) التى تفرض أن يكون الحج فيه مشقة للبدن) فياتون مصر برًا سيرًا على الأقدام لمدة ثلاثة أشهر ويعسكرون عدة أيام فى قرية انبابه الصحراوية على البر الغربى للنيل فى مواجهة بولاق، ومعظمهم يحمل بنادق جزائرية طويله يستخدمونها بنفس مهارة عسكر الارناؤط(الألبان) ،وعددهم يزيد على الثلاثماية رجل. وهم لايقلون عن ذلك ابدًا. وقد اعتادوا الرحيل من مصر والوصول إلى مكة قبل حجاج مصر بيوم واحد ليكونوا من أوايل طليعة الحجاج الواصليين لبيت الله، وهم ذوطبيعة حربية، ولايحصلون على أى رواتب أومساعدات من أمير الحاج المصرى.

وهكذا يبلغ المجموع الكلى للجنود من مختلف الفرق المخصصين لقافلة الحاج حوالى التسعماية وألف فرد، لاتتجاوز مصاريفهم السنوية فى أى عام الخمسماية كيسه، إلا أنه كان من العادة ان تختلق المعاذير المختلفة لزيادة هذه الأموال التى يحصل عليها أمير الحاج المصرى(١٠٦) من الخزانة الاميرية.

٣٦ - وصف وبيان كيفية ارسال الحجاج ذوى الإبتهاج بعد إعادة تنظيم مصر

فى كل عام يسمح لكتخدا حاكم صيدا(١٠٧) بأن يتوجه بتجريدة من العسكر تتكلف ماية وخمسين كيسه إلى قلعة هدية عشم (عشم هديه) التى تقع بعد ثلثى طريق الحاج(الشامى) تقريبًا، وقبل ثلاث مراحل من المدينة المنورة، وستة عشر مرحلة من مكة المكرمة لحماية الحجاج.

ولقد كان كتخدا باشا مصر فى الأزمنة السابقة يُعين أميرًا للحاج، فكان كل سنة يذهب ويعود من مكة بالحجاج سالمًا غانمًا فى حمايته، ولكن ماأن تسلط الأمرا المصرلية على حكم مصر كما هو الآن حتى طمعوا فى أموال ومصاريف قافلة الحاج،

وتنافسوا على مهمة أميرالحاج، حتى أنهم كانوا يعطلون صرف احتياجات من يقع عليه مهمة إمارة الحاج، بل وصل الأمر فى بعض الأوقات إلى حد اغراء قبايل البدو القائمين على طريق الحجاج بمهاجمة القافلة ليثبتوا فشل امير الحاج فى مهمته.

ولكن عندما يعاد تنظيم مصر على الأسس السابق ذكرها فلابد أولا وقبل كل شىء الإنتباه إلى ضرورة توصيل الإمدادات على طول طريق الحاج إلى مواضعها المحددة فى الوقت المناسب مع التأكيد على ضرورة أن يُسلم العوبان المكلفين بتوصيل هذه الإمدادات إلى اماكنها على طول طريق الحاج إيصالات تفيد توصيلهم لهذه الإمدادات إلى الحاميات القائمة على طريق الحاج.

ويجب أن تتم هذه الإجراءات قبل رحيل الحجاج بعدة شهور، كما يجب أن يكون تدبير الجنود والمدافع، لهذه السنة، بأعداد أكبر من السنوات السابقة، ويجب استدعاءمشايخ العربان ذوى النفوذ والموثوق بهم، ويخلع عليهم الخلع المناسبة، ويؤخذ عليهم التعهدات اللازمة لحماية الحاج. ويحجز عدد كاف منهم ~~ـ~~ ـمان لذلك. كما يجب تعيين عدد منهم للعمل كمرشدين فى مقدمة عسكر قافلة الحاج ليضمنوا سلامته بعناية الله.

كما يجب أن تراعى أوامر كتخدا الباشا باعطاء الصرر المالية المحددة لقبايل العربان الواقعة على طريق الحاج كاملة دون نقصان، وأن يسلموهم أيضا الخلع المعتادة. فإذا تم كل ذلك، فإنه إن شاء الله تعالى، سيذهب الحجاج ويعودون فى أمن وصفا وسعادة ورفاهية وراحة.

وبالرغم من المصاريف المترتبة على زيادة العسكر والمؤنة الموضحة سابقا، فانها لن تزيد عن الزيادات التى وضعها الامرا المصرلية، والايرادات المحددة لذلك سوف تعطى هذه الزيادة.

٣٧ - وصف إقليم شيخ العرب همام(١٠٨) فى اقليم الصعيد وماتحت يده من القرى الكثيرة وايراداتها الوفيرة

يتمركز شيخ العرب همام فى قرية أخميم(١٠٩) الواقعة على بعد أربع ساعات من مدينة جرجا باقليم الصعيد، وتحت إمرته بشكل ثابت ودايم أربعة آلاف مقاتل يسيطر بهم على معظم قرى الصعيد ويلتزم بها بشكل وراثى أبا عن جد، وعندما كانت تخلو أرض من ملتزمها، كان يرسل أولاده«الحلوان(١١٠)» إلى الباشا الحاكم لتظل يدهم موضوعة عليها، ولايجرؤ أحد على أخذ التزام هذه الأرض، لأن أولاد همام لايسمحون لغيرهم بذلك.

وهم لايحضرون إلى القاهرة بتاتا، ولايغادرون اقليم الصعيد ويؤدون ماهو مطلوب منهم من الأموال والغلال المقررة على القرى الواقعة تحت نفوذهم، ولايعترضون على جمع الضرايب، فهم يقومون بأنفسهم سنويًا بتعيين وارسال عشرين كاشفا إلى المدن والقرى الواقعة تحت نفوذهم ليجمعوا حوالى مايزيد على الألف كيسه كإيرادات سنوية.

٣٨ - بيان إعادة تنظيم اقليم الشيخ همام المذكور

نظراً لأن هذا الإقليم يقع على مسافة بعيدة من القاهرة ،فإن إعادة تنظيمه ليست من المهام الملحة فى السنة الأولى من حكم الباشا الجديد، لكن بمشيئة الله تعالى فى السنة التالية يجب أن يُبدأ فى ذلك عقب عودة أمير الحاج بسلامة الله ودخوله القاهرة، وعندما تصل الأوامر السلطانية اللازمة والضرورية لذلك من الباب العالى، تبدأ إعادة التنظيم بهمة عالية بأبسط الطرق الممكنة.

ويجب أن يرسل مساح لعمل احصاء ومسح للاقليم المذكور مع عمل سجل بعوايدها للعرض على الباب العالى وليعمل بها الكشاف. وهكذا يمكن للمتسلمين حصر وجمع عوايد الاقليم المذكور، وقرب نهاية العام سوف تحصر هذه العوايد وتسجل ما يحدث فى بقية أقاليم مصر.

ويقع تحت سيطرة شيخ العرب همام ميناء القصير(١١١)، وهو ميناء اقلم الصعيد الذى يقع على مسافة ثلاث مراحل بحريه «كونلك» ،عندالبحر الأحمر، من ميناء ينبع(١١٢) الذى يعتبر ميناء مكة المكرمة، وعلى بعد أربع مراحل برية من مدينة أخميم مركز الهمامية فى أقاليم الصعيد.

٣٩ -وصف وبيان غلال(١١٣) الحرمين الشريفين والغلال(١١٤) الميرية

منذ العهود القديمة كانت ضريبة الغلال تجمع من كل قرية وتحمل فى المراكب النيلية وتسلم فى مواعيدها إلى شون الغلال الميرية فى مصر عتيقة.

وكل أردب من هذه الغلال يزن ماية وثلاثين أقة. و«الربعة» اسم المكيال الذى يساوى ٢٤ منها أردب واحد. ويجب عند تسجيل الغلال الواردة للشون مراعاة أن يكون الاردب(١١٥) مساويًا لأربعة وعشرين «رُبعه»، ولكن عند تسليم الغلال للشون لتوزيعها بحسب الاردب على اساس واحد وعشرين «رُبعه» بحيث يبقى فى المخازن من كل أردب ثلاثة «أرباع».

٤٠ - بيان مجموع غلال الحرمين والميرى وأوجه صرفها

يبلغ مجموع غلال الحرمين وغلال الميرى ثلاثمائة وستين ألف أردب، يرسل أربعة وأربعون ألف أردب منها للحرمين الشريفيين والباقى وهو أربعة عشر ألفا تخصص لحكام مصر(١١٦) وبعد توزيع الغلال على رجال الدين«الملات» المقدسين فى مكة المكرمة والمدينة يوزع الباقى على رجال الدين(والاشراف) فى القاهرة. وقضاة الأقاليم، ويوزع الباقى على المشايخ الساداتيه وعلماء الأزهر وساير العلما والحفاظ والأئمة والفقرا المجاورين حول مساجد الحسين والإمام الشافعى رحمهم الله، ولمشايخ التكايا والنساء الارامل المحتاجين، وجنود الاوجاقات السبع، كل بحسب رتبته. ومايتبقى بعد ذلك من فايض هذه الغلال(٣رُبعه المخصومة بالشون)وتسمى «وفركيل(١١٧)» وهو حوالى خمسة وأربعون ألف أردب، يعطى منها تسعة آلاف أردب لأمين الشون «انبار امينى(١١٨)» الذى يعينه الباشا سنويا بمعرفته. وكذلك يصرف منها لكاتب الغلال ومساعديه ورييس الكيالين والحراس والمغربلين وسائر خدم الشون. ويتبقى بعد ذلك من«وفر الكيل» ستة وثلاثون ألف أردب تحجز

تحت بند تلفيات ويسمى«الغرق والحريق(١١٩)» احتياطاً لقضاء الله عند غرق احد مراكب شحن الغلال أثناء رحلتها إلى اماكن شون الغلال بمصر عتيقة أواحتراقها أثناء نفس الرحلة وللتثبت من ذلك فعلى قبطان مركب الشحن أن يسجل محضراً بحادث المركب في منطقة حدوثه من قاضى البلدة التى وقع الحادث امامها فى النيل، أو من الشخصيات المرموقة بها، ويقدمه إلى المسؤلين فى القاهرة لفحص هذا المحضر، وتعويض الفاقد من«وفركيل». أمامايتبقى بعد ذلك من وفر الكيل فيأخذه الباشا الحاكم، وبحسبة صغيره فإن الباقى يكون حوالى عشرون الف آردب سنوياً.

٤١ - وصف ايرادات الباشا حاكم مصر

يدفع اختيارية اوجاقات الانكشارية فى مصر مايتين وأربعين كيسه سنويا إلى الباشا مقابل تحصيلهم إيرادات الجمارك التى يديرونها فيما عدا إيراد جمرك ميناء السويس الذى يخضع للباشا مباشرة ويتصل بميناءجدة الذى يصله منه خمس عشر سفينة كبيره سنويا وبعض السفن من نوع «الغراب»(١٢٠) و«الزعامة» ،ومعظم حمولتها من البن فيماعدا شحنات صغيرة من البهارات والأقمشة، ويعين الباشا مندوباً له فى بندر السويس يسمى«شهر حواله»(١٢١) لتحصيل إيرادات الجمرك من السلع الواردة التى تبلغ سنويًا حوالى ثلاثماية وخمسين كيسه.

وكذلك يحصل الباشا لنفسه من نفس المصدر السابق على أربعة عشر ألف أردب من الغلال تحت اسم«استحقاق» وعشرون الف أردب من الغلال تحت اسم «وفركيل» ليكون المجموع الكلى أربعة وثلاثون ألف أردب من الغلال التى تبلغ قيمتها بحساب سعر الاردب فى المتوسط أربعة قروش، حوالى مايتان وسبعة ونصف كيسه هذا بالاضافة إلى ستين كيسه يحصل عليها من كتخدا فرقة العزب مقابل حصوله على التزام مقاطعة «الخردة»(١٢٢) وهى مقاطعة تجمع ايراداتها من القرداتيه والحواه ولاعبى القمار وبائعى الحشيش والافيون وسائر اصحاب العاب التسلية والأكروبات والجمباز والراقصات الغوازى فى القاهرة والاقاليم والقرى،وذلك فى مقابل حصولهم من الكتخداسى على «اذن تذكره» سنوى يسمح لهم بممارسة نشاطهم.

بجانب ذلك فإن مقاطعة بحيرة المطرية(١٢٣) السابق ذكرها فى اقليم الصالحية تحت الإدارة المباشرة للباشا، وهو يرسل مساعديه الخصوصيين لإدارتها ولجمع عوايدها من كل صيادى الاسماك والطيور وكل المقيمين عليها.

وفى كل عام يعين الباشا ستة عشر من اغواته فى وظايف ثانوية يحصل منهم فى مقابلها على خمسة وستين كيسه كمايحصل كذلك سنويًا من دارسك النقود«الضربخانة» المصرية على ستة وثلاثين كيسه تحت اسم«مال كشوفية»(١٢٤)ويتسلم يوميًا من سلخانة القاهرة ماية وثمانون أقة من لحم الغنم تساوى ستة بارات أى بقيمة سنوية جملتها خمسة عشر ونصف كيسه.

وهو يتلقى أيضا خمسين كيسه تحت اسم«قوارب بندر السويس» فيكون بذلك اجمالى

مايتقاضاه الباشا سنويًا الف وخمس عشرة كيسه مصرية.

وأصل الخمسين كيسه الخاصة بقوارب بندر السويس أنها كانت مخصصة كرواتب لرؤساء ومساعدى أثنى عشر فرقاطة أنشئت فى الماضى لحماية سفن الحجاج والفلال والبضايع المختلفة. لكن هذه الفرقاطات أصبحت تكلف الخزانه الأميرية مصاريف متزايدة بسبب غرق بعضها أوتلفها ولذلك فإن المرحوم على باشا زاده الحكيم(١٢٥) خلال مدة ولايته الأولى على مصر(١١٥٣/١١٥٤=١٧٤٠/١٧٤١م) أمر شهر حواله(مدير) جمرك بندر السويس بأن يعطى لكل جندى«يولداش» من الذين يسافرون لحراسة السفن الخارجة بهدف التجارة انعامًا يسمى «دبش(١٢٦)» عند عودتهم لبندر السويس. والدبش هبه أومكافأة تساوى مجموع عوايد خمسة عشر فرق بن كل فرق ثمانية قروش(أى ١٥×٨=١٢٠قرشا). وحيث أن مايتى عسكرى يدخلون بندر السويس كل عام، فإن مجمل مبالغ الدبش تصل إلى ثمانية وأربعين كيسه.

وهذا المبلغ يغطى ويعوض ضريبة«قوارب بندر السويس» السابق ذكرها.

٤٢ - إيرادات ستلغى(من عوايد الباشا)

عندما كان الباشا يجدد تنصيب أحد الأمراء المصرية لمنصب البكوية مرة أخرى كان الأمير يدفع مقابل هذه الخلعة للباشا خمسة وعشرين كيسه،وعندما كان أحد الأمراء يطالب بالتزام قرية خاليه من الإلتزام، كان الباشا يمنحه ذلك الإلتزام فى مقابل مبلغ يعادل متوسط الفائض لمدة ثلاث سنوات ويسميها«مال حلوان»(١٢٧). ونظراً لأن هذا الإيراد سوف يلغى فى التنظيم الجديد، فإنه لن يكون ضمن حسابات إيرادات الباشا.

٤٣ - حاجات الباشا من العمال والأتباع

كانت الايرادات السابقة تكفى حاجات الباشا واتباعه، ولكن بعد إعادة التنظيم سوف لايكون فى مقدرة الحكام أن يديروا أعمالهم بأقل من عشرة آلاف تابع، منهم مالايقل عن خمسة آلاف سوف يصاحبون «المتسلمين»لمساندتهم فى مواقعهم الإدارية المختلفة، وبالإضافة لذلك فإنه لم يكن من سلطة الحكام أن يتدخلوا فى الأمور السياسية والجنائية، ولكنه فى النظام الجديد سيكون من حقهم التدخل فى هذه الأمور. وبهذا تكون مصر المحروسة فى غاية الأمن والأمان. وهناك أمل كبير فى أن يتبقى بعد أن يتم تنظيم المصروفات السابقة عدة مئات من الكيسات.

خاتمة

والآن سوف نعلق بعض التعليقات الهامة بشأن الإجراءات التى يجب اتباعها لإعادة تنظيم مصر بحيث إذا لم يتم تنفيذها فإنه من الأجدى عدم الشروع فى التنظيمات من أساسها:

بداية وقبل كل شىء فإن أهم مايجب الشروع فيه هو اختيار الحاكم الذى سيعين لتنفيذ هذه التنظيمات بحيث يكون فى غاية الرشد والمهارة والذكاء، وذوحنكة إدارية مصحوبة بقدرة عالية من الأمانة حتى يمكن الاعتماد عليه.

ومتى إمكنى أرسال رجل يتمتع بهذه الصفات متوكلا على الله اللطيف إلى مصر يجب عدم الألتفات إلى أى أقاويل تحاك حوله أو أى نوع من أنواع أحاديث الناس عنه ويجب أن يراعى عند مراقبته الصبر الشديد عليه والرفق به مؤمنين بقوله تعالى:«ومن يتوكل على الله فهو حسبه» و«أن الله لطيف بعباده».

وبالرجوع إلى المعلومات السابق ذكرها، فإنه يلزم أن يؤخذ فى الاعتبار أن المسافة التى سيقطعها الباشا بعد تركه لغزة تبلغ حوالى العشرة أيام، كما أنه سيلزمه مدة عشرين يوماً زائدة بعد وصوله إلى مصر(بركة الحاج)، فإذا علم طغاة مصربمشروع إعادة تنظيم مصر بعد ثلاثين يوما فلن يكون هناك أى ضرر من ذلك، حيث أنه ستكون كل الترتيبات والتنظيمات السابق ذكرها قد تمت خلال فترة العشرين يومًا التى يقيمها الباشا فى بركة الحاج(قبل دخو ل القاهرة). وعندما تتسرب أنباء هذه التنظيمات إلى الناس، سوف تتوالى الاحداث الجيدة ويقتنعون بالتنظيمات الجديدة ويتحمسون لها.

وفى الحقيقة فإنه منذ زمان بعيد يعتقد الناس أن أصلاح وتنظيم مصر ليس أمرًا صعبًا فقط، ولكنه مستحيل. وعلى هذا فإن سماع الناس بهذه التنظيمات مبكراً وقبل تنفيذها سيعرّضها للأقاويل والاستهانة بها. وفى أحسن الاحوال فإن المعتدلين من الناس سيستبشرون خيراً إذاعين مولانا حضرة ظل الله فى الارض وبلطف من خالق الكون شخصاً يتولى هذه التنظيمات وتنفيذها، مستفيداً من ومعتمداً على شرعية وقانونية هذه التنظيمات، وسيدعمهم بشكل خاص أن يشعروا بأن تعيين هذه الشخصية أمر سيعود بالمنافع الكثيرة على إيرادات بيت المال المسلمين. ولكن لاينبغى أن يعتمد فقط على اقتناعهم بالتنظيمات،وإيمانهم بنجاحها، بل يجب أن يشعروا كذلك بأن السلطان يؤيد ذلك ويرضى عنه ويدعمه. ولكنها طبيعة النفوس البشرية الأمارة بالسوء التى تجعل الناس يغفلون عن رضاء الله وينصتون للتقولات. ان من يفوض أمره لله تعالى ويسعى فى كل أموره متوكلاً على البارى يكون مؤيداً باالحق، أما من ينصت لكلام المرجفين فلا منصف له، وسيكون حسابه يوم القيامة عسيراً.

ان كتمان قضاء الحاجات وحفظها سراً من الأخلاق الحميدة التى يثاب عليها الإنسان خير جزاء من :الألطاف الالهية. وذلك عملاً بالقول المأثور«إذا خرج السر عن اثنين فشا وانتشر، كما أن كتم الاسرار يعتبر من الصفات الالهية، لأنه منذ بدء الخليقة وحتى الآن يواظب الملوك العتاه والوزراء المحنكين والناس عامة على التمسك بهذه الخصلة ويندمون أشد الندم على مخالفتها. والادلة والبراهين التى تؤيد ذلك كثيرة. فكم من قصص للناس الذين ذكروا فى كتب السير والتاريخ، قد أصابهم عظيم الضرر من جراء كشف اسرارهم. وعلينا أن نتعظ بهذه السير وبقوله تعالي«ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار». والمعنى بالإضافة لذلك فإن هناك سبباً قوياً لكتمان أخبار هذه التنظيمات، فلو تسربت اخبارها إلى مصر قبل الشروع فيها، فإن طغاة مصر سوف يسارعون إلى استخدام كل وسائل الدهاء والمكروالدسايس بما فيها صرف الرشاوى والأموال الطائلة للعاملين فى السلطنة فيرسلون إليهم الهدايا والاموال الوفيرة من أجل

حفظ مراكزهم وسلطاتهم واستقرارهم. ذلك أنه هناك عدد كبير من الموظفين فى استنبول كانوا يعملون سابقا فى مصر، وهم على علاقة وثيقة بطغاتها، مثل قضاة الاقاليم المصرية، واتباع الحكام والتجار ورجال الدين واتباعهم والحجاج أصحاب الرتب والوظائف الكبيرة فى السلطنة، الذين أمضوا فى القاهرة عدة أشهر قبل سفرهم للحج ولهم أصدقاء فى مصر. ومعنى هذا أنه بطريقة أو بأخرى سوف يتم الاتصال بهم من قبل طغاة مصر وذيوع تفاصيل اخبار التنظيمات.

وحتى لو كان طريق الذهاب والعودة من والى استنبول غير سهل وميسور فسوف يرسلون مكاتيبهم وهداياهم إلى عدة شخصيات واماكن فى استنبول يطالبونهم فى حالة سماعهم لأى اخبار ضارة بهم وعن مصر، بأن يسارعوا لإعلامهم وحمايتهم قدر إمكانهم. ونظراً لأن هذه الشخصيات الهامة فى استنبول تعتبر هذه الهدايا جزءاً من إيراداتهم الثابتة، فإنهم سيسارعون لمساعدة طغاة مصر ومدحهم والثناء عليهم فى مجالس الشخصيات الكبيرة لدى الباب العالى لمنع الإضرار بهم أوسلبهم نفوذهم. كما ستقوم هذه الشخصيات الهامة، من ضمن وسايلها لحماية طغاة مصر عند تسرب أخبار رغبة الإرادة السلطانية فى اتخاذ إجراءات ضد طغاة مصر، بإشاعة البلبلة فى استنبول (حيث الباب العالى) وترويج الإشاعات والأقاويل الباطلة بين اصحاب الاطماع والأغراض، وتنتشر كل يوم فى القصور والشوارع ومحال الحلاقين ووكالات التجار والاسواق أقوالاً تردد «ضاعت مصر» «ولن يذهب حجاج بيت الله الحرام من طريق مصر بعد الآن» «ولن نحصل على البن والارز بعد اليوم (من مصر)». وسيستشهد أصحاب الأطماع والأغراض هؤلاء بأدلة قديمة ولكن تفصيلية، وحكايات زائفة، فى سبيل الترويج لشائعاتهم، وسيزيفون أهداف تلك التنظيمات وينسبون إلى «عبدكم» الحاكم المنوط بتنفيذها اتهامات باطلة، وسلوكيات غير لايقة، كما سيستخدمون التجار وأهل الذمة فى نشر الادعاءات الكاذبة (لبراعتهم فى ذلك، فهم أولاد قحبة ونشطين فى هذا المجال، حيث يتنقلون من خان لآخر، فحيث توجد الخانات التى يقصدها المسافرون أو أماكن إقامتهم، سيقابلون تجاراً آخرين أو واحداً من أهل الذمة هؤلاء الذين سينقل لهم هذه الاقاويل والحكايات التى سمعها من غيره، وهكذا سيصدقونها وهى فى الحقيقة مجرد أكاذيب وافتراءات وبالنسبة لصانعى القلاقل هؤلاء، خالقى هذا النوع من الاكاذيب فإنهم يمدون نشاطهم عن طريق أتباع لهم، فرادى وجماعات، فى الاسواق والخانات، يقابلون التجار المسافرين وأصحاب الاشغال والحرف والشيالين والخدم، وحتى الذميين القادمين من البلاد المختلفة، ويزودونهم بالإشاعات والأراجيف عن أحداث وهمية ويطلبون منهم ترديدها وتأكيد صحتها وصانعى القلاقل هؤلاء يدفعون مروجى الاشاعات والاكاذيب إلى العمل إما بمنعهم مقابلا ماديا يشجعهم على ذلك، أوبإرهابهم تحت دعوى أن هذه رغبات السلطان.

وطريقة ترويج هذه الشائعات تعتمد على أن مروجها عندما يقابل أى شخص يسأله منذ متى قدمت إلى هنا؟، وعندما يقول: أنه أتى فى يوم كذا وكذا، يسألونه: هل تعلم أنه حدث

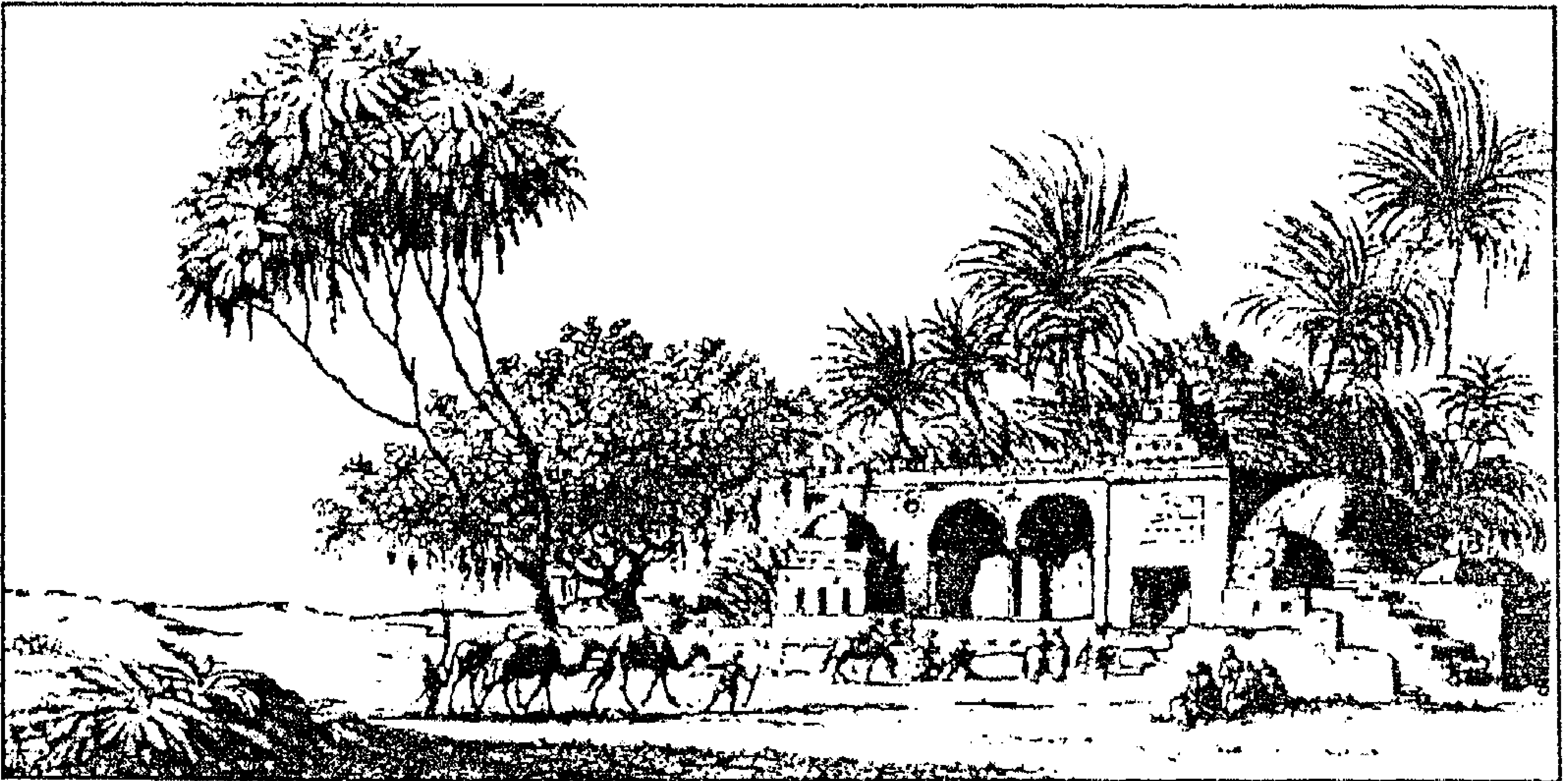
كذاوكذا؟(وبالطبع يكون ماقالوه محض كذب وافتراء). وعندما يسألونه وماذا تعرف أنت؟. سيقول لهم. أنا لم أسمع ولم أعرف أى شيء. حينئذ سيقولون له: أيها المسكين يامن لاعون له، لو أنك أجبت أصحاب هذا الاقليم هذه الاجابة فسوف تكون نهايتك. عندها يهتز الرجل خوفاً وهلعًا ويسألهم: وماذا يحدث لو قلت إننى لا أعرف شيئاً. فيجيبونه بأن هذه الأمور معروفة لمولانا السلطان، ولو قلت أننى لأعرف شيئًا فسوف يشكون فيك وتكون نهايتك مؤلمة.

لهذا فإن الرجل المسكين وبدافع من الخوف سوف يردد هذه الأكاذيب التى قالوها له.

وأعجب مافى هذه الإشاعات أن معظم من سيسمعها سوف يصدقها بالتأكيد ظنا منهم أن هؤلاء المساكين مروجى الشائعات لايمكن أن يكذبوا، بينما هم فى الواقع حمقى مخرفين لايعرفون شيئاً على الاطلاق.

وبصدد هذا النوع من الأكاذيب والخدع والدسايس فإنه حسبنا الله ونعم الوكيل، ونلوذ بلطفه وكرمه سبحانه وتعالى،وندعوه أن يحفظ عباده الغافلين من هؤلاء الشياطين الذين لايخافون الله،وأن نأخذ العبرة من تلك القصص والأحابيل والطرق الملتوية. فحتى الانبياء صلوات الله عليهم وعلى نبينا، عانوا كثيراً من هؤلاء الناس.

ومن المعلوم عامة أنه إذا أراد الله شيئًا هيأ له الأسباب، ولذلك، فنحن ندعو الله أن يحقق آمالنا بلطفه المتعال بدعوة سيد الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام،وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين أجمعين، برحمتك ياأرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين، ومن الله اللطف الجزيل والكرم الجميل وهو العليم الكفيل والعلام الوكيل.



هوامش نظامنامه مصر

١ - الطوخ:

فى التركية توغ وطوغ، ويقرر حسين نامق أورقون كما نقل عنه باك ألين أنها من أصل صينى، وقد أطلقها محمود الكشغرى فى كتابه ديوان لغات الترك على الراية وعلى الطبلة وصرح بأن الراية المسماة بالطوغ كانت من نوع خاص من القماش.

والطوغ هو علامة الخانية. عرفه الصينيون والترك قديماً وكان عبارة عن عمود يعلق به ذيل ثور؛ فقد كان الثور مقدسا وهو طوطم الأتراك الغز؛ حتى ليظن أن عشائرهم تسمت باسمه؛ فالثور فى التركية(أوكوز) ويرجع أن تكون هذه الكلمة هى أصل كلمة(أوغوز)أى الغز.

ثم استبدل الترك ذيل الثور بذيل الحصان.

والطوغ عند الاتراك العثمانيين مزراق رأسه كرة مذهبة قد يعلوها هلال،وتعلق بالمزارق تحت رأس الكرة خصلة من ذيل حصان مصبوغة باللون الأحمر، وقد قيل: إن الكرة تمثل الشمس، والهلال يمثل القمر، وشعر ذيل الحصان يمثل أشعة الشمس، وكانوا ربما صبغوا الشعر المثبت فى رأس المزراق مباشرة باللونين الأسود والأبيض، وتركوا القسم الأسفل من الشعر منتشراً، وكان يطلق على هذا الطوغ المنتشركلمة(برجم) بالباء والجيم المشوبتين وهى كلمة فارسية معناها الراية.

هذا والطوخ العثمانى هو الجاليش عند الأيوبيين والمماليك وكان لرجالات الدولة العثمانية أطواخ بحسب منازلهم فللسلطان سبعة أطواخ وقيل: ستة؛ وللوزير الأعظم خمسة أطواخ وقيل: ثلاثة؛ للوزير ثلاثة، وللوالى طوخان، ولشيخ الإسلام طوخان أحدهما بكرة مذهبة والآخر بدون كرة ولقاضى العسكر طوخ بلاكرة، ولأغا الأنكشارية طوخان وكان له فى أول الأمر طوخ واحد فإن كان (أى أغا الأنكشارية) وزيراً فله ثلاثة أطواخ.

وكانت القواعد تقضى بإخراج طوخين من أطواخ السلطان قبل تحرك الجيش للقتال بشهر ونصف الشهر أوبشهرين، ويكن إخراجهما فى حفل كبير يحضره الصدر الأعظم، وتقرأ فيه سورة الفتح والفاتحة ويثبت هذان الطوخان أمام الجبخانة وتثبت بقية الأطواخ أمام أورته قابى(الباب الأوسط)وأمام باب الأغوات البيض المسمى بباب السعادة.

وبعد خروج الأطواخ السلطانية يخرج الصدر الأعظم وكل أصحاب الأطواخ ممن تقرر خروجهم للقتال أطواخهم فيثبتونها أمام بيوتهم.

ثم تنقل الأطواخ السلطانية- بمثل المراسم الأولى- فتقام فى أول منزلة فى منازل الجيش حيث تنصب الخيمة السلطانية الحمراء المسماة(أطاق هما يون): فإن كان تحرك الجيش إلى الروملى نُصب الوطاق الهمايونى فى مرج داود باشا، وإن كان التحرك إلى الأناضول نصب الوطاق الهمايونى فى ميدان طوغا نجلير بأسكدار..إلخ.

٢ - الوزير:

خلال القرن السادس عشر الميلادى، فإن اغلب حكام الاقاليم بما فيها مصر كان يمنح

درجة طوخيين (ميرميران) ويطلق عليهم كحكام لقب (بكلربيك) ولكن فى اوائل القرن السابع عشر منح حاكم مصر وبعض الاقاليم العثمانية الاخرى درجة ثلاثة أطواخ واطلق عليهم لقب وزير.

٣ - ظاهر العمر

كان ظاهر العمر من العصبيات البدوية التى حكمت فى فلسطين فى أواخر النصف الثانى من القرن الثامن عشر وكان الجزار كحاكم لدمشق قائدا للحملة العسكرية التى حارب فيها ابناء ظاهر العمر وهم على وعثمان وسعد. سنة١٧٧٥م.

٤ - باليهمز:

أصلها الكلمة الايطاليةpallamezza أخذها الاتراك عن النمساويينBalimoz ولقد كان من أضخم المدافع التى استخدمها العثمانيون واحداً صنع من حوالى ٦٠٠ ستماية قنطار من النحاس.

٥ - الأنكشارية:

تركية من الكلمتين: يكىYeni بالنون الخيشومية. بمعنى جديد.

وجرى Gery بالجيم المشوبة بمعنى العسكر، يكيجرى=العسكر الجديد، ترد فى الجبرتى بصيغة الينكجرية.

جيش من المشاة، أنشىء فى عهد السلطان العثمانى أورخان (١٣٢٦/٧٢٦م)، كانت نواته من أهل الفتوة فى الأناضول، ثم اعتمد على أبناء نصارى البلقان بعدتتريكهم وتنشئتهم على الإسلام، كان جنوده عزاباً، ثم سمح لهم فى عهد السلطان سليم الأول بالزواج بشرط كبر السن، ثم أطلق حق الزواج، جرى هذا الجيش على سنة أرباب الحرف فى اختيار شيخParton لكل طائفة، وكان شيخه هو الصوفى التركى الحاج بكتاش ولى.

كان لهم عدا المشاركة فى الحروب وظائف داخلية منها: حراسة الديوان الهمايونى فى أثناء الاجتماعات، والمحافظة على الأمن فى إستانبول.

خسر معظم المعارك التى خاضها طوال القرن الثامن عشروأوائل القرن التاسع عشر، واستعصى مع ذلك على كل محاولات الإصلاح، ورفض التدرب على فنون القتال الحديثة،وقد استطاع السلطان محمود الثانى أن يدمره هو والطريقة البكتاشية فى(الوقعة الخيرية) سنة١٨٢٦م.

٦ - الأغا:

تركية من المصدر أغمق، ومعناه الكبر وتقدم السن، وقيل: إنها من الكلمة الفارسية«أقا» وجرى العرب على إضافة تاء إليها إذا وقعت مضافاً.

تطلق فى التركية على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة،وعلى الخادم الخصى الذى يؤذن له بدخول غرف النساء.

أغات التبديل:

التبديل تفعيل من بدل العربية، يطلقها الترك على رجل الشرطة الذى يتجسس متنكراً بتبديل قيافته وأغات التبديل هو مدير الأمن أورئيس مخبرى الشرطة.

أغادار السعادة:

هو فى التركية(دار السعادة أغاسى) وهو أكبر موظفى القصر الهمايونى، ويعرف باسم أغا البنات(قيزلر أغاسى)، ولايكون إلا أسود خصياً،

يشرف هو ومن تحته من الأغوات السود على الحرم الهمايونى، وهو الجناح الذى تسكنه النساء.

وقد شغل هذا المنصب بعض البيض فى القرن السادس عشر، ولكن ذلك لم يدم وأعيد المنصب إلى الأغوات السود فى ١٠٠٣هـ(١٥٩٤م)، وبقى فيهم إلى أن ألغى، وكان معظم هؤلاء الأغوات السود هدايا يقدمهم ولاة مصر إلى السلطان، وكان الأغا الذى يعين فى هذا المنصب، يخلع عليه كرك السمور فى حضرة السلطان، ويُعلن التعيين بخط هما يونى يرسل إليه.

وقد عظم نفوذ أغوات دار السعادة من بداية القرن السابع عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر حتى استطاع بعضهم التدخل فى تعيين الصدور العظام وعزلهم.

وكانت لأغوات دار السعادة نظارة أوقاف الحرمين الشريفين ابتداء من (٩٩٥هـ) ١٥٧٨م،فكان أغادار السعادة هو المشرف على الدولاب(الإسم الذى كان يطلق على خزانة أوقاف الحرمين الشريفين)، والمشرف على الصرر المرسلة إلى مكة وإلى المدينة وإلى القدس. وفى سنة ١٠٠٦هـ صدرت إرادة بإلحاق بعض الأوقاف بنظارة أغادار السعادة بالإضافة إلى أوقاف الحرمين الشريفين، وفى سنة١١٢٨هـ (١٧١٦م) ألحقت أوقاف السلاطين بنظارته، ثم تنظر الأغا أيضاً نيابة عن السلطان نفسه على الأوقاف التى يتنظر عليها السلطان بحكم سلطنته، واحتفظ السلاطين مع هذا بتقاضى رواتبهم عن النظارة على تلك الأوقاف، وكانت هذه الرواتب تسمى«جيب همايون أقجه سى» أى نقود الجيب الهمايونى.

وفى سنة ١٢٥٠هـ(١٨٣٤م)أنشئت مديرية أوقاف الحرمين، ثم تحولت فى سنة ١٢٥٢هـ إلى نظارة أوقاف الحرمين، وحلت هذه الوزارة محل نظارة أغادار السعادة، وقد ألغى هذا المنصب بإلغاء السلطنة العثمانية.

أغا القزلار:

أغا(انظرها فى هامش٦)قزلار.جمع (قيز): أى البنت؛ والأصل فى التركية الغربية أن يرسم جمعها قيزلر بغير ألف، ومعناها(أغا البنات)«انظر أغا دار السعادة».

٧ – خط همايون والخط الشريف:

تطلق عبارة(خط شريف)على الأمر الصادر من السلطان إذا كتبه بيده، أو إذا حرره الكتّاب، وأمضاه السلطان بيده لابخاتمه.

ويقال أيضا: خط شريف لكل وثيقة تصدر من الديوان الهمايونى من معاهدة أو براءة إذا كتب السلطان فى أعلاها أسطراً أوكلمات، ويسمى هذا النوع من الوثائق أيضا، (خط همايون).

٨ – أمير الحاج الشامى:

كان أحمد باشا الجزار أميراً للحاج الشامى فى هذه الفترة.

ومن المعروف أنه كانت هناك منافسة شديدة بين أمير الحاج المصرى وأمير الحاج الشامى على السيطرة على الحجاز.

٩ – كيسه:

وحدة عدّ مالية انتشرت فى الدولة العثمانية شاعت خلال القرن السابع عشر. وكانت قيمته

تختلف من مكان لآخر داخل الامبراطورية العثمانية، ففى اسلامبول كانت الكيسه عادة تستخدم كوحدة لمبلغ مقداره خمسمائة قرش. حيث يساوى القرش مائة أقجه . وكانت هذه الكيسه تسمى كيسه الروم Kurus اماالكيسة المصرية Kisei-Misri فكانت تساوى خمسة وعشرين الفا بارة فضية، والبارة كانت عملة النقد الأساسية فى مصر بدلاً عن القرش والأجقة التى كانت تسخدم فى بقية أنحاد الامبراطورية وفى مقابل الاجقة التركية، كانت الكيسه المصرية تساوى ستمائة قرش، وهى لذلك كانت اكبر كيسه مستخدمة.

ولقد ظل استخدام الكيسه فى مالية الدولة العثمانية حيث الغيت فى عام ١٨٦٢م كجزء من التنظيمات المالية. ويجب أن نلاحظ هنا ان الجزار كان يستخدم فى كتاباته الى اسلامبول عملات اقجه Aqces وقروش والكيسه الرومى الخاصة باسلامبول وليس الباره المصرية أوالكيسه المصرية.

١٠ - خان يونس:

تقع على الحدود الشمالية الشرقية لشبه جزيرة سيناء. ويعسكر بها جماعتان من الجند، فرسان ومشاه ضمن فرقة، «عساكر محافظين» أى عساكر قلاع الحدود.

١١ - العريش:

كانت العريش فى العصر البطلمى تسمى «رينوكورورا Rhno Corura وهى الترجمة الأغريقية لأسم جدع الأنف، حيث كان الفراعنة ينفون إليها الموظفين المرتشين بعد جدع أنوفهم.

وظلت العريش إحدى القلاع المصرية الأمامية على حدودها الشرقية. ومنها دخل عمروبن العاص مصر عام ١٨هـ=٦٩٣م. وهى تعد المعبر الاساسى لكل من قدم إلى مصر أوخرج منها طوال التاريخ وحتى اليوم. وكان يرابط بها جماعتان من العسكر، فرسان ومشاه يعرفون باسم عساكر محافظين».

١٢ - الصالحية:

أنشأها الملك الصالح أيوب سنة٦٤٤=م لتكون منزلا للعساكر عند ذهابهم وعودتهم للشام. من مراكز محافظة الشرقية.

١٣ - كاشف:

قسمت مصر بعد الغزو العثمانى إداريا إلى عدة اقاليم أوولايات (صنجقيات)يحكم كل منها «سنجاق» كانت مهمته العناية بالمورد الرئيسى للأقليم وهو الزراعة فيقوم بتقوية جسور الترع والمصارف وتطهيرها واقرار الامن. أما الولايات الصغرى الواقعة ضمن الأقليم الكبير فقد عرفت باسم «الكشوفيات»، ويقوم على ادارتها أحد اتباع الصنجاق ويدعى الكشاف. من كشوفيات الوجه البحرى (البلبيسية، قطيا)والقبلى (الجيزة، الأسيوطية، إبريم) وقد ضمت الأسيوطية إلى إبريم فى نهاية القرن ١٧ لتظهر ولاية جرجا التى صارت مطمعا لكبار الصناجق لاتساع زمامها ووفرة محصولها الذى كانت تتزود به العاصمة. وقد اقتصر حكم الكشوفيات على الفرق العثمانية خلال القرن ١٦ والنصف الأول من القرن١٧، ولكن بسبب ضعف السلطنة العثمانية فى مصر

احتل الأمراء المماليك هذه المناصب. ويختص الكاشف بعدة مهام مشابهة لمهمام السنجق بالإضافة إلى صد العربان الذين يهاجمون الحقول وقت الحصاد. انظر: د.عراقى يوسف أحمد:الوجود العثمانى المملوكى فى مصر ص٢٦١ ومابعدها.

كما كان مصطلح كاشف يطلق: على شاغلى وظائف قضائية وعسكرية وبخاصة على شاغلى الاقسام الادارية والمقاطعات التى تعتمد على نظام الرى. وخلال القرن التالى للاحتلال العثمانى لمصر، اطلق المصطلح على القائم بإدارة أكثر من مقاطعة فى نفس الجهة ومنذ بداية القرن السابع عشر، حل محل هؤلاء الكشاف الملتزمون وكانوا من فئتين:

١ - حكام المقاطعات الصغرى والمختارين من بين ضباط الدرجة الثانية فى الهيئة السلوكية والذى كان يمنح فى بعض الأوقات نوط من طوخ واحد.

٢ - فئة حكام القرى فى مصر العليا والذين كانوا يحصلون على الالتزام مقابل مايدفعونه للحاكم، ثم يستردونه مضاعفا فى اموال التزامهم بالقرى والفلاحين وكان عدد الكشاف يتراوح مابين ٦٠، ٧٠فرداً يتولى منهم المناصب فعلاً ٣٦. ومن ثم فإنهم يتبادلون مناصبهم كل عام.

١٤ - بلبيس:

أحد مراكز محافظة الشرقية.

١٥ - المناصب القضائية الستة:

وهى المناصب القضائية الاساسية للمقاطعات الست الكبرى التى تنقسم اليها مصر فى ظل الحكم العثمانى. وهذه المقاطعات هى:

(١) الاسكندرية (٢)ابوقير

(٣) رشيد (٤)المحلة الكبرى

(٥)المنصورة (٦) المنوفية

وفى كل مقاطعة قضائية من هذه المقاطعات الست يعين قاض برتبة عاليه عكس بقية المقاطعات السبعه والاربعين الأخرى.

ومن الواضح أن بلبيس لم تكن ضمن المقاطعات الست، ولقد أخطأ الجزار فى ذلك.

١٦ - الخانكة:

شمال شرق حى العباسية، أكتسبت هذا الاسم بعد أن أنشأ بها السلطان الناصر محمد بن قلاوون«خانقاه» للصوفية سنة٧٢٥هـ/١٣٢٥، وبنى بجوارها مسجداً وحماماً، وعمر قصوراً وبيوتاً ثم أقبل الناس على البناء والسكن حولها حتى صارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاة سريا قوس لقربها من سريا قوس التى ظلت تابعة لها حتى فصلت عنها فى ربيع ٩٣٣هـ/١٥٢٧م وأصبحت ناحية قائمة بذاتها.

١٧ - بركة الحاج:

تقع شمال شرق القاهرة، إحدى نواحى مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية.

١٨ - جاويش كتخداسى أوكتخدا الجاويشية *Gauuslat Kethodasi*

وهى الرتبة الثانيه فى فرقة الجاويشان. فقد كانت كل فرقة تحت قيادة أغاورئيسه كان يدعى كتخدا أوكتخداسى وقت.

وكلمة جاويش من الكلمة التركية جاووش

بجيم مشربة وواو مضمومة وهى مشتقة من المقطع التركى جاو(Gav) الذى يدل على معنى الصياح والنداء والصوت والصيت

وتنص المعجمات التركية على أن هذه الكلمة مرادفة للكلمتين الفارسيتين الأصل: (سرهنك) و(دورباش)، وكلمة سرهنك مكونه من (سر)بمعنى الرأس و(هنك) بمعنى الفارس والبطل والمبارز، وربما أطلقت كلمة سرهنك على القائد. وأما كلمة (دورباش) فهى هتاف الجاويش بين يدى الحاكم فى الموكب؛ فقد كان من عمله أن يسعى بين يدى الحاكم؛ ليفسح له الطريق، وذلك بهتافه بكلمة(دورباش)وهذه الكلمة مكونة من (دور) أى بعيد وباش أى كُنْ ومعناها ابتعد أوتنحى، وقد صار هذا الهتاف اسماً للجاويش من باب إطلاق المقول على القائل.

والجاويش فى كل هذه اللغات منصب عسكرى، وقد وجد هذا المنصب العسكرى فى دولة الغزنويين والقرخانيين والسلاجقة.

ودخلت هذه الكلمة فى اللغة العربية قبل قيام الدولة العثمانية.

«ففى الفيح القسى فى الفتح القدسى للعماد الأصفهانى.

«.. وعساكرنا فى أحسن تعبية ولدعاء القراع فى أوحى تلبية، وقد أمتزجت زجرات الجاووش بنعرات الجيوش. فيح ٣٠١.

«والحنايا توتر والمنايا تؤثر والجاليشيه تلبى»١٣٩.

وأما فى الدولة العثمانية فقد كان لكل هيئة كبيرة جاويشيتها: فللترسانة جاويشية وللبلدية جاويشية، وفى معية كل أمير من أمراء الأقاليم جاويشية يرأسهم الجاويشباشى، ولكن أكبر هيئات الجاويشية فى الدولة العثمانية ثلاث:

١ - جاووشية الديوان الهمايونى(ديوان همايون جاووشلرى)، وكانت تطلق عليهم أيضاً العبارة الفارسية: سرهنكان ديوان همايون،وهم تشريفاتية القصر وحملة الرسائل والأوامر وهم قسمان: قسم بالميماومة، وقسم ممتاز يمنح تيمارات (جمع تيمار وهو إقطاع صغير) أوزعامات(جمع زعامة وهى إقطاع كبير، ولاعبرة بصيغة الجمع البربرية زعامتات التى كان يستعملها المغفور له ساطع الحصرى)- يعيش على غلتها ويرأسهم جميعاً الجاووشباشى.

ومن أعمال جاويشية الديوان الهمايونى الدعاء للسلطان، فقد كانوا يستدعون يوم انعقاد الديوان ليدعوا للسلطان ولذلك كانوا يسمون أحيانا بالدعاجية، وكانوا يَدْعون معاً فى صوت واحد وأيديهم على صدورهم، وهذه صيغة الدعاء للسلطان فى يوم العيد:مترجمة عن التركية:

أعانك الله، وحسن فألك،وزادت سعادتك، عشت ياسلطانى فى عظمتك ألفاً، ماشاء الله لا تغتر ياسلطانى؛ فالله أكبر منك، حسن طالعك».

وكان أصحاب الزعامات من الجاويشية يرسلون لتحصيل الضرائب من الولايات، ويحملون الفرمانات إلى الولاة، وكان من جاويشية الديوان من يكلف قتل بعض أصحاب النفوذ أو القبض عليه؛ فربما بدل الجاويش المكلف بالقتل أو بالقبض على إحدى الشخصيات قيافته: فلبس زى

تاجر أو صانع؛ ليتمكن من تنفيذ الأمر فإن كان الشخص المراد قتله أو القبض عليه خطيراً اتصل الجاويش بسردار الأنكشارية في المنطقة، ليرتب له الأمور؛ وكان على الجاويش إذا حز رأس شخصية ما أن يحمل الرأس إلى إستانبول.

وكان من التقاليد التي يتبعها الجاويش إذاكلف القبض على شخصية أن يقصد إلى هذه الشخصية مميلا قاووقه إلى الشمال، فإذا رآه الشخص المراد القبض عليه عرف أنه مطلوب فسلم نفسه، ولم يكن يؤذن لهذا الشخص بعد وصول الجاويش مميلا قاووقه بأن يدخل الحرملك، بل يصحب الجاويش إلى السجن أو إلى المنفى، وهناك يخرج الجاويش فرمان السجن أو النفي ويقرؤه عليه.

٢ - وجاويشيه الديوان: وعملهم في الباب العالي (أي الصدارة العظمى) بعد أن نقلت إليها اختصاصات الديوان الهمايوني. وكان رئيسهم يفصل في الخلافات بين المدنيين من موظفي الصدارة العظمى، ويتقبل عرائض الدعاوى، فيدرسها بنفسه أويحيلها على أحد التذكرجية ثم يحيلها بعد الدراسة إلى المحكمة المختصة بعد أن يوقع عليها الصدر الأعظم بعبارة (صح).

وقد ألغيت كلمة الباشجاويش في تركيا سنة ١٢٥٢هـ (١٨٣٦م). وتحول مكتبه إلى (عدليه وكالتى) أي وزارة العدل.

٣ - جاويشية الجيش الأنكشاري، وقد كانوا يسمون (قول جاووشلرى) تمييزاً لهم عن جاويشية الديوان الهمايوني، وجاويشية الباب العالي، وغيرهم من الجاويشية.. ويلقب رئيس جاويشيه الإنكشارية بلقب جاووشباشي ولكنه كان يقيد في دفتر العلوفة باسم سر جاووش أوجاوش بزرك، وهما بمعنى كبير الجاووشية تمييزاً له عن جاوووشين آخرين في الجيش الأنكشاري هما جاويش ميانه أي الجاويش المتوسط وجاويش كوجوك أي الجاويش الصغير. وجاويشباشي الأنكشارية هو الشخصية الثالثة في الجيش الأنكشاري بعد الأغا والكتخذا. وكان يقوم مقام الكتخدا إذا غاب.

وأما في أثناء انعقاد الديوان فقد كان الجاوشباشي يقف على رأس سلم باب الأغا، ويبلغ موضوعات المراجعين من أصحاب الحاجات من الأنكشارية للكتخدا ويصحب من يؤذن له بمقابلة الأغا إلى الأغا نفسه.

وكان من أعمال الجاويشباشي أن يراقب الإنكشارية وهم يطلقون النار في التعليمخانة وعلى رأسه السليمية (قاووق ارتفاعه خمسة وستون سنتيمتراً ملفوفٌ بالتل، وكان أول من لبسه سليم الأول، وكان السلاطين من قبله يلبسون المجوزة).

وكان الجاوشباشي الأنكشاري يشرف ومعه الجاويشان المتوسط والصغير وكبير الكتاب (باشيازيجى) على ترتيب الموكب الأنكشاري إذا سافر الأغا مع السلطان أو مع الصدر الأعظم.

وكانت معية الجاويشباشي أي مكتبه مكونة من ثلاثين ومائة ضابط يختارون بحسب أقدميتهم، وكان عملهم إبلاغ أوامر القائد لرؤساء الجند في اثناء المعارك.

ألاى جاويش:

تركيب إضافي تركي تنقصه الياء بعد شين

جاويش، ولعلها سقطت فى الاستعمال العربى، وصيغة هذا التركيب بالعربية هى جاويش الألاى:مناد عسكرى يحمل الرسائل، ويعلن عن المواكب الرسمية قبل مسيرتها.

وفى الجبرتى: وطاف ألاى جاويش بزيه المعتاد وخلفه القابجية، وهم ينادون باللغة التركية: يارن آلاى(يارين بكسر الراء معناها الغد، والمراد غداً موكب). أماكلمة كتخدا فهى بفتح الكاف وسكون التاء وضم الخاء، فى التركية: كتخدا من الفارسية كدخدا، والكلمة الفارسية من كلمتين(كد) بمعنى البيت، و(خدا) بمعنى الرب والصاحب فالكتخدا هوفى الأصل رب البيت، ويطلقها الفرس على السيد الموقر وعلى الملك، ويطلقها الترك على الموظف المسئول والوكيل المعتمد، والأمين: فقد كان يقال مثلاً: وزرا كتخدا لرى أى مدير ومكاتب الوزراء وأمناؤهم وكان يقال: خزينه كتخداسى أى أمين الخزانة. وعند الجبرتى:

«وفى رابع جمادى الثانية خنق الباشا كتخداه بعد أن أرسله إلى دير الطين.. وذلك لذنب نقمه عليه.

«وسافر أيضاً خلفهم إسماعيل بيك وجميع الكشاف وكتخدا الباشا وأغوات البلكات وكتخدا الجاويشية».

«دخل قبى قول وهو المسمى عند المصريين كتخدا الينكجرية وشق المدينة»

«وطلبوا من القاضى أن يرسل بإحضار المتكملين فى الدولة لمجلس الشرع، فأرسل إلى سعيد أغا الوكيل... وعثمان أغا قبى كتخدا» أى كتخدا الباب وسقطت علامة الإضافة(سى) بعد كلمة كتخدا فى الاستعمال العربى.

١٩ – المترجم العربي:

كانت وظيفة فى الإدارة العثمانية بمصر تسند إلى شخص يتكلم التركية والعربية، وذلك ليساعد نظام الإدارة مابين الأتراك والمصريين ولهذا كانت كل إدارة عثمانية بها مترجم عربى يتبع رئيس ديوان الترجمة العربى احد أعضاء الديوان.

٢٠ – كاتب حواله:

المقصود به هنا مندوب الوالى الذى كان يعين على جمرك السويس. وكان يطلق عليه أحيانا لقب اغا حواله.

٢١ – باشجاويش فرقة الانكشارية:

وهو مرادف فى مصر للقب«أغا».

أنظر هامش(٦).

٢٢ – من الواضح أن الجزار يصيغ(نظامنانه مصر) بطريقة تجعله المرشح لتنفيذه فى مصر، وقصد قبل ذلك أن يكون قابضا على زمام الامور فى كل الشام(بموافقة الباب العالى تمهيدا لتنفيذ هذا النظام)والقضاء على كل منافسيه فى الشام من امثال اولاد الظاهر عمر، وتجعله همزة الوصل الأساسية بين الباب العالى ومشروع نظامنامه فى مصر، وذلك بايهام الباب العالى بأنه على علم بكل خفايا الأمور فى الشام ومصر. وهو ماتحقق له بالنسبة للشام بعد ذلك، علما بأنه فى وقت كتابته لهذا النظام كان لايزال قائدا عسكريا لفرقة من اتباعه والمخلصين له.

٢٣ - أزمير:

هي احد الموانى التركية على بحرايجه.

٢٤ -الطبجية: مفردها طبجي:

من التركية طوب بالباء المشربة بمعنى المدفع وأداة النسب التركية إلى الصنعة (جى) والطوبجى هو المدفعى.

وعند الجبرتي:

«وأرسل إلى الطبجية وأمرهم بضرب المدافع»

«ثارت طائفة الطبجية وحاصوا وضجوا وهم نحو الأربعمائة وطلبوا نفقة.. إلخ» ومنها الطبخانة: وهى من التركية طوب بمعنى المدفع وخانه الفارسية الأصل بمعنى المنزل: دار صناعة المدافع وعند الجبرتي:«.. ومكان أيضا بالقلعة عند باب الينكجرية لسبك المدافع وعملها وقياساتها وهندستها والبنبات وارتفاعها ومقاديرها وسمى ذلك المكان الطبخانة وعليه رئيس وكتبة لهم شهريات» ومنها الطبنجة:

(فى الفارسية تبانجه وطبانجه بباء وجيم مشربتين فى الكلمتين) بمعنى اللطمة واللكمة والمسدس، دخلت التركية فى صيغتى طبانجة وطابانجة بالباء الموحدة فى الصيغتين وبمعانيها الفارسية، وهى فى العربية بمعنى المسدس فقط.

٢٥ - أمير الحاج:

خلال الفترة الأولى من الاحتلال العثمانى لمصر كانت هناك وظيفة باسم أمير ركب المحمل أى قائد موكب المحمل ولكن حل محلها بعد ذلك وظيفة أمير الحاج. وفى خلال القرن الأول من الإحتلال العثمانى لمصر كان أمير الحاج يُرسل من اسلامبول مباشرة أما خلال القرن السابع عشر فقد منحت وظيفته للمماليك المصرية الذين تمكنوا فى السنوات التاليه من احتكارها. وخلال القرن الثامن عشر منحت هذه الوظيفة الى شيخ البلد من المماليك المصرية فأصبحت اداه فى ايديهم لتأكيد استقلال مصر عن الباب العالى.

وشيخ البلد: لقب كان يخلع على زعيم البكوات المماليك فى القرن الثامن عشرالميلادى، الذى كان حاكما للقاهرة وحاكم مصر الفعلى. أنظر. هيلين آن ريفلين: الاقتصاد والإدارة فى مصر ص٤٢٩. ولقد بلغ نفوذ شيخ البلد حداً جعله يتحكم فى مصير الباشا العثمانى المتولى على مصر، فقد كان فى إمكانه عزله وحبسه وطلب باشا غيره من السلطان العثمانى الذى كان لايعترض على ذلك،وإلى أن يحضر الباشا الجديد كان شيخ البلد يعتبر نفسه قائمقام(أى بدلاًعنه. ومن القابه ووظائفه كذلك«أمير الحج».

وبينما استمر الباشا العثمانى فى رئاسته للديوان الذى كان ينعقد فى القلعة فإن مداولاته وقراراته كانت تصدر فقط من أجل تعزيز تلك القرارات التى اتخذها البكوات المماليك مسبقا بزعامة شيخ البلد.

ففى عام ١١٥٧هـ-١٧٧٤م تمكن أحد البيوت المملوكية بقيادة إبراهيم كتخدا من السيطرة على السلطة واستخدام الباشا ليتخلص من الزعامات المملوكية الأخرى، وأصبح إبراهيم كتخدا أول أمير مملوكى يتولى منصب «شيخ البلد». ومنذ هذا الوقت صار شيخ البلد هو الحاكم الحقيقى لمصر، وطوال النصف قرن الأخير من القرن الثامن عشر سيطر مشايخ البلد على السلطة

فى مصر. انظر Stanford Show: The Political Structure and Development of Ottoman Egypt. p.5.

ونظرا للإيراد الضخم الذى كانت تدره هذه الوظيفة على شاغلها من المماليك المصرية فإنه قرب نهاية القرن الثامن عشر كان مراد بك وابراهيم بك من المتصارعين عليها فتقاسموها مع وظيفة شيخ البلد بشكل دورى.

٢٦ - الهجانه:

بالرغم من أن البدو فى مصر كانوا يحاربون فى المناطق المكشوفه وهم على ظهور الخيل، إلا أنهم فى المناطق البعيدة عن مضاربهم (التى يرغبون فى محاربتها أو الإغارة عليها) كانوا يفضلون ركوب الجمال وهى هنا لازمة للوصول إلى هذه الإماكن ثم المحاربة من فوقها، أو الترجل عنها والإغارة مشاة.

وقد أطلق العثمانيون على المحاربين من فوق ظهور الجمال بمصر الكلمة السامية «هاجانه» كما وردت هنا عند أحمد باشا الجزار.

٢٧ - الجزيم:

قارب شراعى طويل مسطح غير مغطى يستخدم لنقل الغلال على طول نهر النيل. ويجمع «جزيمات» كما ورد عند احمد شلبى فى أوضح الإشارات ص١٦٩.

٢٨ - بولاق:

هى ميناء القاهرة الشمالى الذى كان يتعامل مع مدن الدلتا وموانى دمياط ورشيد والاسكندرية.

إما ميناء مصر عتيقة جنوب القاهرة فكان يتعامل مع مدن الوجه القبلى وميناء القصير الموجود على البحر الأحمر.

٢٩ - المصرلية:

وهو مصطلح عثمانى كان يطلق على المماليك اما المصريين فكان يطلق عليهم كلمة «رعيه» وهكذا يكون مصطلح المصرليه مقابل لمصطلح عثمانلية: المنتشر فى اسلامبول وباقى الامبراطورية.

وإلى جانب المصرلية والعثمانلية والرعية كان يوجد العبيد المسمين «قولار». وكان العبد فى النظام العثمانى يتبع سيده. ولهذا كان عبيد السلطان هم معاوينه ومساعديه فى الحكم ولذلك كانوا يسمون بالعثمانلية.

وفيما عدا ذلك كان باقى الناس بما فيهم اصحاب الملل المختلفة من رعايا السلطان.

٣٠ - الديوان":

ويستخدم هذا المصطلح فى وصف الهيئة الحاكمة فى الولايات العثمانية. كما انه يستخدم كمصطلح ديوان همايون فى اسلامبول وكمصطلح ديوان والى فى القاهرة وهو يعتبر الهيئة الحاكمة فى مصر وصاحبة التشريع والادارة.

٣١- جبل القمر أوجبال القمر:

هى الجبال الواقعة عند هضبة البحيرات التى تمثل منابع النيل الاستوائية.

٣٢ - أقليم الشلال:

هوأقليم الجنادل الست التى تبدأ من شمال السودان حتى اسوان. والجزار يذكر هنا أن للنيل فرعا يتجه للغرب، وهذا غير صحيح، ولكنه من

الناحية التاريخية كان القدماء يعتقدون وحتى حوالى منتصف القرن الماضى أن نهر النيجر جزء من نهر النيل ولم يكن قد عرف مصبه فى المحيط الاطلسى بعد، كما لم تكن منابع النيل قد عرفت بعد.

٣٣ - ابريم:

قلعة فى أقصى جنوب مصر، كان منفى للمتمردين. استولى عليها سليمان باشا عام ٦٣٥= ١٥٢٨م من القبائل التى كانت استولت عليها بسبب انهيار النظام المملوكى بعد غزو السلطان سليم لمصر، وذلك عند هبوطه فى ميناء القصير عائداً من حملاته فى اليمن.

وهى تقع على الشاطىء الشرقى للنيل على مسافة ١٢٠ ميلاً إلى الجنوب من أسوان، وسميت فى فترة باسم «القبض» لأنها كانت مركزاً لإقامة «القابض» أى الكاشف، المعين لتحصيل الأموال الاميرية المقدرة على أراضى بلاد مركز الدر.

٣٤ - البهنساوية:

احد مقاطعات مصر العثمانية، قاعدتها البهنسا، ويجمع اقباط مصر على أن المسيح وأمه كانا بالبهنسا ثم انتقلا عنها إلى القدس. وقال بعض المفسرين فى قوله تعلى فى المسيح وامه «واويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين». سورة المؤمنون آيه ٥٠، أن الربوه هى البهنسا.

٣٥ - شلقان:

من القرى القديمة العامرة. من قرى القليوبية

٣٦ - غالطه:

ضاحية بحرية لاسلامبول تطل على القرن الذهبى.

٣٧ - ملقا:

استخدم هذا التعبير فى الوجه البحرى اساسا. وتحديد مسافته الزمنية بشكل ثابت يرجع إلى أن الاراضى الزراعية (المأكل) الممتدة حول النيل دون انقطاع وتوفر الماء (المشرب) لايتحكمان فى توقيع أماكن القرى، فأينما شأت أقمت حلتك وراحلتك. ولهذا كانت المسافة بين القرى يحددها الفلاح المصرى بمايمكن قطعه سيراً دون جهد وذلك ليبذل الجهد فى الارض التى يزرعها بعد أن يصل إليها.

وذلك عكس البلاد الصحراوية أو الجبلية التى يشترط قيام القرى فيها عدة شروط لاتتوافر بسهولة مثل توفر المياه وصلاحية الارض.

٣٨ - التعداد:

كان يسمى التحرير وهو عبارة عن مسح للأراضى الزراعية من أجل تحديد ريعها وعشورها وضرائبها الخ..

وفى مصر العثمانية أجرى مسح كامل بين عامى ١٥٢٧ -١٥٧٦م ولكنه لم يكتمل فى صعيد مصر حتى عام ١٦٠٨م بسبب الاضطرابات التى تسببت فيها القبائل البدوية بالصعيد. ويعتبر هذا المسح هو آخر اكمل مسح أجرته السلطات العثمانية فى مصر وأعتبر الاساس فى تحصيل الضرائب والادارة حتى بداية القرن التاسع عشر عندما حل محله مسح جديد اجرى بواسطة محمد على باشا. وقد شمل هذا المسح ليس فقط

الاراضى الزراعية ولكن كذلك عدد السكان والإسكان والعوائد الزراعية والسكانية التى تشمل الخصوبة والمحاصيل وضريبة كل قطعة أرض. وخلال القرنين التاليين لعام ١٦٠٨م استمرت الضرائب تجبى على اساس هذا المسح بالرغم من التغيرات التى لحقت المساحات الزراعية وحدودها عبر هذين القرنين. ولكن فى بعض الحالات القليلة وبناء على أوامرخاصة من الوالى اضيفت الاراضى والكفور الجديدة الى هذا المسح ورصدت التغيرات التى طرأت على خصوبة الارض. وكنتيجة لذلك تم التلاعب فى هذه الإضافات وحسمها لصالح الوالى أو الامراء المماليك.

٣٩ - وردان:

أحدى قرى مركز أمبابه بمحافظة الجيزه.

٤٠ - كاغد خانه:

مجرى مائى قرب رأس القرن الذهبى مجاور لإستبول وغالطه.

٤١ - خزانات مياه الاسكندرية:

بين عامى ١٦١٥-١٧٩٨م كانت الخزانة الاميريه تسمح لكاشف اقليم البحيرة بان يخصم من الضرائب التى يجمعها لها حوالى ١٦,٤٠٠ باره سنويا لتدفع مقابل تنظيف وتطهير خزانات مياه الاسكندرية وتزويدها بالماء مرة كل عام النيل وذلك فى مقابل مايدفعه السكان من ضرائب مقابل حصولهم على المياه من هذه الخزانات. والى جانب ذلك كان هناك سقائون يمدون الاسكندرية بالماء بواسطة القرب حيث يبيعونها فى شوارع المدينة.

٤٢ - عجرود:

تقع على مسافة ثلاثة أيام من القاهرة، وأربعة فراسخ إلى شمال السويس. بها عين ماء مخصصة لسقاية قافلة الحاج، رائحتها غير مستساغة بسبب البقايا الحيوانية والنباتية التى تسقط وتتحلل فيها.

٤٣ - نبع طوى:

هو الإسم التوارتى لما نسميه اليوم عيون موسى المجاورة لميناء السويس وهى تبعد أربعة فراسخ من مدينة السويس على الشاطىء الغربى للخليج فى مواجهة وادى التيه.

ولسوف نقع فى خطأ كبير إذا ماتصورنا أن اسم هذا النبع له أصول تاريخية آتارية-شأنه فى ذلك شأن عين العذراء فى المطرية، وشأن عيون غيرها كثيرات، إلى جانب اسماء بعض الاودية، كوادى التيه، وبعض البحيرات كبحيرة قارون إلخ.. -كلها أسماء توراتيه تمثل محاولة لصبغ جغرافية مصر بالطابع اليهودى، وذلك بعد أن فشلت فى صياغة التاريخ المصرى ضمن سياق تاريخ يهودى مزعوم.

٤٤ - البارة:

انظر هامش(٩) وهامش(٦٤).

٤٥ - المقياس:

فى العصر العثمانى كان المقياس يستخدم لقياس ارتفاعات وانخفاضات الفيضان فى النيل. وكان يستخدم لتحديد المساحات المزروعة. بناء على مستوى ارتفاع المياه فى المقياس. وكانت مهمة القياس هذه منوطة باسرة واحدة كان من حقها وحدها القيام بهذه المهمة وتزويد بيت المال بالمعلومات.

٤٦ - الوكالات:

في ظل الاحتلال العثماني احتلت الأسواق والوكائل والخانات من القاهرة منطقة تبلغ مساحتها حوالى ١٦٦ فداناً. وحيث يوجد الجزء الأكبر من أنشطة المدينة الاقتصادية، كان يوجد ٢٢٨ وكاله و٥٧ سوقاً. وفي حي الجمالية الكائن على طريق الحج والشام كان يوجد ٣٦ وكاله، وفي حي مرجوش(أمير الجيوش) على طريق بولاق كان يوجد ٣٠وكاله.

والتمركز الاساسي لهذه الوكالات كان حول خان الخليلي حيث أحياء البندقانيين والغورية والأزهر حيث نجد ١١٦ وكالة و٤٠ سوقا على مساحة قدرها ٤٤ فداناً ونصف.

وفي هذه المنطقة كانت تتجمع أيضاً الأنشطة الخاصة بتجارة مصر الاساسية، فكانت تجارة البن الدولية التى حلت في القرن السابع عشر محل تجارة التوابل موزعة على ٦٢ وكالة وخان من أهمها وكالة ذوالفقار، وخان جعفر، وخان الزركشي، وخان الباشا، وخان المصبغة. ومن بين أكبر تجار البن في القرن الثامن عشر محمد الداده الشرايبي(ت ١١٣٨=١٧٢٥م)الذى شيد لنفسه وكالة على مقربة من خان الحمزاوى، اضف إلى ذلك قصبة(وكالة)رضوان الشهيرة جنوب باب زويله.

ومنذ الفترة المملوكية لم يتغير بنيان الوكائل المعماري ولم تتباين وظائفها إلا قليلاً، وكان يتراوح اسمها مابين«خان» و«قيسارية».

وكانت الوكائل تحتفظ في الدور الارضي بالبضائع قبل توزيعها، وطوابق عليا لإقامة التجار.

وبسبب مساحات القاهرة الشاسعة للغاية، كانت توجد عدة وكائل وأسواق على طول الشوارع الكبيرة، حول باب الشعرية(٨أسواق و١٤وكاله)، وباب زويله(٥أسواق و١٦وكاله)، وعلى طول سوق السلاح والرميله عند سفح القلعة(١١سوق و١٧وكالة)، وأيضاً حول جامع طولون(٩أسواق و١٤وكاله).

وكانت بعض هذه الأسواق غير المركزية متخصصة إلى حد كبير وذلك بسبب عوامل تاريخية، فمن الطبيعي أن يكون نشاط أسواق السلاح ومواد السفر في سوق السلاح وفي الرميله مرتبطا بوجود العسكريين في القلعة وفي المناطق المجاورة لها. لقد كانت القوات تتزود من هذه الاسواق باحتياجاتها أثناء الاستعدادات للقيام بحملة عسكرية. وكانت أنشطة تجارة النسيج المغربي مثلاً ترتبط أيضاً بوجود عدد كبير من السكان القادمين من شمال أفريقيا(المغاربة)،وهي ظاهرة قديمة للغاية ترتبط بالخلافة الفاطمية، إذ كانت المنطقة المحيطة بجامع ابن طولون مركزاً لتجمع الحجاج القادمين من شمال افريقيا.

٤٧ - جبل الجيوشي:

نسبة إلى امير الجيوش بدر الدين الجمالي الأرمني الاصل. من آثاره باب زويله وباب الفتوح وباب النصر.

دفن خارج باب النصر على ربوة عاليه وبنى على قبره تربة جليلة فعرفت الربوه بجبل الجيوشي وهي جزء من جبل المقطم.

٤٨ - حي القواسيين:

قرب بوابتي زويله حيث عرفت احدى البوابتين

باسم باب القوس، وهى التى دأب الناس على استخدامها وهجرت البوابة الثانية. وعرفت المنطقة القريبة منها باسم حى القواسين وهو مواجه لجبل الجيوشى.

٤٩ - المحمل الشريف:

وهو عبارة عن قافلة الحجاج التى تذهب سنويا إلى الأراضى المقدسة بالحجاز فى حراسة قوة عسكرية مصرية تقوم بحماية الحجاج من نهب البدو على طريق الحج كما تحمل معها الغلال الخاصة بالحرمين والتى توزع على سكان منطقة الحج فى مكة والمدينة هذا بالإضافة الى كسوة الكعبة الشريفة التى ترسل من مصر سنويا لتعلق على جدران الكعبة. وتعد مهمة المحافظة على سلامة هذا الكسوة من اكبر مهمات امير الحاج. ويسمى المحمل أحياناً فى مصر باسم المحفل.

٥٠ - كسوة الكعبة الشريفة:

بعد احتلال العثمانيين لمصر وهزيمتهم لحكام المماليك، ظل من ضمن مهام الحاكم العثمانى فى مصر إرسال كسوة الكعبة الشريفة لتعلق على جدران الكعبة فى مكة، وكان سلاطين المماليك قد رصدوا لذلك عوائد أوقاف لاتمامها وإنجازها وارسالها إلى الحجاز وسار الحكم العثمانى فى مصر على نفس الاساس وزاد من تطعيم الكسوة بالجوهرات والاقمشة الجيدة. وكانت الكسوة تصنع فى كشك يوسف بقلعة القاهرة حيث تسلم بعد انتهائها الى امير الحاج سنويا المكلف بوضعها على جدران الكعبة عند الوصول الى مكة المكرمة. وكانت جملة عوائد وقف الكسوة الشريفة سنوياً الذى صرف منه على تصنيعها عام ١٧٤٤ تبلغ حوالى ٦٣٤,٩٠٢ باره. وفى الربع الاخير من القرن الثامن عشر كان الامراء المماليك المسؤلون عن الحج يحصلون لأنفسهم على جزء كبير من عوائد اوقاف الكسوة الشريفة مما انتهى بها الى حالة مزرية من الاتقان والجودة.

٥١ - الوجاق:

من التركية أوجاق بضم الهمزة ضمة مبسوطة مفخمة، ومعناه الأول فى التركية الموقد والمدخنة، ثم أطلق على كل ماتنفخ فيه نار فأطلق على البيت من وبر أومدر، ثم على أهله ثم على الجماعة تتلاقى فى مكان واحد ثم أطلق على الطائفة من طوائف أرباب الحرف وعلى الصنف من أصناف الجند وفى الروضتين نقلا عن القاضى ابن شداد(ت٦٣٢).

«حتى وصلوا إلى المخيم العادلى قبل استتمام ركوب العساكر، ودخلوا فى وجاقه، وامتدت ايديهم فى السوق» (وهى هنا بمعنى الخيمة أو الوطاق).

وفى الجبرتى...«... ومن وجاق المتفرقة على أفندى الحاسبجى».

وهى هنا بمعنى الصنف من أصناف الجند أوالسلاح كما يقال الآن سلاح الفرسان.

وفيه أيضا:«فإما يلبس الضلمه أويكون جربجيا فى الوجاق وإن لم يرض بأحد الأمرين يخرج المذكورون من الوجاق ويذهبون إلى أى وجاق شاءوا».

ج وجاقات: «وجمع ذر الفقار مماليكه فى ذلك اليوم صناجق وأمراء واختيارية أى كبار السن وأصحاب الاقدمية فى الوجاقات.

الوجاقات الستة:

كانت العساكر العثمانية التى تركت فى مصر بعد عودة السلطان سليم أربعة وجاقات، ثم زادها ابنه السلطان سليمان القانونى سنة ١٥٢٤ وجاقين فصارت ستة وجاقات، ثم صارت سنة ١٥٥٤ سبعة وجاقات.

وهذه الوجاقات السبعة هى:

١ - وجاق الأنكشارية.

٢ - وجاق العزب.

٣ - وجاق الجميلة.

٤ - وجاق التفكجية

٥ - وجاق الجراكسة : وهو ثلاث فرق من الفرسان الجراكسة عرفت فى مصر باسم الإسباهية(أى الفرسان من الكلمة الفارسية أسب بمعنى الحصان).

وقد ذكر الجبرتى هذا الوجاق باسمين: اسم(الجراكسة) «ودخلا مصر ليلاً فاختبآ عند أغات الجراكسة» واسم الثلاث البلكات الإسباهية، هى:

(١) الجمليان (٢)التفكچية (٣) الجراكسة

قال: اجتمعت طائفة الجاويشية مع طائفة المتفرقة والثلاث بلكات الإسباهية».

٦ - وجاق الجاويشية: أنشىء للجاويشية وجاق فى مصر سنة ١٥٢٤من عدد من المماليك، وكانت مهمة هذا الوجاق هى حمل الأوامر والفرمانات من الباشا، وكان لهذا الوجاق كتخدا.

ولم يكن عدد الجاويشية يزيد على أربعين شخصاً يعملون جميعاً فى ديوان مصر القاهرة، وأمورهم مفوضة إلى الوالى فإن خلا مكان فى جماعة الجاويشية شغله الوالى بواحد من الكونللية (انظر جمليان) أومن التفنكجية الفرسان، ولايجوز التعيين فى جماعة الجاويشية من غير هذين المعسكرين: الجمليان والتفنكجية، وللوالى الحق فى تأديب المخطيء من الجاويشية بقطع العلوفة وفى الجرائم الكبرى بالقتل.

٧ - وجاق المتفرقة: أنشىء هذا الوجاق فى مصر سنة ١٥٥٤، وكان أهله على تأخرزمانهم أعلى منزلة ورواتب من أصحاب الوجاقات الأخرى، وعليهم كان اعتماد ولاة مصر فى السيطرة على تلك الوجاقات، وفى أواخر القرن السادس عشر(١٥٩٥) كانوا أكثر الوجاقات عدداً، ثم اضمحلوا فى القرن السابع عشر.

وفى الجبرتى عن الوجاقات الستة، أى قبل إنشاء(وجاق المتفرقة:«وانزعج أهل الأسواق وقفل غالبهم دكاكينهم، ثم اطمأنوا بعد ذلك، وجلسوا فى دكاكينهم، واستمر أهل الوجاقات الستة يجتمعون ويتشاورون».

وعن الوجاقات السبعة: ثم اتفقوا على أن ينادوا فى المدينة بأن من له اسم فى وجاق من الوجاقات السبعة ولم يحضر إلى بيت أغاته نهب ماله وقتل.. إلخ».

ويذكر الجبرتى الوجاقات أحيانا باسم البلكات.

«ثم توفق أهل البلكات الست! على أن يعرضوا فى شأن ذلك إلى باب الدولة» ويقول وقد ذكر الوجاقات السبعة: «وأبطل كجك محمد الحمايات فى مصر باتفاق السبع بلكات».

٥٢ - ناظر الكسوة:

كان فى خدمة الحاكم شخصيا «الباشا» والذى كان عادة يطلبه من اسلامبول ويدفع له الحاكم راتبه من دخله الخاص.

٥٣ - مدافع الشاهى:

مدافع ضخمة ذات ماسورة طويلة استخدمها العثمانيون فى جيوشهم البرية وكانت تسمى ايضا زار بازين zarbazen .

٥٤ - السادة البكرية:

هم أهم ثانى قوة دينية فى مصر العثمانية.

٥٥ - السادة الوفائية:

الشيخ السادات الوفائية وهو رئيسها. ومن اهم الزعامات الدينية فى مصر العثمانية.

٥٦ - الروم أوشاغى:

اطفال كانوا يجلبون ويأتون من أورباخاصة ومن الاناضول والبلقان للخدمة فى قوات امير الحاج بهدف الحج الى الأراضى المقدسة بالحجاز.

٥٧ - التجار المغاربة:

يوجد فى مصر مايقرب من أربعين أوخمسين الفا من التجار المغاربة، وهؤلاء يجيدون استخدام الأسلحة النارية، وعندما كانت تقوم المعارك بين البيوت المملوكية وتشتد حروبها، يلجاء الأمراء المماليك إلى التجار المغاربة باعتبارهم جند احتياط، فيستأجرونهم وبالرغم من ذلك فإن الأمراء المماليك لم يسمحوا للمغاربة بالدخول فى الاوجاقات العسكرية.

وكان تركزهم الجغرافى عند جامع طولون وحوله، ومنها عرفوا أحياناً بمغاربة طيلون.

وتجارتهم الاساسية كانت فى غلات أفريقيا جنوب الصحراء، خاصة العبيد وسن الفيل.

وكانوا ينقسمون إلى عدة تجمعيات بحسب المنطقة أوالبلد التى قدموا منها، حتى أن المغاربة القادمين من واحة«أوجله» فى طرابلس الغرب، كانوا يشكلون تجمعًا منفصلاً عن بقية التجار المغاربة.

ويقصد بالمغاربة فى هذه الفترة كل بدو الصحراء الكبرى، وهذا لايعنى انهم سكان المغرب الاقصى(مراكش).

٥٨ - قضاة المذاهب الأربعة:

كان بالقاهرة محاكم على مذاهب القضاة الاربعة (المالكيه، الحنفية، الشافعية، الحنبلية).

٥٩ - السراجين:

ومفردها«سراج» كانت تطلق فى اللغة العثمانية على الجنود الذى يعتنون بالجياد، وذلك على عكس الجنود المقاتلين فى الفرق العسكرية الذين كان يطلق عليهم «يولدشلار».

ولكن فى مصر العثمانية كان هذا المصطلح يستخدم بشكل مختلف، فكان مصطلح «سراج»يطلق على الجندى الذى يخدم فى القوات الخاصة لامير مملوكى ويتسلم دخله منه أو من خزانة الولاية.

٦٠ - يوالدش:

استخدمت كلمة يولداش للجندى العامل فى

إحدى الفرق العسكرية ويتقاضى راتبه كليا أوجزئيا من خزانة الولاية وكان عندما يتم السراج خدمته فى ظل سيده الأغا فإن سيده يقوم بالبحث عن مكان له فى قائمة أحد الاوجاقات العثمانية ليأخذ منها راتبه، وعند ذلك يقطع عنه الراتب الذى كان يأخذه من سيده الاغا.

ويسمح له بأن يطلق لحيته، ثم يجعله شريكا لأحدالتجار الأغنياء.

وبهذه الطريقة ينتقل السراج إلى مرحلة يولداش إلا أن اليولداش عندما يدخل سلك التجارة يصبح فى حالة منافسة مع المماليك المصرية ولهذا كانت المعارك تنشب بينهما باستمرار.

وفى هذه الحالة فإن كلا من الطرفين كان يلجأ الى فئة التجار المغاربة(والذين كان يتراوح عددهم بين الأربعين والخمسين الفا ويجيدون استخدام الاسلحة منهم فى ذلك مثل المماليك والاولداش. ليستأجروهم كمقاتلين ومن هنا تسميتهم«بالعسكر المغاربة»وبالرغم من دور المغاربة هذا فإنه لم يكن يسمح لهم بالانضمام الى الاوجاقات العثمانية.

٦١ - الروملّى:

الروم إيلى: تكتب أحيانا الروملى. والمقصود بها رومانيا عندما كانت ضمن السلطنة العثمانية. وإذا أطلقت فى مقابل الأناضول كان المقصود بها أملاك السلطنة العثمانية فى أوربا، مقابل أملاكها فى آسيا الصغرى(الاناضول).

٦٢ - البربر:

بقصد الجزار بالبربر هنا المرتزقة المغاربة وكل المرتزقة القادمين من شمال افريقيا إلى مصر.

٦٣ - اسامة:

هى رتبه يشغلها احد جنود الفرق العسكرية العثمانية والرواتب التى يحصل عليها تكاد تكون مساوية وكافية لوضعه بصفة رسمية فى عداد رتبةEsam .

٦٤ - أقجات:

مفردها أقجة وهى وحدة وزن مصرية للعملة الفضية الشائعة فى مصر وهى البارة وهى تستخدم كذلك فى مختلف أنحاء الامبراطورية العثمانية. والبارة تساوى المؤيدى وهو العملة الفضية المملوكية ويسمى أحيانا المعيدى بشكل عام وأشتهر فى أوربا باسم المدينى.

وقيمتها بالقياس إلى الاقجه العثمانية كبيرة. ولكن فى القرن السابع عشر كانت تساوى أربع اقجات عثمانية وتزن ستة عشرخردلة.

وكان كل جندى داخل فرقته العسكرية يحصل سواء عند التحاقه بفرقته أوحصوله علىّ مكانة أو رتبة جديدة على لقب ابتداء (مبتدى) وهذا المبتداء كان يحصل فى اول درجاته العسكرية على ستة بارات يوميا .

وفى النهاية فإن المبتداء يمكنه زيادة راتبه اما بأن يترقى فى سلك الجنديه او بالترقى داخل فرقته اوبتقديم خدمات متميزة تلقى استحسانا يؤدى إلى ترقيته.

وفى الوقت الذى يحصل فيه المبتداء على ستة بارات فإن ضابطه يحصل على ١٢باره. وكان يمكن للجندى ان ينتقل من فرقة الى أخرى لزيادة راتبه وعوائده ومميزاته.

٦٥ - ارخاء اللحية:

كان البك عندما يعتق احد مماليكه استعداداً لضمه إلى احد الفرق العسكرية يسمع له باطلاق لحيته.

٦٦ - الجرايه:

منح كانت تمنحها الخزانة الاميرية بمصر وهى حوالى أردب من القمح اومايوازيه من الحبوب الأخرى تستخدم للغذاء الادامى.

اما مصطلح«عليق» فيساوى أردب من الشعير اومايساويه من حبوب صالحه لغذاء الحيوان.

وكانت الجراية والعليق تختلف فى حجمها من زمن لأخر وبحسب رتبة الجندى او المستفيد منها.

وبوجه عام يمنح الضابط مابين ثلاثماية وخمسماية من كل منهما يوميا حتى يمكنهم سد احتياجات جنودهم وخيولهم داخل فرقهم.

٦٧ - كيسه:

أنظر هامش (٩).

الكيس المصرى يساوى٠٠٠,٢٥باره= ٦٠٠ قرش مصرى. وفى استنبول كانت تساوى ٥٠٠ قرش، والقرش=١٠٠أقجة والأقجة=أخشا=كل اثنين بنصف فضة)وكان يسمى كيس الرومللى.

٦٨ - مال حمايه:

(عربية خالصة)وهى- اصطلاحاً- ضريبة عرفت فى العصر المملوكى يفرضها شخص على إقليم معين يحجزه لنفسه لايشركه فيه غيره يجبيها لنفسه، وقد نقل كاترمير العبارات الآتية فى ترجمته للسلوك، نقل عن المقريزى:«طمعوا فى أخذ الأموال والبراطيل والحمايات».

وكانت الحماية تجبى من السفن أيضاً وفى النجوم الزهرة:«وأبطل الملك الناصر جباية المراكب، كانت تجبى من سائر المراكب التى فى بحر النيل بتقرير معين على كل مركب يقال له مقرر الحماية»٩/٤٧.

والحماية فى مصر فى العهد العثمانى إتاوة جائرة كانت تتقاضاها الوجاقات بوصفها شخصيات معنوية، أويتقاضاها رجالات الوجاقات كأفراد، أو يتقاضاها بعض المماليك من التجار والصناع فى مقابل أن يضفى الوجاق أو إحدى شخصياته الكبيرة أو المملوك حمايته على التاجر أوالصانع.

وفى بداية القرن الثامن عشر كان على من يرغب فى تحصيل هذه الإتاوة أن يلتحق إما بالأنكشارية وإما بالعزبان فى مقابل مبلغ يدفعه، فيكتسب بهذا الالتحاق الحق فى أن يضفى حمايته على من يشاء من التجار والصناع، ويكون فى مأمن من أى إجراء يمكن أن يتخذه الباشا. وكانت الوجاقات تقبل أيضا من يلتحق بها من التجار والصناع لقاء مبالغ من المال، ثم تضفى عليهم حمايتها، وكان بعض المقبولين فى الوجاقات من التجار والصناع يصبحون بعد التحاقهم بالوجاقات عسكريين من الناحية الشكلية،وبعضهم يبقى مدنيًا، ولكنه خاضع للوجاق ومساير له، ويدفع الإتاوة، وهؤلاء التجار والصناع الملتحقون بالوجاقات طلباً للحماية كانوا يعرفون بالألداشات (اليولداش).

ولقد كانت الحمايات مصدراً أساسيًا لدخل بعض كبار المسؤلين كالمحتسب والوالى وآغا الأنكشارية، والمفروض أنهم كانوا يحمون التجار والصناع من العسف والابتزاز،ويغضون عن المخالفات التى قد يرتكبها التجار وأرباب الحرف.

ولكن هذه الحمايات لم تكن تجبّ حق الدولة فى الميرى، ولذلك كانت عبئاً ثقيلاً على التجار.

وكان الوجاق الذى يضفى حمايته يضع شارته على الدكان: فإن كان شخصاً كتبه اسمه معلناً شركته لصاحب الدكان، وفى الجبرتى: «دخل قبى قول وهو المسمى عند المصريين كتخدا الينكجرية، وشق المدينة، وأمربمحو نشانات الأنكشارية من الحوانيت ولم يترك إلا القهاوى».

ويقول أيضاً: «نودى فى ١٢١٦ بإبطال كلف القلقات وإبطال شرك العسكر لأرباب الحرف إلامن شارك برضاه وسماحة نفسه فلم يمتثلوا لذلك».

وأما كلمة الحماية فقد أوردها الجبرتى فى هذه النصوص:

«وأبطل كجك محمد الحمايات من مصر باتفاق السبع بلكات، وأبطلوا جميع مايتعلق بالعزب والأنكشارية من الحمايات بالثغور وغيرها، وكتب بذلك بيورلدى».

٦٩ - ابن حبيب

هو شيخ عرب الحبابيه القاطنين فى صحراء مضد الشرقية على مسافة يوم ونصف من القاهرة.

الشيخ الخبيرى: هو زعيم عرب الخبيرى الذين استوطنوا عند المعادى،وهم فرع من قبيلة غزالة التى كانت ترتع فى مصر الوسطى والفيوم والجيزة وتقوم بأعمال السلب والنهب. كان الشيخ الخبيرى مسيطراً على المعديات التى تعبر النيل قرب المعادى الحالية، ومن هنا جاء اسم معادى الخبيرى.

٧٠ - العبابده:

يتركزون فى ولاية جرجا، ويسيطرون على ميناء القصير، كما يمتلكون عدة قرى على الشط الشرقى للنيل أهمها دراو، الشيخ عامر والدوسية كما يسيطرون على تجارة ميناء القصير عن طريق تحكمهم فى وادى قنا والقوافل المارة به، فيدفع التجار ٢٣ باره عن الجمل المحمل ورُبع كيله من القمح أوالفول أو الدقيق أو الشعير حسبما يحمله الجمل. وهم ملزمون فى مقابل هذه الاتاوة بحماية هذه القوافل ضد عرب الحويطات المنتشرين حتى قلزم السويس.

وأصولهم حامية يعتقد البعض أن أجدادهم هم البليمويون الذين عرفوا فى ظل الاحتلال الرومانى لمصر بمقاومتهم الشديده لليهود والرومان. ويختلف العبابدة اختلافاً تاماً فى تقاليدهم ولغتهم وعاداتهم وبنيتهم الجسمانية عن البدو العرب، فالعربان بيض البشرة يحلقون رءوسهم، ويرتدون العمامة ولديهم أسلحة نارية وسيوف، أماالعبابدة فسود البشرة، وشعرهم مجعد يحتفظون به طويلاً يتدلى على أكتافهم، وتجدله النساء فى ضفاير رفيعة كعادة قدامى المصريين، ويدهنون أجسادهم ورءوسهم بالدهون لإتقاء حرارة الشمس. ويتسلحون بالرماح والسيوف المستقيمة ذات الحدين وبسكين مقوسة بعلقونها فى ذراعهم اليسرى بالإضافة إلى درع مستدير من جلد الفيل قطره ٦٠ - ٧٠سم.

وعدد الخيول عندهم قليل فهم لايركبون سوى الهجين، يضعون عليها سروجا خاصة بهم تختلف عن سروج البدو العرب، يغطيها فراء خروف. ويربون منها أعداد كبيرة إلى جانب الجمال التى يبيعونها للقوافل وللحاج.

ويتيح لهم استخدام الهجين، مع تموين من ثلاث قرب واحدة للماء والثانية للفول والثالثة للدقيق، قطع مسافة مائة فرسخ فى أربعة أيام لمباغتة أعدائهم أو الانسحاب دون أن يتمكن أحد من مطاردتهم.

وهم يجنون من جبالهم كمية كبيرة من السنامكى والصمغ العربى.

ويحتمى العبادى فى ترحاله من الشمس بأن يضع على الأرض سرج جمله مقابل حجر يساويه [illegible] على هاتين الدعامتين بالعرض سيفه ورماحه، ثم يبسط فوق ذلك كله فراء خروف ويتمدد تحت هذه المظلة.

٧١ - الحويطات:

هم من البدو العرب المنشرين فى الصحراء الشرقية من قلزم السويس شمالاً حتى القصير جنوبا.

كانوا فى عداوة قديمة مع العبابدة حتى قامت بينهم حروب طاحنة.

وهم لايتركزون فى مدن ثابتة مثل العبابدة وتعتبر الخيول مطيتهم الاساسية، كما يستخدمون الاسلحة النارية، التى يحصلون على بارودها من قرية الأشمونين الكبيرة ذات الأطلال والبرابى الكبرى التى تهيىء فى خرائبها ملح البارود.

٧٢ - الطرابين:

أوالترابين، وهم قسمان، طرابين الكبرى وطرابين الصغرى، ينتشرون فى وادى التيه بسيناء وضواحى غزة فى المنطقة المسماة ديرالتيه. وهى من القبائل التى أباد منها على بك الكبير أعداداً كبيرة.

٧٣ - بك:

رتبة كانت تعطى فى النظام الادارى العثمانى بمصر لمن يمثلون الزعامات الاقطاعية وملتزميها. وكانوا يشكلون مع زعماء الفرق العسكرية أى «الاوجاقات» الديوان الذى كان يعاون ويراقب الباشا المولى على مصر.

وفى الألقاب العثمانية الرسمية كان لقب امير يستخدم مساويا لللقب بك وهو من كان يستحوذ على طوغ واحد. وذلك، بالرغم من أن هذا اللقب استخدام لرتب أقل وأعلى من ذلك.

وفى مصر استخدم هذا اللقب كذلك ومنح للضباط التسعة وعشرين فى ادارة مصر، وكان اهمهم:

١ - شيخ البلد
٢ - أمير الحاج
٣ - الدفتردار
٤ - حاكم جرجا
٥ - حاكم الشرقية.
٦ -حاكم الغربية
٧ - حاكم البحيرة
٨ - امين عنبر غلال
٩ - الخزينة باغى

والى جانب هؤلاء البكوات الأساسيين يوجد خمسة أو ستة أو بكوات من المهمين، فيكون عددهم ١٥ بكاً، واحياناً يزيد العدد على ذلك أويقل.

٧٤ - كشاف:

فى مصطلح الادارة المملوكية لمصر كان المصطلح كاشف يطلق على عدة وظائف قضائية وعسكرية وبخاصة الذين كانوا منهم يقوم بأعمال إدارة وجمع ضرائب وعوائد المناطق الزراعية وفى

خلال القرن التالى لاستقرار الحكم العثمانى فى مصر كان يطلق على من يدير اكثر من مقاطعة زراعية. ومع بداية القرن السابع عشر حلّ الملتزم محل الكشاف.

وعند ذلك اطلق هذا اللقب على وظيفتين رسميتين.

١-حكام الاقاليم الصغيرة والذين كانوا يعينون من بين الضباط ذوى المكانة الثانية فى الهيئة المملوكية والذى كان يمنح احيانا درجة طوغ واحد.

٢ - بعض ممولى الضرائب الذين يديرون بعض القرى فى مصر العليا والذين يكونون دخولهم من نظام الالتزام.

٧٥ - الدفتردار:

الدفتر من الكلمة اليونانية دفتيرا Diphthe-ra بمعنى جلد الحيوان، لأنه كان يستعمل للكتابة، دخلت العربية قديماً وفيها ثلاث لغات: الدفتر بفتح الدال كجعفر، ومن العرب من يقول تفتر بالتاء على البدل؛ والدفتر بكسر الدال وزان درهم، والدفتر جماعة الصحف أوالكراس.

واستعلمت فى العربية بمعنى المسحة: ففى صبح الأعشى: «المسحة وتسمى الدفتر أيضا، وهى الة تتخذ من خرق متراكبة ذات وجهين ملونين من صوف أوحرير أو غير ذلك من نفيس القماش يمسح القلم بباطنها عند الفراغ من الكتابة لئلا يجف عليه الحبر فيفسد. والغالب فى هذه الآلة أن تكون مدورة مخرومة من وسطها، وربما كانت مستطيلة، ويكون مقدارها على قدر سعة الدواة».

دخلت كلمة دفتر فى الفارسية أيضا بلفظها وبمعنى جماعة الصحف، وأما (دار) ففارسية بحت، ومعناها الصاحب أوالقيم، فالدفتردار لغويا: هو صاحب الدفتر.

كان السلاجقة يلقبون القيم على شئون المال فى دولتهم بلقب المستوفى، وكان الأيلخانيون يلقبونه(مستوفى الممالك)، وكان تحت مستوفى الممالك عند الأيلخانين(دفتردارالممالك)، وهو المشرف على الأمور المالية فى إقليم من الأقاليم. وقد أخذ العثمانيون وغيرهم من أصحاب الإمارات التركية الأناضولية التى ظهرت بعد انهيار سلاجقة الروم اسم(الدفتردار) عن الأيلخانيين الذين حكموا الأناضول، وحولوا دولة السلاجقة إلى دولة تابعة.

ولا يعرف بالضبط متى استعمل العثمانيون هذا اللقب ولكن الكلمة كانت معروفة فى النصف الأول من القرن الخامس عشر: فقد نقل المرحوم إسماعيل حقى أوزون جارشيلى أن من بين الشهود على عقد تمليك أراضٍ منحها السلطان مراد الثانى لعالم تركى يقال له فضل الله فى شعبان سنة٨٤٥ (١٤٤١)شاهدا اسمه مراد بن يحيى بك المعروف بالدفتردار. ومن بين الشهود على وقفية حفصة خاتون فى بروسه، وهى محررة فى رمضان ٨٤٧ (يناير ١٤٤٤) شاهد اسمه عبدالجليل بك بن الحاكم محمد شيروانى الدفترى. وقد وردت الكلمة بمعناها الإصطلاحى فى قانون محمد الفاتح فقد ورد به(.. ومالمك وكيلى دفتر دار مدر) أى ووكيل مالى هو دفتر دارى.

وكان الدفتردار بمثابة وزير للمالية، وينص

قانون محمد الفاتح على أن يكون فتح خزانة المال وخزانة الدفاتر وإغلاقهما إذا لزم ذلك بمحضر من الدفتردار .

وينص أيضا على أن الباش دفتر دار إذا أكل فى الديوان الهمايونى فعلى مائدة الصدر الأعظم نفسه.

وكان للدفتردار من سعة السلطة بحيث يرشح للجاويشية(انظر جاويش) والسباهية بل يرشح للصنجقية والزعامة، وله الحق فى أن يعطى علاوة لاتزيد عن آقجتين دون رجوع إلى السلطان، وله، عند الخروج للحرب أن يقترب من السلطان وأن يحدثه.

وينص القانون أيضاً على أنه إذا أُعطى الدفتر دار خاصا(أى إقطاعا) فغلته ستمائة ألف آقجة، فإن أعطى راتباً فمن مائة وخمسين ألف آقجة إلى مائتين وأربعين ألف آقجة، وإن أحيلت إليه بعض الإقطاعات ليلتزم بها مالياً أو لتكون أمانة عنده فإنه يتقاضى ألف آقجة عن كل حمل(الحمل فى الاصطلاح المالى العثمانى مائة ألف آقجة)،وعند تسليم الإيراد النقدى لهذا الإقطاع إلى الخزانة فله عشرون فى الألف من هذا الإيراد، وكان هذا المبلغ الذى يتقاضاه الدفتردار يسمى(كسر منضم)، وكان الدفتردار - مثله كمثل الوزراء- حصة فى كل مايقدم للسلطان من هدايا، وله- كالوزراء أيضا- حصة فى الخراج وفى عوائد الأغنام.

وعند التهنئة بالعيد يعامل الدفتر دار كما يعامل الوزير فيقف له السلطان، وكان للدولة العثمانية دفتردار واحد، فلما اتسعت البلاد بالفتوح احتيج إلى أكثر من دفتردار، وكان أكبر الدفتر دارات هودفتردار الروملى، ولذلك كان يلقب بالباش دفتردار، وكان يليه دفتر دار الأناضول.

ثم أنشأ السلطان سليم الأول دفتردارية سماها«عرب وعجم دفتردار لغى» أى دفتردارية العرب والعجم كانت تشرف على الشئون المالية لشرقى الأناضول والشام وكان مركزها فى حلب.

وفى منتصف القرن السادس عشر فصلت الأراضى التى على الشواطىء والخاضعة لدفترداريتى الروملى والأناضول، وألحقت بها أيضاً مقاطعات إستانبول وأنشئت لها جميعها دفتردارية مستقلة كانت تسمى باسم(شق ثانى) أى دفتر دارية الشق الثانى.

وكانت رواتب رؤساء هذه الدفتر داريات فى منتصف القرن السادس عشر هكذا: راتب الباش دفتردار فى الروملى مائة وستون ألف أقجة، وراتب دفتردار الأناضول مائة وأربعون ألف أقجة وراتب دفتردار الشق الثانى مائة وثلاثون ألف أقجة، هذا بالإضافة إلى ماكان يصرف لهم من ملابس الشتاء والصيف والخبز وأنواع العوايد. وكان الباش دفتر دار يرأس دفتر دار الأناضول ودفتردار الشق الثانى، ولكن كل دفتردار كان يوقع على ظهر مايصدر من دفترداريته من أوراق.

وفى القرن السابع عشر صار للباش دفتردار الحق فى أن يوقع على ظهركل الوثائق المالية التوقيع المعروف باسم(قويروقلى) أى التوقيع ذى الذيل، وصار له الحق فى أن يكتب بيورلديات بالاعتمادات المالية التى يقررها الديوان، وأن يضع عليها التوقيع ذا الذيل بشرط أن يصدق الصدر الأعظم على البيورلدى فى جزئه الأعلى، فإن كتب الدفتردار

للصدر الأعظم مباشرة أو إذا أحال عليه الصدر الأعظم بعض الأوراق وأجاب عنها الدفتردار فليس له أن يوقع عليها التوقيع ذا الذيل، بل يجب أن يكون توقيعه ملموما وبلاذيل.

وكان الدفتردار يذهب مع الوزراء فى أيام الثلاثاء يعرض الموضوعات المالية على السلطان، فإن اعترض السلطان على أمر فإن الدفتردار لايرد على السلطان، فإن اقتضى الأمر أن يقرأ الدفتردار تقريراً على السلطان فلابد من مقابلة الصدر الأعظم أولاً ليرى الصدر التقرير ويوافق عليه.

وفى أواخر القرن السادس عشر ١٥٧٣ قسمت دفتر دارية العرب والعجم المذكورة آنفا إلى دفترداريات محلية، وكان استقلالها بحسب الترتيب الزمنى هكذا: دفتر دارية دياربكر، فدفتردارية الشام، فدفتر دارية أرضروم، فدفتردارية طرابلس الشام.

وفى ٩٩٢هـ(١٥٨٤م) انقسمت دفتر دارية الأناضول إلى دفتر دارية سيواس ودفتر دارية قرمان.

وكان يطلق على الدفترداريات التى انقسمت إليها دفتردارية العرب والعجم وعلى الدفترداريتين اللتين انقسمت إليهما دفترادرية الاناضول اسم دفترداريات الكنار(والكنار كلمة فارسية معناها الحواشى والأطراف)، وكان يقال لها أيضا دفترداريات الخزانة.

وكان للدفتردار فى تركيا فى القرن السابع عشر مبنى خاص هو باب الدفتردار (دفتردار قابيسى)أو(باب دفترى)، ويضم باب الدفتردار عدداً من الأقلام على كل قلم رئيس يقال له خوجه، يليه الخليفة ثم الكتبة ثم الشاكردية الذين كانوا يرشحون للكتابة بعد امتحان، وكان الناجحون يعينون كتاباً ببيورلدى من الصدر الأعظم بناء على مذكرة من الدفترادر وفى سنة ١٢٥٣هـ(١٨٣٨م)أنشئت فى تركيا وزارة للمالية، وانتهت الدفترداريات ولكن كلمة دفتردار بقيت إلى أن ألغيت فى تركيا نهائياً سنة ١٨٤١م.

وأما فى مصر فلم يكن مع العثمانيين عند فتح مصر من يستطيع إدارة مصر ماليًا ولذلك عهد العثمانيون للكتبة والموظفين الذين كانوا يعملون بالمالية قبل الفتح بإدارة الأمور المالية، فعينوا على كل إقليم متحدثا أى رئيساً مالياً مملوكيًا، وكان يرأس هؤلاء المتحدثين مسئول كبير هو ناظر الأموال،وكان أكبر معاونيه هو(أمين شهر): أى أمين المدينة، وهو المشرف على الأمور المالية بمدينة القاهرة، وقد تقرر هذا النظام فى القانون الصادرسنة٩٣١(١٥٢٤)، وبقى فى جملته لم يتغير حيث نهاية القرن العاشر الهجرى وإن كان العثمانيون- مع إبقائهم على هذا النظام- قد أحلوا عدداً من الكتبة الأتراك المرسلين من إستانبول محل كبار المسؤلين من المماليك، وعندئذ حل لقبا أمين وأفندى محل لقب متحدث وحلّ لقبُ دفتردار محل لقب ناظر الأموال، ثم حصل بكوات مصر على حق تعيين الدفتردار، فكانوا يبوئون هذا المنصب أحد شجعان الجند ورجال السياسة دون نظر فى خبرته المالية أو لانه للباب العالى، فلما ظهر فساد هذا النظام أعاد نائب مصر مقصود باشا فى سنة ١٦٠٨ تنظيم الإدارة المالية فى مصر، فجرد الدفتردار الذى يمثل البكوات المحليين من سلطاته، وطور ديوان الروزنامه بحيث صار الديوان الرئيسى المسيطر على سائر الدواوين

المالية الأخرى، وصار لرئيسه مثل ماكان للدفتردار من سلطات، وقد بقى هذا النظام زهاء قرنين بعد ذلك.

وفى الجبرتى(فى سنة ١٢١٧)«وردت مكاتبات من الديار الرومية وفيها الخبر بعزل شريف أفندى الدفتردار وولاية خليل أفندى الرجائى المنفصل عن الدفتردارية(عام أول) فحزن الناس لذلك حزناً عظيماً؛ فإن أهل مصر لم يروا راحة من وقت دخول العثمانية إلى مصر، بل من نحو أربعين سنة سوى هذه السنة التى باشرها..»

ويفهم من هذا النص أن التعيين فى الدفتردارية والعزل منها كانا من اختصاص الباب العالى.

ويقول الجبرتى:«وفيه أى فى ذى القعدة سنة ١٢١٨ ألبس إبراهيم بك كتخدا رضوان خلعة وأشيع أنه قلده دفتردارية مصر.

ويفهم من هذا النص أن البكوات المحليين كانوا يعينون الدفتردار دون استشارة الباب العالى.

ويقول أيضا فى حوادث ١٢٢٠ :«وصل نحو السبعين ططريًا ومعهم البشارة لمحمد على باشا بوصول الأطواخ. إلى ردوس، ووصل معهم أيضاً مراسيم بمنصب الدفتردارية لأحمد أفندى الملقب بجديد».

ويفهم من هذا أن الباب العالى قد استعاد سلطته، واستأنف تعين الدفتردارات.

ويقول فى حوادث جمادى الآخر ١٢٢٢ ؛ «وفى يوم الثلاثا ثالث عشرة طلب الباشا حسين أفندى الروزنامجى فعدى عليه ببرأنبابة، فخلع عليه خلعة الدفتردارية، وحضر إلى داره الجديدة وهو بيت الهيام بالقرب من قنطرة درب الجماميز، وذهب إليه الناس يهنئونه، وانفصل أحمد أفندى عاصم عن الدفتردارية».

ويفهم من هذا أن الباشا(محمد على) قد استقل، وصار له حق التعيين والعزل فى الدفتردارية.

٧٦ -بك الخزينة:

هو المسؤل عن مصاحبة الخزينة السلطانية من مصر إلى استنبول. ويسمى«خزينة باغى».

٧٧ - جائزة:

هذه الجائزة يدفعها كل ضباط الفرق ذوى المراتب العليا او السفلى للباشا، وفى مصر يقوم بدفعها التسعة وعشرين ضابطا اساسيا فى مصر والذين يحكمون ويجمعون الضرائب ويشتركون فى الديوان.

وكانت كل ضريبة تؤخذ من الضباط فى ظل النظام العثمانى تدفع سنويا. تحتاسم«الفىء» إلى الخزانة الاميرية والفىء.

وفى مصر كانت الجائزة تسمى«كشوفيه»نظراً لأن معظم الضباط الذين كانوا يدفعونها هم من الكشاف.

وكان حاكم مصر يرسل سنويا إلى السلطان العثمانى وبعض رجال السلطنة فى استنبول «جائزة هما يونية».

٧٨ - طبلخانه:

هم عازفوا الطبول والموسيقى فى مواكب اصحاب الوظائف والرتب وكان يتحدد عددهم بحسب الرتبة والوظيفة.

٧٩ - أيج أوغلان:

في اسلامبول كان الشباب غير المسلم والمسموح لهم بالعمل فى خدمة الدولة العثمانية بعد اسلامهم يعتبرون كعبيد للسلطان حيث يسمح لهم بدخول قصر السلطان تحت اسم(ايج أوغلان) وتعنى فى المصطلح العثمانى (صبيان الخدمات الداخلية).

وفى مصر كانت هذه الكلمة تستخدم فى نفس السياق تقريبا داخل النظام المملوكي. وهى تعنى الشباب المجلوب من القوقاز وجورجيا والبلقان وكان يدخلونهم فى خدمتهم (كايج اوغلان).

ويخدمون فى حرسهم الخاص، كما شرحنا فى مصطلح سراج من قبل. وفى مصر العثمانية كان معظم الكشاف من السراجين.

٨٠ - كوجك جاويش: انظر هامش(١٨).

٨١ - أورطه جاويش: انظر هامش(١٨).

٨٢ - باش جاويش: انظر هامش(١٨).

٨٣- وقت كتخداسي: انظر هامش(١٨).

٨٤ - أغا الأنكشارية:

هو رئيس فرقة الإنكشارية،ويعتبر واحدا من أهم قواد الفرق العسكرية فى مصر العثمانية.وكان فى يده حفظ أمن القاهرة وقيادة جيوش مصر. ولهذا كان من اختصاصه حفظ وتأمين بوابات وأسوار القاهرة بما فيها القلعة حيث كان يقيم.

ولهذا كان من ضمن الألقاب التى تطلق عليه فى مصر «مستحفظان». وإن ظلوا يذكرون فى وثائق الباب العالى بأسم انكشارية، وخلال الحكم العثمانى فى مصر. وفى نهاية القرن التاسع عشر أصبحت الانكشارية أقوى الفرق العثمانية بفضل تعاونها مع البكوات المماليك. ويذكرهم الجبرتى باسم«الينكجرية» :«فأرسل الباشا إلى الينكجرية فامتثلوا.

والانكشارية جيش من المشاة أنشىء فى عهد السلطان العثمانى أورخان(١٣٢٦/٧٢٦م)، كانت نواته من أهل الفتوة فى الأناضول، ثم اعتمد على أبناء النصارى البلقان، وكانوا جنودا عزاباً، ثم سمح لهم فى عهد السلطان سليم الأول بالزواج بشرط كبر السن، ثم اطلق حق الزواج. كان هذا الجيش تحت سيطرة الطريقة البكتاشية لأن مؤسسه كان الحاج بكتاش ولى. وقد فسدت أمورهم فى عهد السلطان محمود الثانى وتمردوا عليه فأقام لهم مذابح كبيرة وقضى عليهم وعلى الطريقة البكتاشيه فى موقعة عسكرية كبيرة (الوقعة الخيرية) سنة ١٨٢٦ وقد هربت أعداد منهم إلى مصر وأسسوا طريقتهم بها حتى قضى عليها فى عام ١٩٥٦م. انظر د. أحمد السعيد سليمان.ص٣١.

٨٥ - العزب:

من العربية عزب من لازوج له، صارت فى التركية اسم جمع وعلماً على طائفتين من الجند العثمانى: إحداهما بحرية والأخرى برية، كانوا يؤخذون فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر من بين أشداء الشباب الترك بمعدل شاب من كل عشرين أوثلاثين بيتاً، وكان القسم البحرى منهم قسمين: أحدهما يعمل فى الترسانة ويسميه العثمانيون (عزبان ترسانه عامرة)، والآخر يعمل

على السفن الحربية ويسميه العثمانيون(عزبان دونماى همايون).

وقد اضمحل هؤلاء العزاب البحريون بعد أن عظم دور الغليونجية واللاوندية(من الفارسية لوند أى الحر المستقل المغامر والجندى المتطوع: اسم لطائفة من العساكر البحرية العثمانية وقد دخلت هذه الكلمة فى اللغة الطليانية فى صيغة Leven-ti، ومنها دخلت الفرنسية فى صيغة Lebendi (انظر باربيليه دومينار)وقيل: إنها كلمة طليانية الأصل، فقد كان الإيطاليون يطلقون على الشرقيين المستخدمين فى جيوشهم اسم Levantino: أى الشرقيين، ثم انتقلت إلى الترك(انظر باك آلين).

وأما القسم البرى فيظن أنه أنشىء فى عهد أرخان بن عثمان أوبعده بقليل، وكانوامشاةً خفافاً(خفيف بياده)، يحاربون أمام مواقع المدافع العثمانية ولهم عند الضرورة أن يميلوا ذات اليمين وذات الشمال غير بعيد من مواقع المدافع، ثم كان منهم من يقيم فى القلاع وعلى الحدود، ويتولون الرماية بالسهام وبالبنادق.

وفى الجبرتى عن العزب فى مصر: «استمرّ إفرنج أحمد ومن معه يضربون المدافع على باب العزب ليلا ونهاراً، وبباب العزب خلق كثيرون»: وكانت فرق العزب فى التنظيمات العسكرية العثمانية التالية فى الاهمية بعد فرق الانكشارية. ومع ازدياد الفتوحات العسكرية العثمانية، أعطيت لهم مهام حراسة أقل من مهام الانكشارية ولكن فيما بعد اسندت إليهم فى مصر مهام حراسة القلعة والقاهرة وكذلك حماية السفن النيلية وامن ميناء السويس. وفى خلال القرن التاسع عشر اصبح لفرق العزب تأثير ثانوى بالنسبة لتأثير فرق الانكشارية وفيما بعد عام ١٧٥٠م اصبحوا تحت قيادة الانكشارية تماماً.

٨٦ - فرقة جاويشيان:

اسست فرقة الجاويشيان فى عام ١٥٢٤م من بقايا الجيش المملوكى المهزوم امام الجيش العثمانى تحت امرة الحام العثمانى لمصر بعد ان اعلنوا ولاءهم للسلطان العثمانى. وكانت مهمتها محددة بخدمة الحاكم والديوان وخاصة فى جمع الضرائب وتبليغ الاوامر والفرمانات للجهات المعنية. وكان تستمد نفوذها اساسا من حقها المطلق فى إدارة مقاطعات الاحتساب الشرطة والانبار الأميرية (المخازن الاميرية)وناظر النظار.

وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت هى وفرقة المتفرقة القوة الاساسية للحاكم العثمانى فى صراعه ضد فرقتى الانكشارية والعزب ولكن بعد عام ١٧٥٠م وقعت تحت سيطرة فرقة الانكشارية.

٨٧ - المتفرقة:

هم فى اصطلاح التاريخ العثمانى طائفة من خدم السلاطين والوزراء وكبار أصحاب المناصب.

ولايعرف تاريخ إنشاء هذه الوظيفة بالضبط، ولكنها ذكرت فى قانون محمد الفاتح: فقد ورد به: أن أولاد الوزراء الأعاظم وأولاد الوزراء وأمراء الأمراء والنشانجية، يؤخذون لخدمة السلطان باسم متفرقة.

ويتقاضى المتفرقة من أبناء الوزراء الأعاظم ستين أقجة فى اليوم، ومن أبناء الوزراء خمسين أقجة،

ومن أبناء النشانجية أربعين أقجة، ومن أبناء أمراء الأمراء خمسة وأربعين أقجة.

ثم أدخل أبناء الأسارى والدوشيرمه في جماعة المتفرقة، وأدخل لمدة محددة أبناء أخوات السلاطين وأبناء بناتهم، وكذلك دخل لمدة قصيرة أصحاب الزعامات والتيمارات، ثم قصر الالتحاق بالمتفرقة على البستانجيه.

والمتفرقة قسمان: أصحاب العلائف ويعرفون باسم (علوفه لى متفرقة)، وأصحاب الإقطاعات، ويعرفون باسم(تيمار وزعامت متفرقة لرى)، وأصحاب العلائف درجات فمنهم: من يوميته ستون أقجة، ومن يوميته أكثر أو أقل.

ولأصحاب العلائف من المتفرقة تقبيل يد السلطان في يوم العيد على حين لايقبل يد السلطان من أصحاب الزعامات من المتفرقة إلا من كانت زعامته تغل مائة وخمسين ألف أقجة على الأقل.

والمتفرقة من غير هاتين الدرجتين ليس لهم فى يوم العيد إلا تقبيل ذيل الرداء السلطانى.

وكان فى السلطنة العثمانية نوع من المتفرقة الفرسان يتقدمون السلطان إذا خرج أو إذا ذهب لصلاة الجمعة، ويصحبونه أيضا لميادين القتال، وعليهم عندئذ حراسة الخزانة.

وكان المتفرقة فى مصر يكونون وجاقا من الوجاقات العثمانية.

وقد الغيب وظيفة المتفرقة فى السلطنة العثمانية باعلان التنظيمات فى سنة ١٨٢٩م.

وفى الجبرتى: «فلما طلع كتخدا الجاويشية ومتفرقة باشا (أى رئيس المتفرقة) إلى راغب باشا، وطلبوا منه فرمانا بذلك - فقال الباشا: رجل نفذ أمر مولانا السلطان، وخاطر بنفسه، ولم ينكسر عليه مال ولا غلال كيف أعطيكم فرماناً بقتله».

وقد تأسست عام ١٥٥٤م فى مصر من بقايا جنود الجيش المملوكى الذين ظلوا فى خدمة الباشا (الحاكم العثمانى لمصر) ومن بعض جنود فرق المتفرقة العثمانية فى اسلامبول لتكوين القوة العسكرية الاساسية للباشا فى صراعه ضد فرقتى الانكشارية والعزب.

وبعد اثنى عشر عاما من تأسيسها كانت هذه الفرقة بقيادة امير.

وخلال القرن السابع عشر استحوذت فرقة العزب على مقاطعة الخردة واحتكرت وظيفة معمار باشى، وقافله باشى وجبيسى باشى وترجمان باشى ووصلت إلى قمة قوتها فى أواخر القرن السابع عشر حتى فاق دخلها وقوتها فرقة الانكشارية ولكن مع تدعيم الفرق العثمانية من قبل الباب العالى فى مصر شاركتها فى نفوذها فرقة المتفرقة وقرب نهاية القرن الثامن عشر ضعف نفوذها واصبحت مجرد فصيلة صغيرة داخل فرقة الانكشارية. ولم تكن لها صلة بفرقة المتفرقة فى اسلامبول سواء فى الادارة اوالمهام.

٨٨ - التفكجيان:

كان ضمن القوات العثمانية التى فتح بها السلطان سليم مصر فرقتان من الخياله الفرسان الكوكللويان (أى المتطوعون) والتفكجيان (حملة البنادق من الفرسان). وفى اعقاب استقرار الاوضاع للعثمانين فى مصر عام ١٥٢٤م فإن

الفرسان المماليك الباقين بعد هزيمتهم امام العثمانيين اعلنوا ولاءهم للسلطان العثماني فأسس منهم فرقة فرسان . ثالثة باسم الجراكسة (نسبه إلى موطنهم الذى بيعوا منه). وفرق الخياله الثلاث هذه اطلق عليهم اسم السباهية وكلفوا بمهام السيطرة على قبائل البدو فى الصحارى. ولذلك كانوا القوة العسكرية الاساسية فى يد حكام الاقاليم خلال القرون التالية. وكانت الانكشارية تكلف على وجه الخصوص بحمل أوامر وفرمانات الحاكم الى حكام الاقاليم فيما يخص امور الرى والمياه والقيام على ادارتها. ولقد كانت رواتبها ضعيفه بالنسبة لبقية الفرق العسكرية الاخرى ولذلك كانت تنتشر بينهم فى كثير من الاحيان حركات التمرد.

٨٩ - كوكليّان:

جمع فارسى للكلمة التركية: كوكللو(كونللو): أى المتطوع من كلمة كوكل: أى القلب وصيغة الجمع الفارسية هى (كوكليان حرفت فى اللغة العربية بقلب النون الخيشومية ميماً.

والجمليان(الكوكليان)هم المتطوعون للعمل مع الأنكشارية فى زمن الحرب، وقسم من العساكر التى كانت تعمل فى حراسة القلاع، وهؤلاء كالجمليان من حرس القلاع كانوا من أهل البلد الذى به القلعة، يقيدون فى دفتر أغا الأنكشارية، ولكنهم لايتقاضون العلوفة الأنكشارية(أى الراتب)، فإذا كانت الحرب وشاركوا فيها فعلا قيدوا فى دفاتر العلوفة، وكان منهم من يقبل فى الجيش الأنكشارى العامل بناء على عرض من أغا الأنكشارية، وإرادة تصدر من السلطان، ويرى بعض المؤرخين أن هؤلاء المطوعة كانوا من أسباب فساد الأنكشارية.

- أغا جمليان: لقب رئيس المطوعة فى الجيش الأنكشارى، ورئيس المطوعة فى الجيوش العثمانية التى أنشئت بعد التنظيمات.

«.. ثم إن إفرنج أحمد توافق مع أيوب بك وعينوا عمر أغات جراكسة وأحمد أغا تفكجيان ورضوان أغا جمليان..».

- الجميله: الجمليان:

ووجاق الجميله هو معسكر المطوعة.

وفى الجبرتى:

«.. برز أمر من الباشا برفع صنجقية أحمد بيك الشهير بإفرنج أحمد والحاقه بوجاق الجميلة..»، وقيل أيضا: إنها الجملية المتحركة: أى ركبان الجمال .

٩٠ - الاباظة:

أو الأبازه، عشائر تقطن قرب جبال القوقاز بين روسيا وتركيا. كان أرقاء هذه العشاير مرغوب فيهم من السلطنة العثمانية، التى كانت تفضل فى الدرجة الأولى الأرقاء الشركس ثم الأبازه فالمنغوليين فالجورجيين فالصقالبة (الروس والبولنديين والمجريين والألمان السود.

ومن المعروف أن على بك الكبير كان من هذه العشاير.

٩١ - السلطان سليم:

لم يكن مسموحاً فى بداية الفتح العثمانى لمصر بأن يكون احد من أعضاء الفرق العسكرية من

الملتزمين. ولهذا كان اعتمادهم في الاساس على الرواتب التى يتقاضونها من السلطة المركزية مما لم يعطهم اى فرص للاستقلال المادى عن نظام الحكم فى مصر وكان الالتزام في القرن السادس عشر يعطى لمن هم ليسوا ضمن الفرق العسكرية. ولكن ما أن دخل القرن التاسع عشر حتى اصبح لجنود وضباط الفرق العسكرية الحق فى الحصول على التزام الى جانب حقهم في الحصول على رواتبهم من الخزانة الاميرية وهذا ماجعلهم فى وضع مستقل عن الباب العالى وممثلها الرسمى فى مصر(الباشا).

٩٢ - كيسه،جمارك:

انظر هامش(٩): هذه الضرائب تشمل كلا من ايراد مصرفات الخزانة الأميرية، فى مصر. وفى عام ١٧٩٨ كمثال كان مجمل الضرائب التى جمعت من الأراضى الزراعية يزيد على(٤٠٠)اربعمائة مليون باره. ولكن كان لايذهب منها إلى الخزانة الاميرية سوى ٨٨ مليون باره اى مايوازى ٢٠٪ من مجملها بينما كان يوزع الباقى على امراء المماليك واتباعهم بطرق مختلفة.

وخلال وجود الحملة الفرنسية فى مصر كانت عوائد الجمارك الاربعة فى التزام جمرك الاسكندرية- رشيد ودمياط والبرلس وبولاق تبلغ حوالى اربعين مليون باره، كان منها ٨,٦٠٠,٠٠٠ باره تذهب الى الخزانة الاميرية و٦,٧٥٠٠,٠٠٠ اى حوالى، ١٦٪ تدفع للباشا باسم اموال كشوفيه صغير و٢٤,٤٨٢,٠٠٠ باره أى حوالى ٣٦٪ يستولى عليها الامراء المصرلية.

وبين عامى ١٧٨٦-١٧٩٧م كان متوسط الدخل السنوى حوالى ٣٦,٨٤٢,٨٧٦باره كانت تجمع من جمارك السويس. ولكن لم يكن يذهب منها للخزانة العامة إلاستة مليون باره اى حوالى ١٦٪ واربعه مليون باره(١٢٪) تذهب للوالى باسم اموال كشوفيه صغير والباقى كان يقسم بين الأنكشارية والامراء المصرلية.

٩٣ - اموال كشوفيه:

كان الباشا العثمانى يجمع ثلاثة انواع من الاموال تسمى اموال كشوفية منها :

١ - اموال يجمعها من بعض القرى التى تخصص له فى كل اقليم وتحسم من ايرادات القرية له الشكل خاص ولاترصد ضمن اموال الخزانة الاميرية وتسمى(دخل خاص) وهذا كان يدفع له عند عودته من جولاته الإدارية. وكان يدير هذا الجزء الخاص من الاراضى من هذه القرى كاشف تابع له، وهكذا كانت اراضى القرية هذه ودخلها يسمى كشوفيه .

٢ - وكان الباشا يحصل كذلك سنويا على «جائزة» تدفع له من اصحاب المناصب العليا والهامة فى الدولة كما سبق شرحه فى المتن. وهذا الاموال تسمى كذلك كشوفية:أو(كشوفيه صغيره)وذلك فى مقابل(كشوفيه كبيرة)التى كانت تدفع للخزانة الاميرية.

ولكن بعد عام ١٦٩٥ عندما تمكن الانكشارية من السيطرة على كل الالتزامات(فيما عد التزام ميناء السويس) فإنهم بعد تحصيلها كان يدفعون للباشا مبالغ سنويه تبلغ حوالى الاثنين مليون باره. ولكى يصبغ على هذه المبالغ غير القانونية صبغة قانونية ضمت هذه الاموال الى الجائزة التى كان

يدفعها اختياريه فرق الانكشارية للباشا، ولهذا كانت تدخل ضمن اموال الكشوفية الخاصة بالباشا، وفى عام ١٧٨٤م تمكن الامراء المصرلية من الاستحواذ على التزامات جمارك السويس وكانت اهم مصدر فى مصادر العوائد المالية فى مصر بما يوازى ستة ملايين بارة.

٩٤- افندى الروزنامجية.

«افندى» لقب، عثمانى يمنح لأفراد الهيئة الادارية، وهو يوازى الألقاب «بك»و«باشا» التى تمنح لأفراد الهيئة العسكرية العثمانية.

وكان يمنح على الأخص لكل الافراد المهرة أوالوثيقى الصلة بالعلوم والآداب الدينية(القضاة، العلماء، الاشراف)وماشابه.

وفى مصر العثمانية كان اللقب يستخدم بشكل أدق لكبار موظفى الخزانة ورؤساء الاقسام(الاقلام)وهذا هو السبب فى إطلاقه على حسين افندى الروزنامجى.

وكان الافندى فى هذه الوظيفة يساعده عدة(مباشرين) وايضاً غلمان أوكتبة، وهؤلاء كانوا يقومون بالمهمات الادارية الصغيرة، ويتمرنون فى نفس الوقت على تقنية مهنة الكتابة و(الروزنامة).

وتعد طائفة الافندية المسؤلة عن الحفاظ على هذه المهنة وتدريب المتقدمين لها وإجازتهم وتوزيعهم على أقسامها فى إطار الخزانة.

ولذلك كان الاسم أو اللقب الرسمى لكل قسم هو «مقطاعة» وذلك مثل«مقاطعة غربية» أما اسم المسؤل عن هذه الوظيفة فهو«أفندى المقاطعة».

وفى الفترات المتأخرة من الاحتلال العثمانى كان من حق الافندية ان يتركوا مناصبهم لأولادهم إذا ماكانوا صالحين ومؤهلين لذلك، وفى مقابل ذلك يدفعون رسما معينا للروزنامة من خلال مزايدة تتم بين ابناء صاحب المنصب المتوفى.

ان كل افندى كان يرث مقاطعة عليه أن يسدد للروزنامة نصيبها من اموال المقاطعة، وفى نفس الوقت كان من حقه أن يفرض رسوما اضافية على المقاطعة تمثل دخلاً خاصا له ولاتباعه.

ومن الملاحظ أن هذه المهنة كانت مقصورة على العثمانيين وان دخلها فى اوقات متأخرة عدد من المماليك والعلماء المصريين. وكان مقر الروزنامة بالقلعة.

ان البيانات المالية للروزنامه كانت تكتب بخط خاص يسمى«خط القرمة»وكانت معرفة هذا الخط محصورة فى اعضاء مهنة الخزانة، وتمتعت هذه المهنة بتقاليد جيدة ومتقنه حتى دخلها بعض أفراد البيوت المملوكيه فى أواخر عهدها قبل دخول الحملة الفرنسية واستغلوا مراكزهم فى الروزنامة من أجل مصالحهم الخاصة. ولهذا فإننا عندما نقرأ ماكتبه حسين أفندى الرونامجى رداً على اسئلة «ستيف» (انظر ملاحق الجزء الاول) فإننا نجده يصف الوضع الحرفى المثالى وليس الوضع الفعلى القائم فى حينه.

الروزنامجى: خلال القرن١٦م كانالروزنامجى فى مصر لايفعل اكثر مما يفعل مثيله فى الخزانة العثمانية باستانبول، كان يحفظ«سجل يومى» يسمى«الروزنامه»، وهو سجل يدون فيه ايرادات الخزانة وكذلك المنصرف منها، وكان يقوم باعداد ملخصات شهرية تشرح ذلك من أجل أن يطلع

عليها السلطان أو الحاكم أو المسئول عن المالية فى ذلك الوقت وهو«الدفتردار» الذى كان الرئيس الفعلى للخزانة كما كان الحال فى كل انحاء الامبراطورية. ولكن ذلك استمر فى مصر طالما وجد دفتردار يتم ارساله من استانبول. وخلال الجزء الاخير من القرن السادس عشر شغل الامراء المماليك هذا المنصب وساعدهم ذلك على تحويل ايرادات الخزانة لصالحهم. ومن اجل مواجهة هذا التحول قام الباب العالى باعادة تنظيم الخزانة فى مصر عام ١٦٠٨ بطريقة لم تسمح للدفتردار سوى بسلطة اسمية بينما صار الروزنامجى هو السلطة الفعلية والتنفيذية وذلك من خلال السماح للروزنامجى بالإطلاع على كل دفاتر حسابات المقاطاعات الأخرى من أجل ان يكمل«السجل الشهرى». وهكذا نجد انه فى فترة وجود حسين افندى كان للروزنامجى ثلاث وظائف.

١ - مدير تنفيذى للخزانة حيث كان يرأس ماكان يعرف بـ«ديوان الروزنامة»أو«روزنامة اميرى» ومهمتهاالاشراف على كل اعمال«افندية المقاطعات».

٢ - مدير لنقابة الكتاب فيراقب مستويات عملية التدريب وتوزيع الوظائف كالتزامات، ويستخدم سلطته فى معاقبة افندية المقاطعات.

٣ - بوصفه مديراً«لديوان الروزنامة»استمر يشرف على حفظ السجلات اليومية واعداد الملخصات الشهرية والسنوية.

ومع الاحتلال الفرنسى هرب الرونامجى العثمانى«ابراهيم افندى» ومعه أغلب الافندية ومساعديهم الى سوريا- مما دفع نابليون الى الاستعانة بالمصريين الاقباط فى هذه المهنة، ومن ثم تولوا امور الروزنامة واصبح«جرجس الجوهرى»هو مدير الروزنامة وحمل لقب الروزنامجى حتى عام ١٨٠٠م. اما بالنسبة لحسين افندى فقد كان واحداً من القلة التى بقيت ولم تهرب الى سوريا واستمرت فى عملها بالروزنامة وصعد نجمه سريعاً حتى وصل إلى منصب الروزنامجى فى فترة حكم محمد على فيما بين ١٨٠٧-١٨١٣م.

مالية الروزنامة:

١ - كان الدفتردار الرئيس المملوكى الاسمى للروزنامة وكان يأخذ من الخزانة مرتبا، ولكن الروزنامجى لم يكن يأخذ من الخزانة أى مرتب أو أجر على وظيفته لأنه كان يأخذ منصبه كملتزم ويأتى مرتبه وعوائده من موظفى الروزنامة الذين يمنحهم وظائفهم كالتزام كذلك بالإضافة الى الرسوم المختلفة التى يفرضها. من كل هذا كان يحصل على نصيبه ومرتبه. ومن ابرادات اقلام الروزنامه كانت تتجمع اموال الروزنامة.

٢ - من جمرك البهار:

كان الروزنامجى يحصّل من عوائد والى السويس مبلغ ٣٩,٠٠٠ باره سنويا نظير قيامه بالحسابات المطلوبة لألتزام الوالى فى جمرك السويس وكذلك يأخذ من والى اسكندرية ٢٠,٠٠٠باره سنويا.

من وظائف الروزنامجى وواجباته كان له علاقة خاصة بالحاكم(الباشا) لأنه ابتداء من عام ١٦٠٨م وهو عام اعادة تنظيم الروزنامة أصبح الروزنامجى ممثلا للباشا والباب العالى فى الخزينة. بينما أصبح الدفتردار ممثلا للمماليك فى الخزانة. وتجسدت أهمية الروزنامجى فى عدة مظاهر:

أ - الروزنامجى كان يستقبل الباشا عند مجيئه بحراً أوبراً ويصطحبه حتى القلعة.

ب - كان الروزنامجى يمثل سلطة الباب العالى فى الفترة بين الباشا القديم والباشا الجديد.

ولهذه الاسباب كان يجب على الباشا الجديد ان يمنح الروزنامجى هدايا ثمينة.

قلم الروزنامة: منذ أصبح الروزنامجى هو المسؤل التنفيذى للروزنامة كلها وايضا الأفندى الاكبر «كبير الافندية» لقلم المروزنامة، نجده يترك واجباته بالنسبة للوظيفة الاخيرة لمساعديه الذين قسموا عمل المروزنامة فيما بينهم. فكانت اعمال الروزنامة تتحدد فى الواجبات التالية:

أ - واجب أساسى وهو عمل السجل اليومى الذى يسجل فيه عوائد ومصروفات كافة الاقسام الاخرى.

ب - تسجيل ضرائب ولاية الجيزة. هذا الوجب كان عادة من اختصاص قلم آخر منفصل هو «مقاطعة الجيزة» ولكن فى عهد الفرنسيين نجد أنه قد تم دمجه فى اطار قلم الروزنامة.

جـ - حفظ سجل عوائد ضرائب الكوفيات الكبير الخاص بالخزنة.

د - تولى عمليه اصدار الاوراق الدارية.

هـ سجلات مال الشورى. اى المال المدفوع نقدا على سبيل المعاشات للرجال المقيمين بمكة والمدينة.

و - سجلات العوائد المخصصة للكسوة الشريفة.

ح - الرقابة على العاملين بالخزينة.

الاقسام الاخرى الموجودة بالمروزنامة بجوار قلم الروزنامة.

١ - قلم شرمسه.

٢ - قلم صغير

٣- قلم محاسبة.

٤- قلم يومى

٥ - قلم مصرف غلال.

٦- قلم رزق

٩٥ - المتسلمون:

وهم القائمون على استلام وجمع أموال الخزانة الأميرية من مصادرها المختلفة، ويتقاضون رواتب من الخزانة الاميرية ولكن يحتفظون بجزء من الاموال التى يحصلونها بعد استأذان رؤسائهم ويرسلون المتبقى للخزانة الأميرية.

٩٦ -عوايد الضربخانه:

كانت ضمن حصة الباشا، ولم تكن تدفع أى عوايد إلى الخزانة الاميرية وخلال القرن الثامن عشر كان دخل الباشا السنوى منها يصل إلى حوالى ١,١٣٥٠,٠٠٠ باره.

٩٧ بيانها كالآتى:

كيسه

١٢٠٠ عوايد خمسة عشر اميرا.

٢٨٠٠ عوايد ٤٠ أختيار.

٨٤٠ عوايد الجاويشية.

١٠٠٠ عوايد اختيارية انكشارية.

١٢٠٠ عـوائـد كـتـخـداوات الـعـــزب.

٤٩٠ عـــوايـد جـــاويـشـيـة العزب.

٥٠٠ عوائد اختيارية الفرق الخمس.

٧٠٠ عـــوايـد ١٤٠فـرد كـشـاف.

٣٠٠ عـــوايـد الـــروزنـا مجية .

١٠٠٠ فـــائـض مـيـــرى.

١٥٠ عـــوايـد الـضـربـخـانـه.

١٠١٨٠ المجمـــوع.

٩٨- محلول خالية:

أى أصبـحـت بدون ملتزم إما لموته أو هروبه أوخيانته العظمى(التمرد على السلطان). وفى أواخر القرن الثامن عشرتمكن الملتزمون من التحايل على هذه الأمور بتوريث الإلتزام أوكتابته بأسماء ابتاع له. وكان هذا المحلول يسمى أيحاناً «حلوان بلاد الأموات».

٩٩ - خان الخليلى:

من أهم الاسواق (الوكالات)القائمة فى وسط المنطقة التجارية، وهو يضم مجموعة الأسواق والوكالات والخانات التى شيد جزء منها فى نهاية العهد المملوكى(٩١٧ = ١٥١١ م).

وهو يتخذ(بحسب وصف الرحالة جبريل بريمون ١٠٥٣/١٠٥٥= ١٦٤٣/ ١٦٤٥م هيئة قصر مهيب متسع للغاية مبنى من الحجر المشذب ويرتفع ثلاثة طوابق. فى الدور الارضى حوانيت جميلة تحيط بفناء فسيح(حوش) مربع الشكل. أماالدور الثانى والثالث حيث يقيم التجار، فمرفوع على أعمدة رائعة الجمال. وفى الفناء الفسيح يعقد التجار صفقاتهم وتباع البضائع بالمزاد ولعقد الصفقات بالجملة.

وليس مسموحًا بالإقامة فى هذا الخان إلا للتجار ذوى السمعة الطيبة، فهو مليء بالأحجار الكريمة والمجوهرات.

وفى الأماكن المجاورة توجد الشوارع التى تباع فيها أفضل أنواع الروايح والسجاد والمصاغ.

١٠٠ - فرق بن:

والفرق زنبيل يسع نحو ثلاثة ونصف قنطار بن. وفى عام ١٧٩٨كان الفرق يساوى خمسة عشر كنتال فرنسى Quintal.

١٠١ - جمرك السويس وضربية البن:

فى القرن السابع عشر كانت الجمارك المفروضة على فرق البن فى بندر السويس مائة بارة. وكان يزاد عليها خمسة وعشرين بارة لكل فرق بن نظير نقله من السويس للقاهرة خلال القرن ١٨. وكان كتبة جمرك بندر السويس قد صاروا يحصلون من التجار على عشرين بارة لكل فرق بن ومن قبطان السفينة على ثلاثين بارة عن كل فرق بن بالإضافة إلى الضريبة الاساسية. وفى عام ١٧٤٩م كان لامير الحاج الحق فى الحصول على أربعين باره عن كل فرق اثناء عودته نظير فرض حمايته على قوافل البن القادمة من السويس إلى القاهرة، هذه الضرآئب رفعت كثيرا من سعر البن الذى كان يعدمن اهم المصادر الاضافية لايرادات امير الحاج وفى ظل حكم مرادبيك وابراهيم بيك بين عامى ١٧٨٥و١٧٧٩م كان إجمالى جمارك السويس

عن فرق البن يصل الى٢٠٠٠بارة وكان لهذا أثره في الانخفاض الشديد لحجم الواردات من البن الى ميناء السويس من٢٠,٠٠٠ فرق بن سنويا في بداية القرن الى مايقل عن نصف هذه الكمية، ولهذا كان مجمل الجمارك في انخفاض مستمر، وتحولت شحنات البن من ميناء السويس الى ميناء القصير على البحر الأحمر في مواجهة مصر العليا.

١٠٢ - السردار:

من الفارسية سر بمعنى الرأس ودار بمعنى صاحب والسردار القائد، ولقد كان السلاطين العثمانيون يقودون الجيوش بأنفسهم، ثم صاروا يعهدون بذلك إلى الصدور العظام والوزراء، ثم إلى رجال الجيش، وكان الصدر الأعظم إذاخرج صحب معه طوائف من الأنكشارية والجبجية(انظر جبخانه)والطوبجية أى المدفعيين والسوارى(أى الفرسان)وطوائف من الدفتردارية ورجال الخزانة والقيودات.

وكان عليه قبل الخروج على رأس الجيش أن ينيب عنه وكيلاً يدير الصدارة في غيبته، وكان يقال لهذا النائب:(صدرات قايمقامى):أى قائم مقام الصدارة أو(ركاب هميـاون) ويعين كذلك نواباً عن كل من يخرج معه من رجال الإدارة وكان الصدر الأعظم إذا ولى السردارية فلقبه(صدر أعظم وسردار أكرم)وجرت العادة على تعظيم الصدر الأعظم والسردار الأكرم بمناسبة قيادته الجيش، فكان يعين سردار أكرم بخط همايونى فيه كثير من اللفتات السلطانية ويهدى له سيفا مرصعا أوخنجرا، وكرك ويوضع على رأسه سرا عوج(فارسية من(سر) أى الرأس(اغوش) بمعنى أن يحضن، أن يمسك، أن يضم؛:نوع من المغفر.

وكان الجيش يستقبل الخط الهمايونى والهدايا السلطانية في حفل رسمى في الخيمة الرئيسية، فيتسلم السردار الأكرم الخط الهمايونى، ويقبله، ويلبس الخلع، ويعلق السيف أوالخنجر، ويقرأ رئيس الكتاب الخط الهمايونى بمحضر من أركان الجيش.

وكان للسردار الأكرم طوال غيابه سلطات لاتحد: فهو يعين ويعزل وينفى ويعدم دون رجوع للسلطان، وأوامره فرمانات يكتبها على الورق الأبيض الممهور بالطغرا.

وفي القرن السابع عشر كان النشانجية أى أصحاب التوقيع يخرجون مع السردار الأكرم، فلم تبق بعد ذلك ضرورة لأن يحمل الصدر الأعظم والسردار الأكرم معه أوراق الفرامين ذات الطرة.

ولكن السردار الأكرم لم يكن له حق العودة من الميدان بادارته بل كان عليه أن ينتظر حتى يرد عليه خط همايونى بالعودة، وكان هذا الخط يعرف بدعوت خطى أى خط الدعوة. وفي عهد مصطفى الرابع رجع السردار الاكرام جلبى مصطفى باشا فجأة من أدرنه من غير دعوة من السلطان، ولم يجد السلطان بداً من قبول الأمر الواقع.

ولايسأل السردار الأكرم بع دعودته عما أنفق. ولما حاول بعض الولاة محاسبة رجال المالية المصاحبين للصدر الأعظم بعد عودتهم اعتبر ذلك بدعة وعملا قبيحاً.

فإن كلف أحد وزراد القبة الخروج سرداراً على الجيش فلقبه سر عسكر، وتضفى عليه أيضاً شارات التكريم من الكرك والسيف،. وكان لايوضع على رأسه سراغوج. ثم أطلقت كلمة السردار بعد ذلك على القائد عامة وعلى وزير الحربية خاصة.

وكان في الدولة العثمانية سردارية صغار: فقد

كان أغا الأنكشارية يعين سردارات يقومون بأمور الضبط والربط فى المراكز الصغيرة، وكان يقال لواحد منهم:(سردار الأنكشارية)، وكان الترك يطلقون عبارة(سردار علما) على أشهر العلماء فى عصره معلم السلطان.

وفى الجبرتى:«ووصل أغا يطلب ألفى عسكرى وعليهم صنجق يكون عليهم سرداراً، فعينوا مصطفى بيك حاكم جرجا».

«أحضروا محمد كتخذا أبا سيف الذى كان سردارا بدمياط».

«لبس محمد بيك الصغير على ولاية الصعيد، وخرج من بيته بموكب إلى الأثر وصحبته، الطوائف الذين عينوا معه من السبع بلكات بسرداریاتهم وبيارقهم.

١٠٣ - غربانك توآنا:

هم عسكر بدون رواتب ثابتة سواء من ناحية مدتها أو من ناحية حجمها، لأن عملهم إما أنه موسمى كما فى حالتنا هذه، أوطارىء كما يحدث فى حالة احتياج السلطنة لعسكر إضافى بسبب الحرب.

١٠٤ - أقة:

كانت الأقة العثمانية تستخدم لوزن السلع الصلبة، وهى تساوى ٢,٢٨ رطل. والبقسماط يونانيه وفى التركية بكسماد، وفى الفارسية بقسمات: خبز جاف مش يتزود به الجند والمسافرين.

١٠٥ - فقهاء المذهب المالكى:

ينتشر المذهب المالكى فى شمال أفريقيا بشكل كبير. وكان شيوخه فى هذه الفترة يحرمون الحج ركوبًا على الدواب أو السفن مراعاة للقاعدة التى تقول بأن الثواب على قدر المشقة. وقد بطل ذلك الآن.

١٠٦ - امير الحاج المصرى وزيادة مصاريفه

خلال العقد الأول من الحكم العثمانى فى مصر كان اسم من يشغل منصب امير الحاج يسمى«امير ركاب المحمل» وذلك حسبما ذكر «ابن أياس» ولكن المصطلح المستخدم بعد ذلك كان «امير الحج».

وكان هذا المنصب يشغله فى اوائل الحكم العثمانى موظفون يرسلون من الباب العالى. وخلال القرن السابع عشر اصبح يشغله احد البكوات المماليك والذى كان فى نفس الوقت يشغل مهمة حماية«ارسالية الخزنة»المرسلة الى الباب العالى.

وخلال القرن الثامن عشر نجد أن هذا المنصب كان يسند الى أقوى اتباع شيخ البلد المملوكى مما مثل تركيزا للمناصب السياسية الكبرى فى يد البيوت المملوكية.وهكذا تمكن الأمراء المماليك الذين سيطروا على حكم مصر خلال القرن الثامن عشر أن يزيدوا من مصاريف قافلة الحاج من حوالى٤٥٠,٠٠٠ بارة فى عام ١٥١٨م، كانت تخصم من الخزانة الأميرية، إلى ثلاثة ملايين ونصف مليون باره عام ١٦٩٥م، ثم إلى واحد وعشرين مليون باره عام ١٧٩٨م. كان أحد عشر مليونا تأخذ من الخزانة الأميرية(وهذا غالباً كل جعيلتها)، وعشرة ملايين تأتى ارساليه من الباب

العالى سنوياً، كان معظمها يدخل جيوب البكوات المماليك.

١٠٧ - حاكم صيدا:

هو الجزار نفسه.

١٠٨ - شيخ العرب همام ونفوذ القبائل البدوية:

ظللت الجماعات المملوكية المنظمة تمثل خطراً على السلطة العثمانية فى مصر منذ الغزو وحتى عام ١٥٢٤ (٩٣٠هـ)، عندما شاركوا فى الثورة القصيرة الأمد والتى قادها الوالى احمد باشا، ولفترة تالية لذلك تركت اغلبية المناطق تحت سيطرة القبائل البدوية نتيجة للانهيار الذى أصاب الادارة المملوكية فى اعقاب الغزو العثمانى، وعبر سلسلة من الاتفاقيات عقدها كل من السلطان سليم ثم خاير بك مع هذه القبائل، تم الاتفاق على أن يتم تعيين رؤساء القبائل كحكام على المناطق الواقعة تحت سيطرتهم، ومن ثم أصبحوا مسؤلين عن حفظ النظام والأمن وأيضاً عن توصيل الضريبة السنوية المحددة للخزانة الامبراطورية فى القاهرة.

وفى عهد السلطان سليم الفاتح أرسلت الرُسل العثمانية إلى صعيد مصر، تقارير تمهيدية تعالج شئون الارض وقاموا بتوقيع إتفاقيات مع عدة قبائل. واستمر الوضع على هذا الحال حتى نهاية عام ١٥٢٨ =٩٣٥هـ، عندما كان سليمان باشا الخادم عائداً من حملاته فى اليمن فهبط ميناء القصير المصرى، وقامت قواته بمحاربة القبائل البدوية التى كانت استولت على المنطقة من اسوان حتى شمال السودان(وذلك بسبب انهيار نظام الدفاع المولكى مع الغزو العثمانى للبلاد) وقامت بحصار قلعة «أبريم» واستولت عليها، ثم طاردت القبائل المتقهقرة حتى أوصلتها الى منطقة وادى حلفا، وفى هذه المنطقة، وعلى جزيرة تقع فى وسط النهر تسمى «صاى» Say بنيت قلعة بهدف حماية الحدود الجنوبية.

وفى منطقة الصعيد كما هوالحال فى الدلتا، نجد أن الهيمنة العثمانية، قد أمتدت من حيث الشكل عن طريق عقد سلسلة من الاتفاقيات مع القبائل المسيطرة على مناطق ترحالها، ولقد وعدت هذه القبائل أن تقوم بحفظ النظام وجمع الضرائب مقابل الاعتراف العثمانى بوضعها.

إن اكثر القبائل قوة فى صعيد مصر خلال القرن السادس عشر كانت هى قبيلة «عمر أوغلو، Mer Oglu» التى حكمت المنطقة الممتدة من«جرجا» حتى بلاد النوبة». والتى هزمت فى عام ١٥٨٣=٩٩١هـ

وهكذا نرى أن نهاية القرن السادس عشر يشهد فتحا عثمانيا جديدا لمصر ولكنه هذه المرة من الداخل. ولم يبق خارج نفوذها الفعلى سوي ولاية البحيرة التى ظلت تحت سيطرة القبائل البدوية وولاية البهنسا فى الصعيد التى تم إخضاعها نهائياً فى منتصف القرن السابع عشر.

ولكن ما أن تمت هذه السيطرة للدولة العثمانية فى منتصف القرن السابع عشر حتى عادت الفوضى مرة أخرى بسبب النزاعات الداخلية بين

الامراء المماليك والباشا العثماني وحاميته، وعادت القبائل البدوية الى الهجوم على أطراف مصر سواء في الوجه البحرى أو القبلى، مما أجبر السطات العثمانية على قبول الزعامات البدوية وسيطرتها التى تطورت لصالح زعماء هذه القبائل فحازوا وظيفة الملتزم فى مناطق نفوذهم بل وصاروا يتوارثونها.

إن أكبر هذه القبائل فى الصعيد كانت قبيلة«هواره» التى امتد نفوذها من«المنيا»حتى «جرجا». نجحوا فى إقامة كيان شبه مستقل فى جنوب صعيد مصر على يد شيخ العرب همام بن يوسف بن أحمد بن همام الذى ولد بفر شوط بمحافظة قنا فى أوائل القرن الثانى عشر الهجري(١٧ ميلادى) وتوفى سنه ١١٨٣هـ=١٧٦٩م. ولقد قضى على نفوذهم على بيك الكبرى عند مأرسل حملة عسكرية بقيادة محمد بيك أبوالذهب أبادت أعدادا كبيرة منهم وشتت بقيتهم. فى ظل هذه الظروف جند أحمد باشا الجزار أعداداً منهم أتى بها إلى الشام وهى التى يرد ذكرهاهنا. ولعله من الواضح أن الجزار كان يجند لحسابه جنودا من المغضوب عليهم مثل الهوارة والدلاه واللاوند ومن المغاربه (بالاخص بدو الجزائر وتونس).

١٠٩ - أخميم:

من مدن محافظة سوهاج على البر الشرقى. بها آثار ومعابد مصريه قديمة. عرفت قديماً باسم شمين وكمين وشميم. خرب العرب بعد غزوهم لمصر الكثير من معابدها الاثرية. بها دير منحوت فى الجبل.

وهى بلدة ذو النون المصرى الصوفى الذى كان يعرف اللغة الهيروغليفية.

١١٠ - الحلوان:

بصفه عامه كانت السلطنة العثمانية على استعداد لقبول السيطرة المملوكية على الادارة الماليه فى مصر طالما كانت العوايد المالية التى كانت تتسلمها الخزانة الأميريةتصل إليها عن طريق بديل لها هو مال الحلوان، الذى كان يدفعه المنتصر من بين البيوت المملوكية المتصارعة فى مقابل حصول البيت المنتصر على التزامات البيت المهزوم.

وخلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، كانت عوائد بيع مقاطعات الممتلكات السلطانية تذهب مباشرة إلى الباشا والسلطان ولاتذهب للخزانة فيما عدا حالات خاصة. وفى الاصلاح الذى تم عام ١٠٨٣هـ=١٦٧٢م طلب من الباشا أن يدفع قسماً منها بوصفه«مال الحلوان» للخزانة السلطانية مقداره مليون باره، ثم أرتفع من واقع حدوث «زيادة»مضاف»إلى ٢،١١٣,٠٠٠ باره وقت وصول الحملة الفرنسية. وفى عام ١١٧٦=١٧٦٢بلغت عوائد هذا المصدر ٢٥ مليون باره.

وخلال القرن الثامن عشركانت عوايد مال الحلوان هذه تفوق فعليًا العوايد ذات الطابع الثابت التى كانت تصل إلى استنبول.

ولكن بعد عام ١٧٧٩م نجد أن مصر قد أصبحت واقعة تحت الحكم المطلق للبيت المملوكى الذى يتزعمه مرادبك وابراهيم بك، وهؤلاء سرعان ماأحتكروا ثروة مصر كلها ولم يعودوا يرسلون مال الحلوان إلى استنبول.

ويرتبط بمال الحلوان مصطلح مال المحلول وهو عوائد عن الأراضى التى يتوفى ملتزمها أو المفوض بالتصرف فيها ولاوارث له أويعطلها وهوعلى قيد الحياة ويرفض أن يفوض من جديد للتصرف فيها. فعندئذ تعتبر محلولة وتعرض للبيع فى المزاد أو تعطى برسم خاص معجل أومؤجل من يستغلها. وتعتبر بعض الوظائف كالإمامة والخطابة إذاشغرت بموت اصحابها محلولة اى شاغرة ويجمعها الجبرتى محاليل«وغنم الباشا أموالا عظيمة من حلوان المحاليل والمصالحات».

١١١ - ميناء القصير:

وهى تصغير لكلمة«قصر» تقع على الساحل الغربى للبحر الاحمر فى مواجهة مدينة قنا. معظم تجارتها مع ميناء ينبع الحجازى الواقع فى مواجهتها على الساحل الشرقى للبحر الأحمر.

وهى من الموانى العتيقة التى أسسها المصريون القدامى على نهاية وادى بأسمها(إلى جانب عدة أودية أخرى تبلغ حوالى الستة)يصل إلى وادى النيل عند قنا.

فى هذا الوقت كان لايقطنها بشكل أساسى سوى تجار من مصر وميناء ينبع، التزموا بجماركها. وتاجروا فى القمح والدقيق والفول والشعير والزيوت ومواد غذائية أخرى ترسل إلى الحجاز من مصر، وكذلك البن والفلفل والصمغ الينبعى وبعض أقمشة الهند،ترسل من ينبع. ويسمى هؤلاء التجار البحر الأحمر بالبحر المالح، أمافى السويس فيسمى بحر القلزم.

ويفرض العبابدة القائمون فى هذه المنطقة أتاوة على التجارة التى تعبر الأودية التى تربط مابين الميناء ووادى النيل(عندقنا).

تأتى المياه للمدينة من عين تسمى«درفاوه» تقع على بعد ثمانية فراسخ تقريباً من المدينة فى اتجاه الغرب.

والبيوت هنا منخفضة كذلك مآذن مساجدها مما يعطيها ملمحًا مختلفاً عن بقية مدن مصر. وعلى حافة المدينة على هضبة مرتفعة من الحجر الجيرى قرب الساحل تقع قلعة المدينة المسماة«القصر»، وهى على شكل معين تعلوه أربعة أبراج، وبداخلها بئر محفورة مياهها بالغة الثقل وتميل للملوحة.

١١٢ - ميناء ينبع:

وهى ميناء المدينة المنورة وثانى موانى الحجاز بعد جدة. ولكن ندرة الماء حولها جعلها دومًا ضعيفة النمو. ولذلك كانت تعمل بشكل متقطع على خدمة الأغراض الحربية.وكان معظم تعاملها إما مع القصير أوالسويس.

وأهم صادراتها المحليه الصمغ الينبعى الذى كان يجمع من أشجار السنط فى الصحارى المحيطة بها، وكان لأهلها صلات قويه بميناء سواكن السودانى واقليم دارفور، حيث كانوا يأتون إليه طمعًا فى هبات ملوك السودان الاوسط فى ذلك الوقت تحت دعوى أنهم من أشرف آل البيت، أوالحصول على القردة الصغيرة لتدريبها على ألعاب يتلهى بها أهل المدن فى بلاد العرب والشام ومصر.

والى جانب ميناء ينبع(ينبع البحر)توجد مدينة ينبع النخل، وهى واحة زراعية من عدة قرى يطل عليها من الشرق جبل رضوى.

١١٣- غلال الحرمين:

وكانت ترسل إلى مكة والمدينة مع أمير الحاج المصرى، وتجمع من أوقاف لها بمصر تسمى أوقاف الدشيشه إلى جانب غلال أخرى من فايض الغلال الميرى.

١١٤- غلال الميرى:

لمدة قرنين من الزمان بعد غزو مصرعلى يد السلطان سليم الأول، كانت مصر واحدة من أهم الوحدات المكونة للسلطنة العثمانية. لقد كانت أغلب العوايد الزراعية فى السلطنة توزع كتيمارات، أمافى مصر فكانت عوائد التزام الاراضى الزراعية تذهب إلى الخزانة السلطانية فى استبول.

إن الحبوب المرسلة من مصر هى التى مونت المدن العظمى للسلطنة العثمانية، وهو نفس الشيء الذى فعلته مصر مع الامبراطوريات التى قامت باحتلالها من قبل(الرومانيه والبيزنطية والأموية والعباسية الخ..).

إن سلعا مثل السكر والارز والكتان والبردى وغير ذلك كانت تأتى براً وبحراً بشكل متزايد من مصر وعن طريقها لكى تسد احتياجات استنبول والمدن الاناضوليه الكبرى. كذلك نجد أن جزءاً كبيراً من الذهب الذى استخدمته دارسك النقود السلطانية كان يأتى عن طريق مصر. كما أن مصر كانت تزود الجيش العثمانى بعدد كبير من الجند المدربين، ومن قواعد مصر البحرية فى البحرين الأحمر والمتوسط أرسلت الاساطيل الحربية إلى المحيط الهندى والخليج الفارسى وأيضا البحر المتوسط.

١١٥ - الاردب:

يستخدم فى مصر لكيل الحبوب والغلال، ويساوى ١,٥ بوشل و١٨٤لترا.

وكان فى القرن الخامس عشر=٩٠لتر

وفى سنة ١٦٦٥ كان يساوى ٧٥لترا

وأجزاء الاردب هى ١٢كيله=١٣٠ أقة

نصف الكيله=٤أقداح

رُبع كيله(الرُبعة)=٢قدح

وهكذا فالأردب= ٢٤ ربعة = ٩٦قدحا.

اماالتليس=٨كيله.

١١٦ - الملات:

هو تعبير شيعى يطلق على رجال الدين والاشراف. وتجمع أحيانا (ملالى).

١١٧ - وفر كيل أومال «التفاوت»:

وكان يتأتى هذا الوفر من أنه تكال الغلال عند تحصيلها بمكيال اكبر من المكيال الذى تصرف به ومن خلال فرق الكيالين يأتى وفر الكيل الذى كان يعتبر دخلا خاصا للشؤنه الاميريه اى مخازن الغلال الميرى.

* مال (التفاوت) أو(وفرالكيل): كانت هذه أحد العوائد الرئيسية للخرانه سواء نقداً أوعيناً. وكان هناك كذلك(تفاوت خاص)تحصله الخزانة على كل ماتدفعه كرواتب أو نفقات خزينه مقداره بارة واحدة على كل أربعين باره تدفعها الخزانة.

وفى عام ١٠٢٥=١٦١٦م كان مقدار ما حصلته الخزانة لصالحها حوالى ١٥٢ ,٩٣٦ بارة،

وصل في عام ١٠٧٥= ١٦٦٤م إلى ١,٧٩٠,٠١٦ بارة.

يضاف إلى ذلك أنه خلال القرن السابع عشر تم رفع نصيب الخزانة إلى حوالى ١٥ باره على كل اربعين باره تدفعها للأغراض السابق ذكرها تحت اسم «تفاوت خزنة» أو «تفاوت فضة» بحسب العملة التى تدفع بها. إن هذا المبلغ وصل من ٧٥٤,٠٥٢ باره عام ١٠١١=١٦٠٢م إلى ١٣,٤٥٨,٤٩٩ عام ١٠٤١=١٦٣١م.

* «تفاوت كيل: وكان عينا على الحبوب للخزانة، مقداره $\frac{١}{٨}$ الاردب الذى تصرفه غرق المراكب التى تنقلها، ولتزويد عمال الشؤن الخزانة لتعويض الحبوب التى تفقد بسبب بحاجتهم من الحبوب، ومايتبقى منها كان يمنح للباشا واتباعه.

وخلال القرن الثامن عشر كان مجمل «تفاوت كيل» يصل إلى ٣٦,٠٠٠ أردب سنويا يذهب منها للباشا ٢٦,٠٠٠ أردب.

* «زيادة وفركيل» بسبب زيادة «تفاوت كيل» من الحبوب كانت الخزانة تفضل أن يبيعها الملتزم ويسددها نقدا.

١١٨ - أنبار أميني:

وهو مصطلح قديم منذ السلطنة المملوكيه استخدم بدلاً منه فيما بعد مصطلح «أمين الشونه».

١١٩ - الغرق والحريق:

مصطلح يستخدم لتحديد التلفيات التى تصيب الغلال بسبب غرق المراكب الناقلة لها أو أحتراقها في النيل.

١٢٠ - الغراب:

فى التركية بكسر الغين، قيل إنها من الفرنسية كورفت Corvette ولكن (سامى) بك أفردكلمة غراب بتعريف مختصر، وأفرد كلمة كورفت Corvette بتعريف آخر، وكذلك فعل أوزون جارشيلى فى حديثه عن البحرية العثمانية؛ فقد فصل بين الكلمتين، وخص كل واحدة بعنوان.

وقد نقل دوزى عن قاموس بقطرالكلمة الفرنسية التى تدل على الغراب، وهى عندهما بريجانتين Brigantin لاكورفت.

والغراب سفينة حربية قديمة مدببة الحيزوم ذات أشرعة ومجاديف وردت فى كلام للقاضى الفاضل نقله أبوشامة فى الروضتين: إلا أنها تمر مر السحاب غير الجهام، فلاأعجب منها تسمى غرباناً وتنشر بين ضلوعها أجنحة الحمام وتسمى جوارى، وكم بشر مجريها من النصر بغلام «كتاب الروضتين» ٢/١٤.

وفى النجوم الزاهرة: «كل ذلك والعمل فى المراكب مستمر إلى أن كملت عمارة المراكب من الغربان والطرائد.. إلخ» ١١/٣٥.

وفى الحاشية فى الصحيفة نفسها نقلا عن ابن مماتى أن «الشينى» وهو نوع من المراكب يعرف أيضا بالغراب.

١٢١ - شهرحواله:

الحواله هو الشخص المخول بمجمع الأموال الأميرية من العمال المكلفين بتحصيلها، وسمى شهر حواله لقيامه بجمع الأقساط الشهرية.

١٢٢ - مقاطعة خرده:

تأسست هذه المقاطعة عام ٩٣٥هـ=١٥٢٨م لجباية الضرائب على كل اعمال الملاهى فى القاهرة والوجه البحرى. وفى عام١٠٥٣هـ=١٦٤٣م أدمج فيها ضرائب طوائف الطبالين والسمكرية وبائعى الحديد وصناع الحشيش وغيرهم، وكانت هذه القطاعات مدموجة معا بوصفها مقاطعة(طاستاخان)، وكذلك دمج فيها طوائف صناع السكر والحلوى(كانت قبل ذلك ضمن مقاطعة أميرى سكر).وفى إصلاح عام ١٠٨٣هـ=١٦٧٢كانت تقطع بوصفها التزاماً لأوجاق متفرقة وجاويشيه،ولكنها بعد ذلك اصبحت تمتلك كالتزام لأوجاق عزبان، وكانت هى الاداة الرئيسية التى تمكن بها من توسيع نفوذه داخل نظام الطوائف الحرفية فى القاهرة والوجه البحرى.

ومن عام ١١٥٦/١١٧٥هـ = ١٧٤٣/١٧٦١م نجد أن حقوق وعوائد أمين الخردة كانت كمايلى:

١ - حق فرض وجباية ضرائب عن كل اعمال الملاهى الخاصة بالراقصين ذكوراً ونساءً، والعاهرات وسحرة الثعابين والقرداتيه وقارعى الطبول ولاعبى القمار والمنشدين وبائعى الحشش والفتوات فى القاهرة والوجه البحرى. وكان ذلك يعود سنويا بحوالى ٧٠,٠٠٠بارة من القاهرة، ٩٧,٠٠ باره من الوجه البحرى.

٢ - حق الحصول على جلود واعضاء الحيوانات النافقة وبيعها لحسابه. وكان ذلك يعود على امين الخردة سنويا٦٢,٠٠٠باره.

٣ -جباية ضرائب على مقامات الأثنى عشر قديساً فى القاهرة وبولاق ومصر عتيقة، كل مقام عليه ١٢,٦٨٧ باره سنوياً مجموعها ١٥٢,٢٤٤ باره.

٤ - جباية ضرائب على تجار دخان سمنود والمحلة الكبرى مجملها ١٨,٠٠٠باره سنويا القاهرة ومصر عتيقه وبولاق، كانت تدفع سنوياً ٣٦,٠٠٠باره.

٦ - جباية ضرائب على الخمامير، يجبى منها سنوياً ١٩,٣٠باره.

٧ - جباية ضرائب على صانعى شوبك الدخان فى مصر عتيقه مقدارها ١٠,٤٠٠باره سنويا.

٨ - جباية ضرائب على قاطعى فروع النخيل (تستخدم فى صناعة الاثاث والسلال) مقدارها ١٠,٥٦٧ بارة سنويا، وقد كان لهم طائفة تتكون من شيخ للطائفة وسبعة اساتذه (معلمين) وتابعيهم من الحرفيين.

٩ - حق فرض وجباية ضريبة حمايه على ملتزمى مصنع ملح النشادر بالقاهرة مقدارها ٣,١٢٠بره سنويا.

١٠ - جباية ضريبة على صناع عروق الخشب الخاصة بسقوف المنازل مقدارها ٧,٠٠٠باره سنويا.

١١ - جباية ضريبة حمايه على دلالى بيع الجمال فى ميدان الرميله مقدارها ٣,٥٣٦بارة سنويا.

١٢ - جباية ضريبة حماية على الحديقه المسورة فى القبة بالقاهرة حيث النساء المغنيات والعواهر مقدارها ١,٦١٦ باره سنويا.

١٣ - جباية ضريبة على أسواق الحبوب والخضر والفاكهة والحيوانات فى مدينة الفيوم والواحات

وكذلك الجزارين والمغنيات والراقصين(الغوازى) مقدارها ١٧٧,٧١٦ باره سنوياً.

١٤ - جباية ضريبة جمركيه على كل البضائع العابرة على معديات النيل فى بولاق ومصر عتيقه مقدارها ٥٠,٠٠٠ باره سنوياً.

١٥ - جباية ضريبة جمركية على كل البضائع العابرة بقناة الناصريه التى تربط الاسكندرية بالنيل مقدارها ١,٠٠٧ باره سنوياً.

١٦ - جباية ضرائب على الراقصات والعاهرات والغوازى بالصعيد مقدارها ٩,٠٠٠ باره سنوياً.

١٧ - جباية ضرائب على صانعى القلل والأزيار مقدارها ١٠,٣٠٠ باره سنوياً.

١٨ - جباية ضرائب على صانعى السروج مقدارها ٩,٧٠٠ باره سنوياً.

١٩ - جباية ضرائب على صانعى دخان التمباك مقدارها ٧,٠٠٠ باره سنوياً.

٢٠ - جباية ضرائب على بائعى اسواق المأكولات فى بنى سويف مقداراها ٢٠,٨٠ باره سنوياً.

٢١ - جباية ضرائب على صانعى صباغى الحرير بالقاهرة مقدارها ٢٠,٢٨٠ باره سنوياً.

١٢٣ - مقاطعة بحيرة المطرية(المنزله):

تأسست هذه المقاطعة عام ١٧٨٥م كالتزام للباشا الذى كان يجمع منها ضرائب سنويه قدرها حوالى ٢٠٠,٠٠٠ باره.

وقد الغيت هذه المقاطعة سنة ١٧٩٢م بعد أن سيطر عليها البكوات المماليك وصاروا لايدفعون من عوايدها للخزانة الأميرية أية أموال.

١٢٤ - مال كشوفية:

والمقصود هنا مال كشوفية صغيرة وكان يجمع من ثلاثة مصادر.

١ - جائزه، تدفع من بعض الضباط بسبب ترقيهم، وكانت تعود على الباشا بحوالى ١,٨٩٧,٧٥١ باره.

٢ - الباسية، وتدفع من بعض الضباط الكبار، وكانت تعود على الباشا بحوالى ١,١٥٠,٠٠٠ باره سنويا.

٣ - خلعيه، وتدفع من بعض الضباط الصغار، وكانت تعود على الباشا بحوالى ٦٤٥,٢٥٠باره سنويا.

١٢٥ - على باشا زاده الحكيم:

هو على باشا حكيم أوغلى عند الجبرتى. تميزت فترة حكمه بالهدوء والاستقرار لأنه قنع بمكانه فى القلعة ولم يتدخل فى شئون البيوت المملوكية حكم مصر فترة ثانية من ربيع أول ١١٦٧ إلى ١١٧١هـ. وهى المدة التى أحضر فيها معه أحمد البوشناقى (أحمد باشا الجزار) كتابع له إلى مصر قبل هروبه للشام.

١٢٦ - دبش:

فرضت عوايد الدبش عام ١٧٤١، وكان يحق لكل يولداش من المصاحبين للمراكب التجارية القادمة من موانى الحجاز الحصول أما على اعفاء جمركى لخمسة عشر فرق بن من تجارته أو قيمة هذا الاعفاء الذى يحدد على اساس ثمانية قروش لكل فرق بن.(أى ١٥×٨=١٢٠قرشا.

١٢٧ - مال حلوان:

انظر هامش(١١٠).

محتويات نظامنا مه مصر لاحمد باشا الجزار

الملاحق:

المصادر والمراجع:

١ــ أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٩.
٢ــ آن ريڤلين: الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر ترجمة أ.د. احمد عبد الرحيم مصطفى ومصطفى الحسينى ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٨.
٣ــ محمد رمزى: القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ـ القاهرة ١٩٥٥.
٤ــ على مبارك: الخطط التوفيقية ـ بولاق ١٣٠٦هـ.
٥ــ زهير الشايب: ترجمة : وصف مصر. القاهرة ١٩٧٦ ـ ١٩٨٢.
٦ــ عبد الرحمن الجبرتى: دراسات وبحوث. الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٦.

7- Stanford Show: The Financial and Administrative Organization and Development of Ottoman Egypt 1517 - 1798. Princeton Oriental Studies 1962.

٨ــ التوفيقات الالهامية [المجلد الثانى]. تأليف: محمد مختار باشا ـ القاهرة.

